مجلة
مجمع اللغة العربية

الجزء الحادى عشر

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٩٥٩

كلمة التحرير

كلمة التحرير

هذا هو الجزء الحادى عشر من مجلة المجمع يسعدنا أن نقدمه الى قراء العربية شاملا لألوان شتى من البحوث والدراسات التى تتصل باللغة ، وطائفة من المصطلحات العلمية ، أقرها المجمع فى مجلسه ومؤتمره فى دورته الحادية والعشرين .

وتمكينا لقراء المجلة من متابعة نشاط المجمع فى دوراته الأخيرة رأينا أن نمضى فى نشر بابين جديدين :

أحدهما خاص ببحوث غير رسمية دبجتها أقلام كبار علماء العربية ، ولم تتسع صفحات هذا العدد لأكثر من نشر خمسة بحوث منها تناولت نواحى مختلفة من دراسة اللغة ، وستوالى نشر البقية فى الأعداد المقبلة . ومجلة المجمع إذ يسرها أن تنشر هذه البحوث والدراسات يجب أن تنبه الى أن أصحاب هذه البحوث مسئولون عما ورد فيها من معلومات وآراء ، ولكن يسعد المجلة أن تصبح مثابة لكتاب العربية ، وملتقى لأقلامهم ، ومعرضا لآرائهم فى خدمة اللغة العربية .

أما الباب الجديد الثانى فخاص بطائفة من الأخبار المجمعية القصيرة نشرناها تحت عنوان (أخبار مجمعية) وستمضى المجلة فى سلوك هذا النهج الى أن يتسنى لها تصفية ما تجمع لديها من أعمال المجمع فى دوراته السابقة ، ولعل هذا يكون قريبا إن شاء الله .

و"بعد" فهذه صفحة جديدة أخرى من تلك الصفحات التى يسجلها المجمع ونشاطه يسرنا أن نضعها بين أيدى قراء العربية ، راجين أن يجدوا فيها ما يروى غلتهم ، وما يكفل لهذه المجلة النمو والازدهار .

وإن إدارة المجلة لا يسعها إلا أن تنوه بما بذله موظفو المجمع ومحرروه فى هذا العدد من معاونة صادقة ، ولا سيما الأستاذ ابراهيم خليل مراقب المجمع ، فقد كان فى جهوده ونشاطه أكبر عون على إخراج هذا العدد فى الوقت المحدد .

كلمة كاتب السر

مجمع اللغة العربية في عام (1)

للأستاذ الدكتور منصور فهمي

أيها السادة :

عزيز علينا قبل أن نتحدث عن شئون المجمع وأعماله خلال سنة ١٩٥٤ أن نتقدم بكلمة الترحم على زميلين كريمين اختارهما الله لجواره — وهما زميلنا المرحوم الأستاذ أحمد أمين . وكلنا نعرف له جليل أثره في اللغة والعلم والأدب ونذكر له دأبه في خدمة المجمع . وزميلنا اللغوي الضابع الأستاذ المرحوم أحمد العوامري الذي لم يمض على وفاته إلا أسبوع ، وكنا نترقب أن يكون معنا يسهم في أعمال المؤتمر . ولكن لا راد لقضاء الله . وكذلك تلقى المجمع ببالغ الأسف نعى الأستاذ الشيخ سيد سليمان الندوى من باكستان ، ونعى الأستاذ حسين سميعى من إيران ، وكلاهما من أعضاء المجمع المراسلين .

أحسن الله إلى الجميع في دار الجزاء ، وعوضنا من فقدهم خير العوض .

ولقد صدر في خلال هذا العام مرسوم بتعديل اسم المجمع فصار "مجمع اللغة العربية" وهو الاسم القديم الذي لابسه في أيام نشأته الأولى إلى أن استقر فيه استقرارا يلائمه ويلازمه .

ولقد صدر مرسوم بتجديد تعيين أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد رئيسا للمجمع لثلاث سنوات أخر ، وإننا لنتمنى له في هذه المناسبة موفور العافية ، لكى تتواصل للمجمع رياسته الكريمة الرشيدة البارة .

هذا وقد استقبل المجمع زميلنا الأستاذ حامد عبد القادر عضوا عاملا في المكان الذي خلا بإعفاء الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، كما استقبل زميلنا الأستاذ محمد توفيق دياب في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور فارس نمر ، كما استقبل الأستاذ حسين توفيق الحكيم في المكان الذي خلا باستقالة الأستاذ واصف غالى .

وإنه ليسعدنا أن نستقبل الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى استقبالا رسميا في صباح الاثنين المقبل وفى حفل علنى عام .

وقد اختار المجمع الدكتور عمر داود بوتا من باكستان والأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمى من الجزائر عضوين مراسلين .

ومما يذكر بارتياح المجمع أنه شارك في مظاهر التأييد لاتفاقية الجلاء بتقديم صادق التهانى للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، كما هنأه بنجاته من حادث الاعتداء الأثيم .

ولا يسعنا ونحن نفتتح المؤتمر إلا أن نأسف لاعتذار زملائنا : الأستاذ عبد القادر المغربى والأستاذ ليتمان والأستاذ جب عن الحضور للمؤتمر

(1) ألقيت هذه الكلمة في حفل افتتاح مؤتمر المجمع للدورة الحادية والعشرين

لأسباب خاصة بهم . وبهذه المناسبة نبعث إليهم بأطيب تحياتنا ، ونرجو أن نلتقى على أحسن حال فى المؤتمرات القادمة ، إن شاء الله .

والآن وتمشيا مع نظام المجمع نبسط لكم رؤوس أعماله فى عامه الماضى وفقا للمألوف .

أيها السادة :

لقد عقد مؤتمر المجمع السابق تسع جلسات فيما بين ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٥٣ و ١٥ من يناير سنة ١٩٥٤ استمع فيها إلى خمسة عشر بحثا فى شئون اللغة والأدب ، ومسايرة للإيجاز أمسك عن ذكر موضوعات القول وأسماء القائلين . وعرضت فى أثناء هذه المدة مصطلحات فى الطب وعلم الحيوان والرياضة والكيمياء وغيرها من العلوم وألفاظ شتى تتصل بمسميات الحضارة وتربو على خمسمائة . كما نظر المؤتمر فى اقتراحات ومراجعات تتصل بأغراضه . وهى مفصلة فى محاضر الجلسات يقدمها المجمع ويعرضه لكل راغب فى الاطلاع . أما مجلس المجمع فهو يعقد جلساته الأسبوعية على مألوف عادته . وفى دورته الماضية عنى كبير العناية بدراسة ألفاظ الحضارة الحديثة التى تجرى فى الحياة العامة ؛ لكى تكون هذه الألفاظ مددا للمعجم الوسيط الذى تهيأ الأسباب لطبعه ، كما أقر المجلس بعض الصيغ التى توسع أقيسة اللغة ، وكثيرا من مصطلحات العلوم . وتظر كذلك فى المسابقات الخاصة بتشجيع الإنتاج الأدبى واستجاب المجمع لدعوات المؤتمر العلمى ومؤتمر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والمؤتمر الدولى للمستشرقين ، وكما يستجيب المجمع لأمثال تلك الدعوات فإنه يتلقى بالترحاب شتى الاستفتاءات اللغوية والملاحظات على أعماله أو طلب المعونة العلمية على أوسع نطاق .

وفى هذا العام صدر الجزء السابع من مجلة المجمع وأعد الجزء الثامن للطبع . ونأمل أن تجيزه المطبعة فى القريب . والجزء التاسع يعد الآن للطباعة .

ولجان المجمع ماضية فى اجتماعاتها ، كدأبها من قبل ، مستعينة بالخبراء الفنيين من أساتذة الجامعات وغيرهم لأداء الأعمال الموكولة إليهم .

أيها السادة :

إنى حين أحرص على الإجمال فى ذكر أعمال المجمع وشئونه الداخلية فى عام مضى ــ لكى أتجنب الإسهاب فى سرد جزئيات قد يمل سردها ــ يطيب لى أن أنبه إلى ظاهرة ملحوظة تبدو فى حرص لغوى خاص يسايره وعى عام وتذوق وتقدير للغة العربية .

وتبدو لى ظاهرة الحرص اللغوى الخاص شاخصة ومجسمة فى صورة إحدى جلسات المجمع : فى صورة قريبة وحبيبة تناقش الأعضاء فيها حول ألفاظ من الحضارة الحديثة . وأن بين الأعضاء من تميل به نزعة حكيمة فى إلباس المعانى حروفا عربية ، ولو أدنى ملابسة لكى تبدو المعانى فى زى موحد اللون ألفته النفوس وتعودت صيغه الأفهام من زمن موروث بعيد ، وإلا يتيسر للدخيل أن يطغى فى غزوه فى رحاب الأصيل . وتجرى العادة بين أعضاء المجمع حين يناقشون على أن يعتز بعضهم بآراء البعض وأن يلذ لهم

الاستماع إلى ما يدور بينهم من جدل وحوار . والحديث بين المجمعيين كثيرا ما يمتزج بمرح بريء من أخوة في العلم وتضافر صحيح في سبيله . وفي تلك الجلسة وقعت تحت نظر الأعضاء كلمة (الكادر) وهي من الكلمات الجارية على الألسن والأقلام بين المثقفين في الدواوين والعاملين فيها . وفي غمرة الحديث الباسم إذا بصوت يوصى بتثبيت الألف المتوسطة في رسم هذه الكلمة وترسم بألف متوسطة مخافة أن تلتبس هذه الكلمة بالكدر إذا خلت من هذه الألف . وبدا لأحد الأعضاء أن يقول : وما علينا لو استبدلنا بالكاف قافا وقلنا القدر وكتبنا "القدر" لعلها تستقر عند الديوانيين يوما . ولم يفوت زميلنا الدكتور طه حسين ذلك الحديث الباسم دون أن يستشهد باللغة وبآي من القرآن في تأييد كلمة "القدر" ولم يبق له أن يأخذ بنظرية التسجيل على إطلاقه وهي النظرية التي كانت تنزع إلى تغليب المأنوس والجاري في كل ديوان . وطاب للأعضاء في كثرتهم أن يوافقوا زميلنا الكريم ما دام في اللغة العربية من الألفاظ ما يمكن إحياؤه واستخدامه وإنعاشه بالدعاية إليه حتى ولو على حساب المأنوس على اللسان من اللغة التي يضعها ويجريها الإنسان . أليس فيما أذكر دليل على ما أسميه بالحرص اللغوي حتى لو افتقد هذا الحرص أملا قويا في فوز كلمة يطول عليها الهجر والنسيان . ولكنها تعتمد على الله وتتشجع لتقف أمام كلمة جارية بمزاحمة ومهاجمة . ورب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة .

ولمناسبة هذه الصورة الشاخصة في ذهني من حياة المجمع : أيصح أن يستنجد المجمع بالصحافة وهي خير من يعلم أن الدعاية هي من أقوى الأسلحة التي تعين على النصر ؟ هلا تكون الصحافة للمجمع ظهيرا فيما يصح إحياؤه من ألفاظ اللغة الطيبة التي ارتضتها الصحافة لنفسها معبرة بين جميع الناطقين بالضاد ؟ أرجو أن يكون فيها السند العظيم حتى لو طاب لها التفكه على حساب المجمعيين حينا بعد حين .

أما الوعي والتذوق اللغوي العربي العام فكثيرا ما يبدو ذلك فيما يلاحظ من مناقشات الصحف على اختلافها وما تحفل به من ألوان النقد والتوجيه في شؤون الكلمات والعبارات والأساليب .

ولقد لاحظت كما لاحظ غيري مرارا أن من بين حملة الأقلام وكتابنا المعروفين من يساجله قارئوه ويراجعونه ، حين يقدرون في كاتبهم الأثير المحبوب مظنة أخطاء في اللغة أو في التراكيب ، فيريدون إبراءه منها وتنزيهه عنها ، مما فيه الدليل على أن هذه اللغة العربية يشعر لها أهلها من صميم قلوبهم بغيرة شديدة ولا يغفلون عليها بحياطة وصون من النزعات والزلات والأهواء والهنات .

وقد أضيف إلى ذلك ما يبديه خيرة المعلمين في بعض المعاهد والمدارس من نشاط ملحوظ حين يعدون البحوث وقوائم الكلمات والأساليب ويرسلونها إلى المجمع للاستفتاء في استعمالها أو في مجانبتها . وربما تتاح لزميلنا الأستاذ حامد عبد القادر فرصة لتنظيم ذلك النشاط الحميد المشكور . وقد نجد إلى جانب هؤلاء المعلمين طائفة من خيرة المشتغلين الدارسين في أصناف العلوم والمعارف يعشقون اختيار ألفاظ عربية لمدلولات والمسميات الأجنبية ، فمن نحو شهر قرأت في جريدة كبيرة سيارة :

"جريدة الأهرام" عبارة (الماضوم) ليدل بها واضعها الزراعى على ضرب من ضروب الثمار المولدة لبعض المواد. وذكر لى زميلنا الأستاذ تيمور أنه وجد فى ناحية من نواحى الأقطار العربيــة استخدام عبارة (الحافلة) لتلك العربات النوافل التى تحمل المسافرين. ولقد ذكر لى بعض أبنائنا من محررى المجمع أن أحد المحترفين الفنيين من المتجددين وضع لافتة على متجره ليثبت عليها لفظة (الأرائك)، ويستخدمها بدل ما يجرى على ألسنة الناس من عبارة "الكنبات" المألوفة، مما دعا بعض زملائنا لأن يستسيغ لفظ المتكأ للفظ (الفوتيل) الجارى والمألوف. وقد لاحظنا من زمن غير بعيد أن لفظة أجزاخانة التى كانت تعنون بهـا الصيدليات كادت تختفى لتحل محلها عبارة الصيدلية.

وتعمل فى بيتى صبية ساذجة استقدمتها من قريتى، ويطيب لهـا أن تقوم بعصر الفاكهة حين أحتاج لهذا العصير. وكثيرا ما أبتاع تلك الثمرات التى يطلق عليها اسم "الجريب فروت" ولا أذكر لأى مناسبة سمعت فيها زميلنا الأمير الشهابى وقد أطلق على هذه الفاكهة اسم "ليمونة الجنة": أكانت المناسبة جلسة جمعتنا فدارت فيهـا كؤوس من شراب طهور؟ أكانت فى لفتة اشتركنا فيها عند متجر فاكهى فلمحت فيه ثمرات غضة بضة؟ إنى نسيت. وإن الذى أقصد إليه من هذا أنى سألت الصبية ممازحا ذات مرة عما إذا كان لديها ما يصح أن تعصره من "ليمونة الجنة". فوقعت هذه العبارة من أذن "صغيرة موقع القبول. والحرف العربى يطيب حقا فى فم من لم يدمن فمه الحرف الأعجمى. وأصبحت الفتاة تردد على لسانها "ليمون الجنة" وكان كثيرا ما يتعثر بعبارة "الجريب فروت". وأخذها عنها بواب الدار عندما يكلف شراء هذه الفاكهة. ولعل الفاكهى المتروى فى ركن من أركان الحى الذى أسكن فيــه يأخذ هذا الاسم ويذيعه. فإذا غزت ليمونات الجنة المنطقة التى تقع فيهـا دارى فالفضل راجع للعلامة الشهابى أولا وآخرا.

أيها السادة :

إن كل عصر من العصور له شؤونه ومقتضياته ونزعاته ووثباته التى تهيئ ميدانا لجريان بعض الألفاظ وانطلاقها فى أوسع مدى وأشد نشاط. ومحيطنا القومى الناهض ووقتنا الحاضر فياض بكلمات الثورة والتحرير والتطهير والإصلاح والصلاح. فهى كلمات طالما تتردد على ألسنة الخطباء فى الجماهير وتتعلق بأقلام الكتاب فى المنبر الصحفى العام. وقد تتركز معانى هذه الكلمات عند معنى واحد هو العمل لاستبقاء الأصلح والأقوى فى كل شىء وفى كل شأن من شئون المواطن والإنسان، واللفظ شأن عظيم من أهم شئونه بل هو من أكبر مميزاته...... وفى اللفظ سر محرك حين يقع على السمع وفى النفس، بل له سر ملهم ومؤثر ومصور. ولقد صدقت كاتبتنا "باحثة البادية" حين قالت: «اللسان والقلم رسولا القلب إلى الناس أو هما جدولان صافيان تنعكس عليهما صورة النفس وما حواليهـا من الصفات، وإن شئت فقل هما سلك كهرباء بين ذهن المرء ومن يخاطبه أو يكتب له، ينقل عنه رسالة أخلاقه حرفا حرفا بلا زيادة ولا نقصان.

والفضائل والرذائل كامنة فى الأشخاص لا يبدى زنادها إلا الأقوال والأفعال » .

وأحسنت وصدقت كاتبتنا "مى" حين سألت عن معنى الكلمة بقولها : ما الكلمة ؟ الكلمة التى تبين الحركة والإشارة والصوت واللون والانفعال ، والكلمة التى تمنى أمرا دون آخر ، وتوقظ عاطفة دون غيرها . ما هى ؟ وما هو سر التقائها ؟ الأبجدية لجميع البشر ، والناس لا يتفاهمون عادة إلا بالكلام . فما هى تلك القدرة المعطاة للبعض ليرسموا بالحروف "وجوه ونوع استدارتها ، والشفاه وحدود ثناياها ، والآفاق واتساعها اللانهائى ، والليل وعمقه وكواكبه والنفس وعجائب خفاياها ؟ كيف تنبض فى الألفاظ المجردة الجامدة حياة سريعة متقدة بثورة الشعور وهيجان الغضب ، وأنين الشكوى ورنين النجاح والظفر ؟ لماذا تهتز الألفاظ تارة كالأوتار ، وتولول طورا كأمواج البحر الهائج ، وتهمس حينا همسا عجيبا كأنما هى منطلق من حقيق الدرارى ومبهم الآمال القصوى ، إلى أن تقول : "إن ذلك لسر تملص من القواعد والنصوص وترفع عن أن تقبه الضمائر إلى الألسنة وهو كل مقدرة الكاتب أو كل ضعفه".

وفى الحق إنه سر عظيم ذلك السر الذى تساءلت عنه "مى" إنما هو سر اللغة والحروف المستخفى وراء جرسها المبين ، والرابض فى صميم ذاتيتها وعبقريتها . وقد يدرك ذلك السر بهداية من الله حين يتاح للمجتهد الموفق أن تواتيه ملكاته الناطقة الصافية فيرجع إلى ركام موروث من الفلتات اللفظية المخترنة فى مناطق النفس الواعية والغافلة والوسنانة ويجد فى هذا الركام ما يحرك الحساسية الذوقية الخاصة التى تهز أهل لغة من اللغات فتوحى إليهم عن سبيل اللفظ السليم النابض بالحيوية ، والحافظ بالإشراق ، والمتألق فى الجمال والوضوح . توحى إليهم صورا زاهية من صور الماديات والمعنويات ، وتحرك منهم النزعات الذاتية العميقة المستكنة فى خفايا ضمائرهم وحنايا قلوبهم ووجداناتهم حين يحسون بذواتهم القومية المعتزة وذواتهم الإنسانية العاطفة .

وإنى حين أتذكر أبرز الكلمات التى تجرى اليوم فى محيط العروبة وفى أسواقها سواء أكانت فى عبارة ثورة أم عبارة تحرير أم تطهير أم صلاح أم إصلاح ، أجدها تجتمع عند قطب واحد يتمثل فى نزعة التغيير النشيط السريع من مفضول إلى أفضل ومن سيء إلى حسن ومن سقيم إلى سليم .

والإرادة والعزم والصدق فى الإنسان هى أشد عامل فى هذا التغيير . فإذا كان المعنى العام والأمل الشامل للثورة الشعبية الرشيدة يتزع للصالح العام ، ولتناول الإصلاح فى كل ناحية وفى كل مرفق من مرافق الجماعة ؛ فإن هذه الثورة لن تغفل اللغة فيما ينبغى من حاجاتها من الإصلاح والترقى ، لأن اللغة هى أكبر مرفق لنفسية الأمم وأعز حصن لروحانية الشعوب .

وإن خير أداة لضبط هذه اللغة فى سلامتها وصفائها ، هى ما اصطلح الناس على تسميته بالمجامع اللغوية . فهذه المجامع تربط بين صفوة من حملة الأقلام ومن أهل الفكر والذوق ، وليس أعز عليهم فى مقاصدهم وأهدافهم من أن يعملوا لصقل اللفظ وتصفية الأسلوب وسلامة التركيب

وتحد الذوق البيانى . فكل مايستسيغون يصح أن يسود الناس استساغته ، وكل ما يروجونه يحق للناس أن يروجوه ، واللفظ الطيب والأسلوب الطيب ترويجه الممارسة والدعاية والرعاية . ولا تحتاج الدعاية للغة إلا للقلب المعتز بها وبالقومية الكريمة ، ولا تحتاج الرعاية إلا لأهل الغيرة والثائرين الأحرار الذين لا يرضون إلا بالأوفى وبالأحسن فى لغة الناس وفى عمل الناس .

أيها السادة :

معذرة إذا شط بى القول قليلا عن القدر المحدد من سرد أعمال المجمع ، ولأعد إلى أعمال المؤتمر المجمعى الذى تشهد الآن يوم افتتاحه ، فقد رئى أن تتضمن أعماله فيما تتضمن دراسة موضوعين هما : "الإعراب فى اللغة" و"مدى حق العلماء فى التصرف فى المصطلحات العلمية" .

وأن يتولى الزميل الدكتور طه حسين دراسة الموضوع ، الأول وأن يتولى الزميل الدكتور إبراهيم بيومى مدكور دراسة الموضوع الآخر ، وأن تخصص لكل من الموضوعين جلسة علنية يشترك فيها جمهرة الباحثين من غير أعضاء المجمع .

ونحاول أن نعرض فى هذا المؤتمر ما أقره المجلس من المصطلحات والاقتراحات فى الدورة الماضية والدورة الحاضرة ومواد الجزء الثانى من معجم ألفاظ القرآن الكريم والجزء الذى يطبع من المعجم الكبير ودراسات ومحاضرات يتقدم بها الكثيرون من حضرات أعضاء المجمع . وإننا لنرجو أن يوفقنا الله جميعا إلى خدمة اللغة ، وأن يثيب كل من عملوا فى سبيل تلك الخدمة ، وأن يجزى الجزاء الأوفى كل من تقدم خطوات فى تحقيق ما وكل إلى المجمع من أغراض ، وما نيط به من آمال .

القسم الأول

بحوث مجمعية

١- فى الأدب والنقد

فن منكور من الأدب الجاهلى

للأستاذ إبراهيم مصطفى
عضو المجمع

لما نشط النقد فى العصر الحديث اتجه إلى درس الأدب الجاهلى ، وكان لابد له من ذلك لأن الأدب الجاهلى بمثابة الأصل ونقطة البدء.

تناول النقد الشعر والنثر ، وجال فنون النثر : المثل السائر ، والحكمة الموجزة ، وسجع الكهان ، والخطبة . وترك النقد فنا واسعا غزير الإنتاج لم يتناوله الدرس ولم يتراء فى أفق البحث ، وهو فن القصص .

هذا القصص على إنكاره غزير فى كتب الأدب ، لا نكاد نقرأ فى الأغانى والنقائض وبعض كتب التاريخ حتى تطالعنا هذه الروايات القصصية متتالية متتابعة .

أذكر مثلا فى كتاب الأغانى (الجزء التاسع) فى ترجمة زهير بن أبى سلمى القصة الآتية :

قال الحارث بن عوف بن أبى حارثة : " أترانى أخطب إلى أحد فيردنى ؟ "

قال : " نعم " .

قال : " ومن ذاك ؟ " .

قال : "أوس بن حارثة بن لأم الطائى".

فقال الحارث لغلامه : " ارحل بنا " .

ففعل . فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة فى بلاده فوجداه فى منزله . فلما رأى الحارث ابن عوف قال : " مرحبا بك ، ياحارث ".

قال : " وبك " .

قال : " ما جاء بك ، ياحارث ؟ "

قال : " جئتك خاطبا " .

قال : " لست هناك " .

فانصرف ولم يكلمه .

ودخل أوس على امرأته مغضبا — وكانت من عبس — فقالت : " من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه ؟ "

قال : "ذاك سيد العرب الحارث بن عوف ابن أبى حارثة المرى " .

قالت : " فمالك لا تستنزله ؟ "

قال : " إنه استحمق "

قالت : " وكيف؟"

قال : " جاءنى خاطبا "

قالت : " أفتريد أن تزوج بناتك ؟ "

قال : " نعم "

قالت : "فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ "

قال : " قد كان ذلك " .

قالت : " فتدارك ما كان منك "

قال : " بماذا ؟ "

قالت : " تلحقه فترده "

قال : " وكيف . وقد فرط منى ما فرط إليه ؟ "

قالت : " تقول له : إنك لقيتنى مغضبا بأمر لم تقدم منى فيه قولا . فلم يكن عندى فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندى كل ما أحببت . فإنه سيفعل" .

فركب فى أثرهما .

قال خارجة بن سنان : " فوالله إنى لأسير إذ حانت منى التفاتة فرأيته . فأقبلت على الحارث — وما يكلمنى غما — فقلت له : هذا أوس بن حارثة فى أثرنا" .

قال : " وما نصنع به ؟ امض " .

فلما رآنا لا نقف عليه ، صاح : " ياحارث اربع علىّ ساعة " .

فوقفنا له . فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا . فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته : " ادعى لى فلانة " . لأكبر بناته .

فأتته فقال : " يابنية . هذا الحارث بن عوف : سيد من سادات العرب قد جاءنى طالبا خاطبا . وقد أردت أن أزوجك منه . فما تقولين ؟ "

قالت : " لا تفعل " .

قال : " ولم ؟ "

قالت : "لأنى امرأة فى وجهى ردة ، وفى خلق بعض العهدة . ولست بابنة عمه فيرعى رحمى ، وليس بجارك فى البلد فيستحى منك ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى ، فيكون علىّ فى ذلك ما فيه "

قال : " قومى بارك الله عليك . ادعى لى فلانة " . لابنته الوسطى . فدعتها . ثم قال لها مثل قوله لأختها . فأجابته بمثل جوابها وقالت : "إنى خرقاء ، وليست بيدى صناعة ، ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون علىّ فى ذلك ما تعلم . وليس ابن عمى فيرعى حقى ، ولا جارك فى بلدك فيستحييك "

قال : " قومى بارك الله عليك . ادعى لى بهيسة " يعنى الصغرى . فأتى بها . فقال لها كما قال لهما .

فقالت : " أنت وذاك "

فقال لها : "إنى قد عرضت ذلك على أختيك ، فأبتاه " .

فقالت ، ولم يذكر لها مقالتيهما : "لكنى والله — الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أبا ، فإن طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير" .

فقال : " بارك الله عليك "

ثم خرج إلينا فقال : "قد زوجتك ، ياحارث ، بهيسة بنت أوس " .

قال : " قد قبلت " .

فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها . ثم أمر ببيت فضرب له ، وأنزله إياه .

فلما هيئت بعث بها إليه . فلما أدخلت إليه ، لبث هنيهة ، ثم خرج إلىّ .

فقلت : " أفرغت من شأنك ؟ "

قال : " لا والله " .

قلت : " وكيف ذاك ؟ "

قال : " لما مددت يدى إليها قالت : أعند أبى وإخوتى . هذا والله ما لا يكون " .

قال فأمر بالرحلة فارتحلنا ، ورحلنا بها معنا فسرنا ما شاء الله .

ثم قال لى : " تقدم " . فتقدمت . وعدل بها عن الطريق . فما لبث أن لحق بى . فقلت : " أفرغت ؟ "

قال : " لا والله " .

قلت : " ولم ؟ "

قال : "قالت لى : أكما يفعل بالأمة الجليبة ، أو السبية الأخيذة ؟ لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلى " .

قلت : "والله إنى لأرى همة وعقلا . وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله " .

فرحلنا حتى جئنا بلادنا . فأحضر الإبل والغنم . ثم دخل عليها . وخرج إلى .

فقلت : " أفرغت ؟ "

قال : " لا "

قلت : " ولم ؟ "

قال : " دخلت عليها أريدها وقلت لها : قد أحضرنا من المال ما قد ترين " .

فقالت : " والله لقد ذكرت لى من الشرف مالا أراه فيك "

قلت : " وكيف ؟ "

قالت : " أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها " (وذلك فى أيام حرب عبس وذبيان) .

قلت : " فيكون ماذا ؟ "

قالت : " اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك " .

فقلت : " والله إنى لأرى همة وعقلا ؛ ولقد قالت قولا " .

قال : " فاخرج بنا " .

فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح . فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى . فيؤخذ الفضل ممن هو عليه .

فحملنا عنهم الديات . فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين . فانصرفنا بأجمل الذكر .

قال محمد بن عبد العزيز : فمدحوا بذلك . وقال فيه زهير بن أبى سلمى قصيدته :

" أمن أم أوفى دمنة لم تكلم "

فذكرهما فيها فقال :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم
مغانم شتى من إفال المزنم
ينجمها قوم لقوم غرامة
ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وذكر قيامهم فى ذلك فقال :

" صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو "

وفى قصيدة يقول فيها :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها

وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

وهذه لم نعرف إلى الآن .

ورجع فدخل بها فولدت له بنين وبنات .

* * *

هذه هى القصة : ونحن نعلم أنها كانت فى حرب داحس والغبراء وقد طالت هذه الحروب بين عبس وفزارة ، وانتهت بصلح قام به الحارث بن عوف وهرم بن سنان .

وكان الحارث أكثر حملا للديات ، ولكن هرما انفرد بثناء زهير . ويكاد يكون شعر زهير مدحا لهرم وتمجيدا لعمله . أما الحارث فلم يجد من يشيد بما قام به من عمل فاستعان الحارث بموهبة القصص فصنعت له هذه القصة — والوضع فيها ظاهر ، والغرض منها نسبة المجد كله إلى الحارث بن عوف . ولكن عرف الشاعر وجهل القاص ؛ لأن من تمام القصة وإظهارها بمظهر واقعى جهل صانعها .

* * *

تمام التفصيل لهذا الموضوع أن بنى غطفان كانوا يسكنون جنوبى شرق الأردن ويشتغلون بالتجارة فيما بين المناذرة والغساسنة ، أى بين بلاد الفرس والروم . وذلك أن الحروب لما تتابعت بينهما انقطعت سبل التجارة ، فاشتغل بها العرب وأثروا ، وكانت الطريق فى يد بنى غطفان والذين يسكنون نجدا من طىء من ناحية أخرى .

وكان يشرف على تجارة غطفان قبيلة عبس وذبيان وعلى رأسهما زهير بن جذيمة . فلما مات وخلفه ابنه قيس اختلفت عبس وذبيان ، ثم قامت حرب داحس والغبراء . قيل إنها كانت بسبب رهان . وهى فى الواقع كانت بسبب التنافس على التجارة . وكانت طىء تشتغل أيضا بالتجارة ، ويشهد لإثرائها كرم حاتم الطائى . ولولا أنه كان غنيا لما وصف بالكرم ولا أتى عليه ولو ذبح ولده إكراما لضيفه . ويشهد لها أيضا بالثروة والاشتغال بالرياسة أن إياس بن قبيصة تولى سلطان الحيرة بعد المناذرة . وقد سعت طىء فى سبيل الصلح بين العرب رغبة منها فى تيسير سبل التجارة إذ كان لابد للتجارة من استتباب الأمن ، وهذا يفسر لنا أن طيئا يطلب إليها السعى فى الصلح فتمتنع ثم تجيب .

هذه القصة ترينا روح التاريخ ومجراه ، وإن كانت لا تصدق فى تفصيل أجزائه ودقائقه .

* * *

وقصة أخرى نعرفها ، هى قصة ليلى العفيفة والبراق .

نشأ البراق قويا شجاعا وأحب ابنة عمه ليلى — وكل محبوبة عند العرب " ليلى " — وخطبها . فقبل عمه ورضى ولكن ملكا من ملوك اليمن يقال له عمرو بن ذى صبيان خطب ليلى . فانكأ أبوها فى إجابة البراق . فغضب البراق وهرب .

وقامت الحرب بين ربيعة واليمن فعاد البراق ليساعد قومه . وانتهت الحرب بتغلب ربيعة على اليمن . ورأى للبراق الظفر بمحبوبته ، ولكن

الظروف لا تواتيه ؛ فبعد أن تخلصت القبيلة من سلطان اليمن، هاجمها الفرس واختطفوا ليلى، فثار البراق ثانية .

وما زالت ليلى تستغيث حتى غلب الفرس واستخلص البراق محبوبته وتزوجها وخلفا بنين وبنات .

هذه قصة ملامحها واضحة . ونحن نعلم أن ربيعة خضعت لليمن ومنهم ملوك كندة . ونعلم أن بنى أسد قتلوا آخر ملوك كندة وهو " حجر " والد امرئ القيس ، كما نعلم أن عرب الشمال وإن كانوا قد تخلصوا من سلطان اليمن إلا أنهم لم يتخلصوا من سلطان الفرس والروم، وكان سلطان الفرس أقسى وأشد، ثم يعامل العرب بالقهر والقسر . واستطاع العرب أخيرا أن يتحرروا من الفرس فى يوم ذى قار، ونالت ربيعة حظا من الاستقلال .

هنا نرى أن هذه القصة تمس روح التاريخ وتمثل مجراه ، فهى تجعل ليلى مثال استقلال القبيلة وثروتها، وتجعل الشبان يتجهون إلى التخلص من سلطان اليمن ، ولا يرغب الشيوخ فى ذلك . وتقوم الحرب فيتحرر العرب من اليمن أولا ، ثم لا يلبثون أن يتحرروا من سلطان الفرس بعد ما رزحوا تحت أعبائه .

ونحن إذا أخذنا هذه القصص على أنها تاريخ وقرأناها على أنها حوادث كتبتها الأيام ولم يكتبها القصاص ضاع منا أمران :

أولا — التاريخ . لأن هذه الروايات لا تثبت أمام النقد . وإذا قبلناها على أنها تاريخ . كان هذا التاريخ ممزقا .

ثانيا — فن القصص فى الأدب الجاهلى فكأننا بقبولنا هذه القصص على أنها تاريخ لا نعترف بهذا الفن — وهو فن غزير الإنتاج — وكأننا شوهنا التاريخ إذ جعلنا هذه الأكاذيب أصلا من أصوله . وبذلك تضيع الحقيقة وحسبنا ضياع الحقيقة فهو أنكى من ضياع فن القصص .

لقد نجح الفن القصصى فى الأدب الجاهلى نجاحا كبيرا، وصنع لنا مثلا من الرجال ونماذج من النساء استشهد بها فى الشعر والنثر .

مثال ذلك : جزاء سنمار . مواعيد عرقوب ، أوبة القارظ العنزى ، سداد الرأى والنظر لدى زرقاء اليمامة، حديث خرافة . . .

كل هذه شخصيات ومثل صنعها القاص العربى فاستقرت وصارت جزءا من الأدب وكلام الناس . ونحن ننكر فن القصص العربى إذا اعتبرنا هذه القصص أصلا من أصول التاريخ . وقد تمثل الرسول عليه الصلاة والسلام ببعض هذه الأمثال إذ قال لعائشة رضى الله عنها : " أنا لك كأبى زرع لأم زرع " .

وحديث أبى زرع ورد فى البخارى " باب حسن معاملة النساء من كتاب النكاح " : وقد جلست إحدى عشرة امرأة (فى البخارى جلس بغير تاء) يذكرن أزواجهن وتعاهدن وتعاقدن على ألا يكتمن شيئا . فذكرت ست منهن أزواجهن بأنواع مختلفة من العيب، وأثنت على خمس منهن . وكان خير الثناء وأوسعه على أبى زرع ، وبه تمثل المصطفى .

والشراح على توسعهم لا يذكرون اسم زوج ولا زوجة من هؤلاء إلا أبا زرع وأم زرع ، ويختلفون فى المكان والزمان .

وروح الوضع ظاهر فى القصة ، وهى قصة لطيفة عما يكون بين الزوج وزوجه فيا يمدح ويذم . واستشهاد الرسول بها فى كلامه دليل على أن القصة كانت قبل الإسلام .

وهذا القصص الذى خلق لنا المثل تراه واضح الخصائص كما كان الشعر الجاهلى فى جملة القصيدة : فالشعر يتصل بالحب وذلك من طبيعة القصة ، ويذكر الحرب والنجدة ، ويدنو من المرأة فيصفها بالسلام والرأى السديد ولا يذكرها بالخيانة ولا الانحراف . وهناك مفارقة كبيرة فى تصوير المرأة بين هـذا القصص الجاهلى وبين ما ألف بعد ذلك من قصص ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص الإسلامى ، إذ صورت المرأة فى هذا القصص الأخير بالخيانة والإغراق فيها والغدر والتفنن فيه .

وقد تأثر الشعر الجاهلى بالقصص ، فنحن نجد النابغة يذكر زرقاء اليمامة فى شعره فيقول :

احكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت : ألا ليتما هـذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت
تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها
وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

وهناك قصص من الشعر الجاهلى لا يتحدث عن الناس فقط ولكن عن الحيوان أيضا .

وأحيانا يتصل بالجن ولا يتصل بالآلهة ولا بالملائكة .

وفى قصيدة للنابغة عن المثل المشهور : " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " يقول :

ألا أبلغا ذبيان عنى رسالة
فقد أصبحت عن منهج الحق جائره
أجدكم لن تزجروا عن ظلامة
سفيها ولن ترعوا لذى الود آصره
ولو شهدت سهم وأفناء مالك
فتعذرنى من مُرّة المتناصره
لجاءوا بجمع لم ير الناس مثله
تضاءل منه بالعشى قصائره
ليهنئ لكم أن قد نفيتم بيوتنا
مُنَدّى عبيدان المحلئ باقره
وإنى لألقى من ذوى الضغن منهم
وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره
كما لقيت ذات الصفا من حليفها
وما انفكت الأمثال فى الناس سائره
فقالت له : أدعوك للعقل وافيا
ولا تغشينّى منك بالظلم بادره
فواثقها بالله حين تراضيا
فكانت تديه المال غبّا وظاهره
فلما توفى العقل إلا أقله
وجارت به نفس عن الحق جائره
تذكر أنىّ يجعل الله جُنة
فيصبح ذا مال ويقتل واتره
فلما رأى أن ثمّر الله ماله
وأثّل موجودا وسد مفاقره

أكب على فأس يُحِدُّ غرابها
مذكرة من المعاول باتره

فقام لها من فوق جحر مشيد
ليقتلها أو تخطئ الكف بادره

فلما وقاها الله ضربة فأسه
وللشر عين لا تغمض ناظره

فقال : تعالى نجعل الله بيننا
على مالنا أو تنجزى لى آخره

فقالت : يمين الله أفعل إننى
رأيتك مسحورا يمينك فاجره

أبى لى قبر لا يزال مقابلى
وضربة فأس فوق رأسى فاقره

والأدب الإسلامى تأثر بالقصص الجاهلى تأثرا كبيرا دل على أن روح القصص كانت فى نفس العربى يلجأ إليها للإقناع ، كما تأثر بذلك القصص الشعبى ، فألفت ألف ليلة وليلة وأحاديث الأعراب والمقامات .

وقد تأثر الشعر الإسلامى بالقصص و إن لم يدم طويلا ، وليته دام .

نذكر من هذا شعر عمر بن أبى ربيعة وهو يقص كيف سعى إلى محبوبته فى قصيدته التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر

يقول فيها :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت
مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه
وروح رعيان ونوم سمر

وخفض عنى الصوت أقبلت مشية ال
حباب وشخصى خشية الحى أزور

فحييت إذ فاجأتها فتولهت
وكادت بمكتوم التحية تجهر

وقالت ، وعضت بالبنان : فضحتنى
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف
رقيا وحولى من عدوك حضر

فوالله ما أدرى أتعجيل حاجة
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى
إليك وما نفس من الناس تشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها :
كلاك بحفظ ربك المتكبر

فأنت أبا الخطاب غير مدافع
على أمير ما مكثت مؤمر

فبت قرير العين أعطيت حاجتى
أقبل فاها فى الخلاء فأكثر

فيا لك من ليل تقاصر طوله
وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

ويا لك من ملهى هناك ومجلس
لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكى المسك منها مفلج
نقى الثنايا ذو غروب مؤشر

تراه إذا ما افتر عنه كأنه
حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلى كما رنا
إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل إلا أقله
وكادت توالى نجمه تتغور

أشارت بأن الحى قد حان منهم
هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعنى إلا مناد ترحلوا
وقد لاح معروف من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنبه منهم
وأيقاظهم قالت: أشر كيف تأمر؟

فقلت: أباديهم فإما أفوتهم
وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح
علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فإن كان ما لا بد منه فغيره
من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختى بدء حديثنا
ومالى من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تطلبا لك مخرجا
وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس فى وجهها دم
من الحزن تذرى عبرة تتحدر

فقامت إليها حرتان عليهما
كساءان من خز: دمقس وأخضر

فقالت لأختيها: أعينا على فتى
أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا:
أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى: سأعطيه مطرفى
ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر

يقوم فيمشى بيننا متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنى دون من كنت أتقى
ثلاث شخوص: كاعبان ومعصر

هذه قصته. والناس يختلفون فى ابن أبى ربيعة هل كان فاتكا أو كان قاصا، فقد روى عنه أنه أقسم بأنه لم يرتكب محرما قط. والأمر لا يحتاج إلى قسمه، إن هو إلا قصص الشعراء وخيالهم الخصب يمتد إلى ما لا تصل إليه الحقائق.

وإذا كان القصص الجاهلى بهذه المنزلة والوضوح والغزارة والتأثير فى الأدب الإسلامى، فلم أنكره الناس؟ واضح أنه أنكر لسوء درسه، وتقبله على أنه تاريخ.

والشعر كان يقال فلا ينكر قائله . أما القصص فإذا نسب إلى صاحبه ضاعت قيمته . والناس يرغبون فى أن يجعلوا الخيال حقيقة ، وفى طبيعة العامة شىء من هذا ، وكثير من الأساطير القديمة صار حقائق لا يقبل أحد أن يجعلها خيالا .

وإذا كانت كل الآداب العالمية قد بدأت بالقصص ، كما بدأت بالتغنى ، فلم يشذ الأدب الجاهلى عن الآداب الأخرى فلا يكون فيه قصص ، أرى أنه من الجدير أن نؤمن بأن القصص من فنون الأدب الجاهلى تناوله العرب وأكثروا منه على نحو معروف الخصائص واضح المعالم .

ويجب علينا إذا أردنا أن نعرف حقائق التاريخ الجاهلى أن ندرس القصص على أنه قصص ، فيثبت لنا الفن القصصى ويثبت لنا شىء من التاريخ ما

الصلة بين الشعر والتاريخ السياسى [1]

للأستاذ عبد الحميد العبادى
عضو المجمع

سيدى نائب الرئيس . سيداتى وسادتى :

لقد طلبت إلىّ لجنة الإعداد لمؤتمر هذا العام أن أتحدث فى حفل افتتاحه عن " الصلة بين الشعر والتاريخ السياسى فى القرن الأول الهجرى " فامتثلت ما أشارت به ، ثم تبين لى أن الموضوع متنامى الأطراف ضافى الذيول ، فعمدت إلى أن أجمع أطرافه وأحذف ذيوله بحيث يتناسب والوقت المقدر لإلقائه . وجعلت حديثى شبه جولة فى التاريخ السياسى للقرن الأول الهجرى والشعر العربى المتصل بالتاريخ المذكور .

وأبدأ حديثى بتحديد القرن الأول الهجرى فهو من الناحية الرياضية يبدأ من العام الأول للهجرة وينتهى بسنة ٩٩ أو سنة ١٠٠ للهجرة . ولكن العصور التاريخية لا تلتزم فى تحديدها الدقة الحسابية ، وإنما تلحظ فيها التيارات العامة : سياسية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك ، فتمد حدودها أو تقصر على حسب ما يكون من تلك التيارات . فالقرن التاسع عشر الميلادى مثلا يبدأ فى نظر المؤرخين المحدثين من قيام الثورة الفرنسية فى أخريات القرن الثامن عشر وينتهى بالحرب العالمية الأولى التى وقعت فى العقد الثانى من القرن العشرين . وعلى هذا الاعتبار أحدد بداية القرن الأول الهجرى بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وأختمه بانتهاء الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هجرية إذ انتهى عالم وقام عالم جديد فى الدولة الإسلامية .

***

وليس من شك - سيداتى وسادتى - فى أن القرن الأول الهجرى بحدوده التى ذكرتها هو أهم عصور التاريخ الإسلامى على الإطلاق . فيه اكتملت الدعوة الإسلامية وفيه وضع أساس الدولة الإسلامية وفيه نمت الدولة الإسلامية واتسعت اتساعها المشهور وفيه عظمت تلك الدولة وفيه نشأت الأحزاب السياسية ، وفيه قامت الفرق الإسلامية الأولى ، وفيه وضعت أصول الحضارة الإسلامية من اشتغال بالعلم وجمع السنة وتدوين اللغة وابتداء للفنون الإسلامية . فلا غرو أن يكون ذلك العصر العصر الإسلامى الممتاز إلى جانب كونه العصر الإسلامى الأول .

أية ثورة ! وأى تغيير وتحول ! وأى روح متدفق فياض شمل ذلك كله ، وتغلغل فى ذلك كله !

والذين قاموا بهذه الثورة الهائلة ووجهوها وجهتها هم العرب . وهذا من أعجب العجب . أمة أمية لم تكن فى جاهليتها يجمعها نظام ولم تكن تجد رفاهية عيش بل تعيش فى بوادى الجزيرة

(١) ألقى هذا البحث فى الجلسة الأولى لمؤتمر المجمع فى دورته الحادية والعشرين .

وصحاريها عيشة الضنك والضيق . فما هى إلا أن نفخ فيها الإسلام من روحه حتى انبعثت خلقا جديدا تؤمن بالمثل العليا وتقتحم العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى اجتمع لها ملك ضخم لم يجتمع لدولة واحدة من قبل ولا من بعد . وكان العرب هم الذين أداروا هذا الملك وهم الذين ساسوه .

والعربى القديم — سيداتى وسادتى — تشغفه السياسة وتستهوى فؤاده .

وقد يكون مرجع ذلك بالنسبة لأهل البداوة منهم . تلك الديمقراطية التى كانت تستمتع بها القبيلة العربية القديمة حيث الزعامة والرياسة أبوة حانية رفيقة لا مسيطرة ولا مستبدة وحيث ملأ القبيلة أو ناديها يضم مشيختها وذوى السن والتجاريب من رجالاتها ويجتمع حول نار القرى من آن لآن للطعام والاستدفاء والتشاور فى أمور القبيلة من سلم أو حرب أو نجعة فى طلب ماء أو مرعى أو غارة تشن أو حلف يعقد .

نبئت أن النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

أما بالنسبة لسكان الحواضر فى الحجاز واليمن وأطراف الجزيرة فإن اشتغالهم بالتجارة هو السبب فى ميلهم إلى السياسة . فالتجارة كانت تقتضى منهم أن يكونوا على علم بأحوال الدول المجاورة لهم والتى يتجرون فى أسواقها : أفى سلم هى أم فى حرب ؟ وفى رواج أم كساد ؟ وحال الطرق التى تمر منها قوافلهم : أمأمونة هى أم مخوفة ؟ ولذلك كانوا يعقدون المعاهدات أو الإيلاف الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم . وقد يقع الحدث السياسى الخطير فى داخل الجزيرة أو خارجها فتتجاوب أرجاء الجزيرة بذكره . فانتصار اليمن على الأحباش وطردهم لهم من بلادهم قد هز الجزيرة هزا بحيث تقاطرت وفود القبائل تهنئ البطل اليمنى سيف بن ذى يزن بانتصاره العظيم . ثم إن انتصار ربيعة على الفرس فى يوم ذى قار تردد صداه فى البوادى والحواضر ، وقد ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا " أو كما قال . كما أن انتصار الفرس على الروم فى الشام جعل قريشا تغتبط لانتصار الفرس وهم مجوس على الروم وهم نصارى أهل كتاب . فنزل القرآن بما يقطع شماتتهم وذلك فى أول سورة الروم " الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " وقد كان ما أنبأ به القرآن من غلبة الروم على الفرس . وقد كانت قبائل العرب قاطبة ترقب نتيجة الصراع الرهيب الناشب بين الجماعة الإسلامية الناهضة وبين قريش . فلما تبين لها رجحان الجانب الإسلامى بفتح الرسول مكة عنوة بادرت فأوفدت وفودها إليه معلنة إسلامها ودخولها فى طاعته ، " إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " .

وكما كان العربى القديم — سيداتى وسادتى تشغفه السياسة وتستهوى فؤاده للأسباب التى قدمناها فإنه من ناحية أخرى كان شاعرا يقول الشعر ويتذوقه ويهتز للقاتر البليغ منه أى اهتزاز . وقد يكون هذا عجبا من العجب ، فنحن أهل العصر الحاضر قد نتهم الجماعة العجب إنا

البـــل لنا إن الوزير الفلانى أو السفير الفلانى يقرض الشعر فصار اجتماع السياسة والشعر فى رجل واحد أمرا يثير دهشتنا وعجبنا، ذلك لأننا باعدنا بين الفنين مباعدة كبيرة، فى حين أن العربى القديم وصل بينهما وجعل كلا منهما يمد الآخر ويغـــذوه . والحق أنا إذا نحينا الشعر الغزلى والقتالى جانبا وجدنا جمهرة شعر القرن الأول الهجرى تتصل بالسياسة اتصالا وثيقا؛ ولم يكن بد من ذلك؛ لأن العرب بعد أن أقاموا دولتهم فى صدر الإسلام استقلوا فيها بشئون الحرب والحكم والإدارة والسياسة، فكان لا بد أن تتأثر خاصيتهم الشعرية بأمور السياسة تؤثر فيها . فما من عربى جاش خاطره لحدث من الأحداث العامة إلا و يطلق لسانه بقصيدة أو أبيات من الشعر يضمنها إحساسه إزاء ذلك الحادث . فإن لم يكن ذلك فلا أقل من أن يتمثل بالشعر فى المناسبات العامة المختلفة، وما من خليفة أو أمير إلا وهو شاعر قادر على قول الشعر عند اللزوم أو حافظ للمأثور من الشعر يتمثل به فى مختلف الظروف . و يطول بنا القول إذا ذهبنا نستشهد على ذلك بالأمثلة، فكتب التاريخ والأدب ملأى بالأخبار الدالة على صحة تلك الدعوى .

غير أننا نلحظ ــ ميداق وسادتى ــ أن الأربعين سنة الأولى من القرن الأول الهجرى قد شهدت فيها جذوة الشعر العربى خمودا ظاهرا وأن الذين قالوا فيهـا الشعر لم يكن شعرهم من الصناعة والقوة بالدرجة التى كان عليها الشعر الجاهلى أو الشعر الإسلامى الذى قيل بعد الفترة المذكورة . والسبق فى ذلك أن القرآن من ناحية، والخطب والأحاديث النبوية من ناحية أخرى قد بهرت الشعراء إذ جاءتهم بأسلوب غير الأسلوب الذى عهدوه وألفوه ؛ فقد جاءهم القرآن بنمط من القول أخاذ معجز بليغ ، مع أنه مباين لما ألفوا من القصيد الموزون المقفى . وجاءت خطب الرسول وأحاديثه بغير ما كان يأتى به خطباء العرب وكهانهم من فقرات مسجوعة ليس فيها ما فى الخطب والأحاديث النبوية من سهولة وقوة و جمال . فكان كل ذلك مما أدى إلى استخذاء الشعراء وانصرافهم فى تلك الفترة عن الشعر إلا قليلا من شعر متوسط الجودة نجده مبثوثا فى أخبار السيرة النبوية على الخصوص ، وقد يكون السبب فى انصرافهم عن قرض الشعر ما ورد فى القرآن والحـديث عن الشعر والشعراء . من ذلك قول القرآن الكريم فى سورة الشعراء " والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " .

وقد جاء فى بعض الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم قال " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا " ومثل قوله وقد ذكر امرأ القيس " هـذا رجل مذكور فى الدنيا منسى فى الآخرة يأتى يوم القيامة يحمل لواء الشعراء إلى النار " ولا شك أن ذلك كله محمول على نوع خاص من الشعراء وهم الذين كانوا يسخرون منهم فى إثارة العصبية والنيل من أعراض الناس أو فى العبث والمجون . وأما غير هؤلاء فليسوا مقصودين بالآية القرآنية والأحاديث الشريفة . وكلنا يعلم أنه عليه السلام

ندب الشعراء من أصحابه كحسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة أن يردوا على شعراء قريش الذين كانوا يهجونه عليه السلام كما يروى أنه عليه السلام سمع شعر قتيلة بنت النضر بن الحارث وكان الرسول قد قتل أباها . فقال عليه السلام " لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته " وكما روى قوله " إن من الشعر لحكما " وقد سمع لامية كعب بن زهير وخلع عليه بردته . فلما انقضى عصر النبوة والخلفاء الأربعة وأفاق الشعراء من الدهشة التي استولت عليهم لبلاغة القرآن الكريم والحديث النبوى وزال عنهم ما كانوا يشعرون من حرج في قول الشعر ، لما كان ذلك انطلقت قرائحهم تجود بالبليغ من الشعر الذى يزرى في كثير منه شعر المتقدمين والمتأخرين جميعا . ولقد أذكت قرائحهم وأطلقت ألسنتهم تلك الأحداث السياسية الجسام التي وقعت على مرأى منهم ومسمع .

وإذا تتبعنا — سيداتي وسادتي — الأصل الذى ترد إليه معظم الأحداث السياسية في القرن الأول الهجرى وجدناه يدور حول الخلافة وولاية الحكم . وتبتدئ تلك الأحداث بقصة الشورى واختيار الخليفة الثالث ، فقد بان في أمر الشورى التنافس الشديد بين الهاشميين يمثلهم على بن أبي طالب ، والأمويين يمثلهم عثمان ابن عفان . وقد فاز الأمويون واختير عثمان بن عفان فنقص بذلك الفريق الآخر فريق الهاشميين ومن والاهم . ثم عبر عثمان السنوات الست الأولى من خلافته دون أن يقع شيء من آثار الخلاف بين الحزبين لانصراف الدولة إذ ذاك إلى أمر الفتوح ، ثم أخذت نوازع الخلاف على عثمان تبدو في الأمصار : في البصرة والكوفة ومصر . وأخذ الناس يتعدون على أمرائهم ثم على الخليفة بأمور ما كان يكون لها كبير أثر لو أن الأحوال كانت طبيعية في العاصمة وفي الأمصار . ولكن الجو في المدينة كان يسوده الفتور والمعارضة المتمة من جانب الأنصار والهاشميين . أما الأنصار فكانت المعارضة فيها حامية عنيفة . ثم يستفحل الخطب ويضطرب الأمر ويسير معارضو الأنصار إلى المدينة فلا يجدون من يصلح الجو . ولا يجدون من الخليفة إذعانا لمطالبهم فيحاصرونه في داره ثم يقتحمونها عليه ويقتلونه ظلما وعدوانا . ولم يكن الثوار بد من أن يولوا عليا ، فولوه الخلافة ؛ وعند ذلك نصب له الأمويون الخلاف وتزعمهم في ذلك معاوية . ثم كانت الحرب بين على ومعاوية ، وكانت قصة التحكيم بينهما . فلما قتل الخوارج عليا انفرد معاوية بالأمر واستقر له ولأسرته الخلافة نحوا من ثمانين سنة .

***

وقدساير الشعر أحداث هذه الفتنة الكبرى مسايرة لا بأس بها ، بالقياس إلى ما وصلنا من الشعر الذى قيل فيها وهو ليس بكثير ، فقد رثى حسان بن ثابت عثمان بجملة مقطوعات نعرف فيها صدق العاطفة وشدة التأثر وقوة النذر بما قد ينتج عن الحادث من ويلات وشرور :

إن تمس دار بنى عفان خالية
باب صريع وباب محرق خرب

فقـد يصادف باغى الخـير حاجته

منها ويأوى إليهـا الذكر والحسب

يأيها النـاس أبدوا ذات أنفسـكم

لا يستوى الصدق عند الله والكذب

إلا تنيبوا لأمر الله تعـترفوا

كتائبا عصبا من خلفها عصب

***

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

يقطع الليـل تسبيحا وقـرآنا

لتسمعن وشيكا فى دياركم

الله أكـبر ياثارات عثمانا

ولما وقعت حرب صفين كان القوم يترامون فيها بالشعر كما يترامون بالنبل. وكان النجاشى شاعر أهل العراق كما كان كعب بن جعيل شاعر أهل الشام: كان كل منهما يرثى من قتل من فريقه ويحصى من قتل من أبطال الفريق الآخر. وقد وصلنا كثير من الشعر الذى قيل فى تلك الحرب فى كتاب "صفين" لنصر ابن مزاحم وفى شرح "نهج البلاغة" لابن أبى الحديد، وكذلك ما قيل من الشعر عند اختيار الحكمين فى التحذير من غفلة أبى موسى الأشعرى ودهاء عمرو بن العاص وهما اللذان وقع عليهما الاختيار للفصل فى الخـلاف الناشب بين الفريقين.

غير أن معاوية مع خروجه من الفتنة ظافرا لم يعف الحزبين المعارضين له من حرب باردة يشنها عليهما، نريد الأنصار الذين كان يرميهم بالفتور فى أمر عثمان وشيعة على بالكوفة. أما شيعة على فأغرى بهم عامله على المشرق وهو زياد بن أبى سفيان، فلقت وطأته عليهم ثم قبض على رؤوسهم وزعيمهم حجر بن عدى الكندى، وسيرهم إلى معاوية بالشام، فأمر بهم -وهو المشهور بالحلم والأناة- فقتلوا، ثم ندم بعد ذلك ندما شديدا. وأما الأنصار فقصة معاوية معهم طريفة: قالوا حضرت وفود الأنصار باب معاوية فخرج إليهم حاجبه سعد بن أبى درة. فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص فاستأذن لهم. فقال له عمرو "ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين. اردد القوم إلى أنسابهم فقال معاوية للحاجب: اخرج فقل من كان هنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب. فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر. فقال له: باعدت جدا. فقال معاوية: اخرج فقل من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها. فدخلوا يتقدمهم النعمان ابن بشير وهو يقول:

ياسعد لا تعد الدعاء فما لنـا

نسب نجيب به سوى الأنصـار

نسب تخـيره الإله لقومنـا

أثقل به نسبا على الكفـار

إن الذين ثووا ببـدر منكم

يوم القليب، هم وقود النـار

فقال معاوية لعمرو: قد كنا أغنياء عن هذا. وقام النعمان مغضبا وانصرف، فبعث معاوية فرده وترضاه وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

ولكن سياسة المضايقة ووضع الإبرام تقف عند هذا الحد ، فقد أوعز معاوية من طريق ابنه يزيد إلى كعب بن جميل الشاعر أن يهجو الأنصار، فاستعفى كعب من هجائهم. إلا أنه دلهم على غلام شاعر نصراني هجاء، هو الأخطل، فأمروه بهجائهم فهجاهم بقصيدة يقول فيها :

خلوا المكارم لستم من أهلها
وخذوا مساحيكم بني النجار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا
واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فاشتد غضبه وقال قصيدة قوية يقرع فيها معاوية ويهدده بالثورة عليه ويذكره بما فعلت الأنصار بقريش يوم بدر :

معاوى إلا تعطنا الحق تعترف
لحى الأزد مشدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأراقم ضلة
وماذا الذي تجدى عليك الأراقم ؟
فما لى ثأر دون قطع لسانه
فدونك من ترضيه عنك الدراهم

إلى أن يقول :

فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة
أذلت قريشا والأنوف رواغم
فسائل بنا حيى لؤى بن غالب
وأنت بما يخفى من الأمر عالم
ألم تبتدر يوم بدر سيوفنا
وليلك عما ناب قومك نائم
وإنى لأغضى عن أمور كثيرة
سترقى بها يوما إليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس وإننى
لتلك التى فى النفس منى أكاتم

فلما بلغت القصيدة معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه . فاستجار الأخطل بيزيد فأجاره وأمضى معاوية جواره ، وأرضى النعمان حتى كف عنه .

ثم يندلع لهيب الفتنة الثانية بوفاة معاوية وتولى ابنه يزيد وكان سببها المباشر أخذ معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد مخالفا بذلك ما جرى عليه السلف من الشورى في اختيار الخليفة . هذا إلى أن يزيد لم يكن ممن يرضى عن سيرته أهل الحجاز فثار الحسين بن علي وخرج من الحجاز إلى العراق ليستنصر بشيعة أبيه في الكوفة . فحورب وقتل بكربلاء . وعلى أثر مقتله ثار عبد الله بن الزبير بمكة وبويع بالخلافة كما ثار أهل المدينة بزعامة عبد الله بن حنظلة الغسيل وقد سير يزيد إلى الحجاز جيشا أمر عليه رجلا شديدا صارما هو مسلم ابن عقبة المرى . وأمره بالقضاء على حركة أهل المدينة فإذا فرغ منها توجه إلى مكة فقضى على حركة ابن الزبير . وقد قضى مسلم على حركة المدينة بوقعة مشهورة هى وقعة الحرة، ثم سار الجيش إلى مكة فألقى الحصار عليها . وبينا الأمر كذلك إذ يتوفى يزيد، ويستفحل أمر ابن الزبير ويبايع بالخلافة في جميع أنحاء الدولة غير شمال الشام . ثم يجمع الأمويون أمرهم ويولون الخلافة مروان بن الحكم ، ثم تأخذ القبائل اليمنية بالشام جانب مروان كما تأخذ القبائل المضرية جانب ابن الزبير وتقع الوقعة بين الفريقين في الشام

بمكان يقال له مرج راهط . فتهزم المضرية أشياع ابن الزبير هزيمة منكرة وتنتصر اليمنية أشياع الأمويين ، ثم يكر مروان على مصر فينتزعها من عامل ابن الزبير ويسير جنداً إلى العراق لانتزاع العراق من يد ابن الزبير . ولكن مروان يتوفى ويتولى ابنه عبد الملك سنة ٦٥ أما الجيش الذى سير إلى العراق فكان يقوده عبيد الله ابن زياد الذى تولى كبر مقتل الحسين . فلما بلغ الشيعة بالكوفة مسيره خرج منهم لملاقاته جمع كبير ندموا على ما كان منهم من تقصير فى حق الحسين وتابوا إلى الله فعرفوا بالتوابين . وقد لقوا عبيد الله بن زياد بمكان يقال له عين الوردة فهزموا وعادت فلولهم إلى الكوفة . ثم تزعم شيعة الكوفة ومواليها رجل غريب الأطوار يقال له المختار الثقفى ، فسير جيشاً بقيادة إبراهيم بن الأشتر للقاء ابن زياد فلقيه وانتصر عليه وقتل ابن زياد فى تلك المعركة . ثم ولى ابن الزبير على العراق أخاه مصعبا فحارب المختار وانتصر عليه . عند ذلك يخرج عبد الملك إلى العراق بنفسه فيحارب مصعبا وينتصر عليه ويقتل مصعب فى الحرب ويستولى عبد الملك على العراق والمشرق ويسير من العراق الحجاج بن يوسف إلى الحجاز فيقضى على ابن الزبير فى سنة ٧٣ وكان ذلك عام الجماعة الثانى الذى اجتمعت فيه الأمة على خليفة واحد هو عبد الملك بن مروان .

هذه ـ سيداتى وسادتى ـ مجمل أحداث الفتنة الثانية . وقدساير الشعر أحداث تلك الفتنة مسايرة تكاد تكون تامة . فأما أخذ معاوية البيعة ليزيد فقد رووا أن معاوية أوعز إلى مسكين الدارمى الشاعر أن يعد شعراً فى معنى البيعة ليزيد وينشده إياه فى مجلسه وهو حافل بالوجوه والأشراف . ففعل وأنشده قصيدة جاء فيها :

ألا ليت شعرى ما يقول ابن عامر
ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلاً فإنما
يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربه
فإن أمير المؤمنين يزيد

فلما فرغ من إنشاده قال له معاوية "ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله" . ولم يتكلم أحد من الحضور فى ذلك إلا بالموافقة ، فأغدق عليه معاوية العطاء .

وأما الحسين فقد رثاه التيمى الشاعر ، وكان منقطعاً إلى بنى هاشم ، فقال من قصيدة :

وإن قتيل الطف من آل هاشم
أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية
لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا
سنجزيهم يوماً بها حيث حلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها
وتقتلنا قيس إذا النعل زلت

وأما الحرب بين يزيد وأهل الحجاز فقد رووا من ذلك أن يزيد أراد أخذ ابن الزبير بالحيلة فلما استقر عنده ما قد جمع ابن الزبير من الجموع أعطى لله عهداً ليوثقنه فى سلسلة ، فبعث إليه بسلسلة من فضة مع رسول ليأتيه به فيها ، وبعث معه برنس خز ليلبسه عليها لئلا تظهر

الناس. فاجتاز الرسول بالمدينة وبها مروان بن الحكم فأخبره بما قدم له فأرسل مروان معه ولديه له أحدهما عبد العزيز وقال: إذا لقيتما رسل يزيد. فعرضا له، وليتمثل أحدكما بهذه الأبيات:

أعامر إن القوم ساموك خطة
وذلك في الجيران غزل بمغزل
أراك إذا ما كنت للقوم ناصحا
يقال له بالدلو أدبر وأقبل
فخذها فليست للعزيز بخطة
وفيها مقال لامرئ متذلل

وقد وقع ابن الزبير في الفخ الذي نصبه له مروان فإنه لما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الأبيات المذكورة، فقال ابن الزبير: يا ابني مروان. قد سمعت ما قلتما فأخبرا أباكما:

إني لمن نبعة صم مكاسرها
إذا تناوحت القصباء والعشر
فلا ألين لغير الحق أسأله
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

فقد رفض ما عرض عليه يزيد. وعند ذلك عزم يزيد على محاربة أهل الحجاز، فأعد الجيش الذي سبقت الإشارة إليه. فلما كان الجيش على أهبة المسير خرج يزيد متقلدا سيفا متنكبا قوسا عربية وهو يقول:

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى
وهبط القوم على وادي القرى
أجمع سكران من القوم ترى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى ؟
يا عجبا من ملحد يا عجبا
مخادع في الدين يقفو بالعرى

ولما بلغ يزيد هزيمة أهل المدينة في وقعة الحرة شمت بهم وقال شعرا كأنه يرد به على شعر النعمان بن بشير السابق الذكر جاء فيه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

والعجيب أن القوم نظروا إلى غزوة بدر على أنها وقعة بين الأنصار وبين قريش، مع أنها كانت أجل من ذلك وأعظم. ولكن العصبية القبلية هي التي حملتهم على هذه النظرة الخاطئة.

أما وقعة مرج راهط فإنها بعثت العصبية القبلية القديمة وكانت إيذانا بانتشار تلك الروح الخبيثة بين العرب في كل أقطار الدولة الإسلامية وقد نفخ الشعر في تلك العصبية فأذكاها. قال مروان يعدد القبائل اليمنية التي اجتمعت له لمحاربة المضرية أشياع ابن الزبير:

لما رأيت الأمر أمرا نهبا
سيرت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا
وطيئا تأباه إلا ضربا
والقين تمشي في الحديد نكبا
ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا
وإن دنت قيس فقل لا قربا !

والشاهد في قوله "فإن دنت قيس فقل لا قربا". لأن قيسا مضرية مثل قريش التي منها مروان، ولكن قيسا أخذت جانب ابن الزبير وإذن فلا قرابة بينها وبين مروان. فلما انتصر مروان في وقعة المرج عدتها قبائل العرب وقعة بين اليمنية والمضرية كما عدها النعمان بن بشير وزيد

ابن معاوية غزوة بدر وقعة بين الأنصار وقريش . وانبرى الشعراء يؤكدون هذا المعنى ويتفخون فى بوق العصبية التى ذمها الإسلام ونهى عن الدعوة إليها . من ذلك قول زفر بن الحارث الكلابى أحد زعماء مضر فى وقعة المرج ، وقد فر بعد الهزيمة إلى العراق حيث اعتصم ببعض حصونه . قال :

أرينى سلاحى لا أبالك إننى
أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

أتانى عن مروان بالغيب أنه
مقيد دمى أو قاطع من لسانيا

ففى العيس منجاة وفى الأرض مهرب
إذا نحن رفعنا لهن المثانيا

فلا تحسبونى إن تغيبت غافلا
ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط
لحسان صدعا بيننا متنائيا

أيذهب يوم واحد إن أسأته
بصالح أيامى وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تحطم الخيل بالقنا
وتثأر من نسوان كلب نسائيا

فيجيبه شاعر يمنى من الجانب المنتصر :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط
على زفر داء من الداء باقيا

مقيما ثوى بين الضلوع محله
وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

تبكى على قتلى سليم وعامر
وذبيان معذورا وتبكى البواكيا

دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى
سيوف جناب والطوال المذاكيا

ويطول بنا القول إذا ذهبنا نتتبع الشعر الذى قيل فى العصبية بين اليمن ومضر فى أنحاء الدولة الإسلامية من خراسان إلى الأندلس .

أما هزيمة التوابين من الشيعة عند عين الوردة فقد قال فيها أعشى همدان قصيدة بليغة يقول ابن الأثير إنها كانت مما يكتم فى ذلك الزمان ولا يذاع . ومطلع القصيدة :

ألم خيال منك يا أم غالب
فحييت عنا من حبيب مجانب

ثم يصف مسير التوابين من الكوفة ولقاءهم ابن زياد وما حل بهم من الهزيمة والقتل :

فساروا وهم ما بين ملتمس التقى
وآخر مما كان بالأمس تائب

فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا
إليهم فحسوهم ببيض قواضب

يمانية تذرى الأكف وتارة
...

فجاءهم جمع من الشام بعده
جموع كموج البحر من كل جانب

فما برحوا حتى أبيدت سراتهم
فلم ينج منهم ثم غير عصائب

وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب

إلى أن يقول :

فيا خير جيش للعراق وأهله
سقيتم روايا كل أسحم ساكب

ولما ظهر المختار بالكوفة جعل يأتي بمخاريق وحيل يخدع بها العامة من أصحابه ، من ذلك الكرسي الذي زعم أنه كان يجلس عليه علي بن أبي طالب ، فقال أعشى همدان في ذلك الكرسي ، وكان يبرزه عند القتال يستنصر به بزعمه :

وأقسم ما كرسيكم بسكينة
وإن كان قد لفت عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت
شبام حواليه ونهد وخارف
وإني امرؤ أحببت آل محمد
وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وبايعت عبد الله لما تتابعت
عليه قريش شمطها والغطارف

ولما انتصر الجيش الذي سيره المختار بقيادة إبراهيم بن الأشتر على جيش عبيد الله بن زياد وقتل ابن زياد قال ابن مفرغ :

إن المنايا إذا ما زرن طاغية
هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعدا وسحقا عند مصرعه
لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي

وقال سراقة البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر لانتصاره على ابن زياد :

أتاكم غلام من عرانين مذحج
جريء على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك
وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم
شفوا من عبيد الله أمس غليلي

ولما قتل مصعب بن الزبير وإبراهيم بن الأشتر في الحرب التي كانت بين مصعب وعبد الملك قال الأقيشر الأسدي يرثي مصعبا :

حمى أنفه أن يقبل الضيم مصعب
فمات كريما لم تذم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه
فعاش ملوما في الرجال طرائقه
ولكن مضى والبرق يبرق خاله
يساوره مرا ومرا يعانقه
فولى كريما لم تنله مذمة
ولم يك رغدا تطبيه نمارقه

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي يرثي إبراهيم ابن الأشتر وهو من تأثر الشعر العربي :

سأبكي وإن لم تبك فتيان مذحج
فتاها إذا الليل التمام تأوبا
فتى لم يكن في مرة الحرب جاهلا
ولا بمطيع في الوغى من تهيبا
أبان أنوف الحي قحطان قتله
وأنف نزار قد أبان فأوعبا
فإن يك أمسى خائنا لأميره
فما خان إبراهيم في الموت مصعبا

سيداتي وسادتي :

حادثان خطيران مهدا للفتنة الثالثة والأخيرة في القرن الأول الهجري : حركة الموالي ونشاطهم واعتداد شعرائهم بالأصل الفارسي وتصريحهم بذلك في شعرهم ، ثم انقسام البيت الأموي على نفسه ومحاربة بعضه بعضا في السنوات الأخيرة من الدولة الأموية . وقد سجل الشعر هاتين

الظاهرتين، فإن إسماعيل بن يسار وهو من شعراء الموالى هو الذى يقول فى الفخر على العرب :

إنما سمى الفوارس بالفر
س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركى الفخر يا أمام علينا
واتركى الجور وانطقى بالصواب

واسألى إن جهلت عنا وعنكم
كيف كنا فى سالف الأحقاب

إذ نربى بناتنا وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب

وأنشد الخليفة هشاما قصيدة فخر فيها بآبائه من الفرس . فأمر به الخليفة فألقى فى بركة أمامه ، ولم يكن الشاعر يجيد السباحة فأخرج وقد أشرف على الغرق .

أما ظاهرة انقسام البيت الأموى على نفسه فيقول فيه شبيب بن زيد بن النعمان بن بشير :

أبلغ أمية أعلاها وأسفلها
قولا ينفر عن نوامها الوسنا

إن الخلافة أمر كان يعظمه
خيار أولئك قدما وأولنا

فقد بقرتم بأيديكم بطونكم
وقد وعظتم لنا أحسنتم الأذنا

لما سفكتم بأيديكم دماءكم
بغيا وخشيتم أبوابكم دونا

ثم وقعت المحنة الثالثة معتمدة على الظاهرتين المذكورتين فقد انضم الموالى إلى دعاة العباسيين . ولما انقسم الأمويون على أنفسهم أعلن العباسيون الحرب عليهم وذلك فى خراسان .

وكان نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسان وماوراء النهر ، قد أنذر بحركة العباسيين والموالى ، وقال فى ذلك أبياته المشهورة :

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام

فقلت من التعجب : ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام ؟

وقال غير ذلك من الشعر . ولكن ذهبت نذره صرخة فى واد ، واجتاح العباسيون المشرق بجيوش الموالى ووصلوا إلى العراق فتصدى لهم مروان بن محمد فى وقعة الزاب سنة ١٣٢ بجيش من العرب قد أفسدته العصبية ، فهزم . وفر مروان إلى مصر حيث أدرك وقتل . وتتبع العباسيون الظافرون بنى أمية بالقتل والاضطهاد والمثلة . وقد قال شعراء الدولة الجديدة فى الشماتة بالأمويين الشعر الكثير مما هو معروف ومشهور .

ولكن الذى هو قليل جدا ، وقد يكون غير معروف ولا مشهور ، هو أن الدولة الأموية العظيمة على الرغم من بطش العباسيين بها وبأنصارها قد وجدت شاعرا مخلصا لها بكاها بكاء حارا . ذلكم هو ابن عبد الله بن عمرو العبلى :

تقول أمامة لما رأت
نشوزى عن المضجع الأنفس

وقلة نومى على مضجعى
لدى هجعة الأعين النعس

أبى : ما عراك ؟ فقلت : الـ
ـهموم عرون أباك فلا تبلسى

عرون أباك لحينه
من القتل فى شر ما محبس
لفقد الأحبـة إذ نالها
سهام من الحدث المونس
رمتها المنون بلا نكل
ولا طائشات ولا نكس
فصرعنهم بنواحى البـلاد
فـملق بأرض ولم يرمس
وآخر قـد دس فى حفرة
وآخر طـار فـلم يحسس

إلى أن يقول :

أولئك قومى أناخت بهم
نوائب من زمن متعس
إذا ركبوا زينـوا الموكبين
وإن جلسوا زينة المجلس
وإن عن ذكرهم لم ينم
أبوك وأوحش فى المأنس

أما بعد — سيداتى وسادتى — فقد تتبعنا عمود التاريخ السياسى للقرن الأول الهجرى وذلك منـذ أصبحت السياسة فى الدولة الإسلاميـة تجرى مع الواقع لا وراء المثل العليـا كما كانت من قبل . ورأينا الشعر قد يصاحب هذا التاريخ السـياسى مصاحبة تامة . ولو ذهبنا نتتبع مصاحبة الشعر للفروع والحواشى لألفيناها تكاد تكون تامة كذلك ، فقد وجدت الفرق التى ظهرت فى القرن الأول فى الشعراء من رجالها من يصور عواطفها وأحاسيسها كالكميت ابن زيد بالنسبة للشيعة والطرماح بن حكيم وعمران بن حطان بالنسبة للخوارج ، وثابت قطنة بالنسبة للمرجئة . والحق أنا نكاد لا نجد تاريخ عصر كتب نثرا ونظما كما كتب تاريخ القرن الأول الهجرى . وإن يكن قد اعتور هذا التاريخ نقص فذلك أنهم أهملوا الجانب الإيجابى المشرق من تاريخهم السياسى فلم ينظم الشعراء شعرا يذكر فى الفتوح العربية العظيمة ولا فيما يسره ساسة العرب من أسباب العمران العظيم ولو فعلوا لوجدت الملحمة العربيـة منذ عهد بعيد . ترى هل هذا مما غادره الشعراء القدامى للمحدثين ؟ ترى هل يقوم فى نهضتنـا العربية الحديثة من الراغبين فى التجديد فى الأدب العربى شاعر واسع الخيال طويل النفس قوى البيان ، فيتناول أحداث التاريخ العربى القديم وينظمها ، ضمنا نظمه أخبار الفتوح ومظاهر العمران الذى جاء به العرب .

إنه لاشك إذا وجد ذلك الشاعر وقام بهذا الأمر فإنه يسدى إلى العروبة أعظم الأيادى وأصدق الوفاء . ولاشك فى أن اسمه سيكتب فى سجل الخالدين .

الشعر البديع فى نظر الأدباء [1]

للأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين
عضو المجمع

حقيقة الشعر :

كلام العرب إما نثر : مرسل أو مسجع . وإما شعر وهو كلام موزون مقفى . وقال بعض الباحثين فى حقيقة الشعر إن الشعر كلام موزون لا يتوقف معناه على نثر يتصل به ، فإن كان لا يظهر معنى الموزون إلا أن ينضم إليه ما يتصل به من النثر فليس الموزون بشعر . فما كتبه الكاتب الذى أمره بعض الأمراء أن يكتب إلى عامل بإنذار ووعيد . وجيز فكتب إليه : " أما بعد فإن لأمير المؤمنين أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه والسلام " . فمن هـــذا الخطاب يكون بيت وهو :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها
وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه

فلا يسمى هذا البيت شعرا لأن معناه يتوقف على ما قبله من النثر وهو قوله : "فإن لأمير المؤمنين أناة" فالألفاظ الموزونة فى القرآن لا تسمى شعرا حيث إن معناها يتوقف على ما يتصل بها من التنزيل .

الشعر عند البلغاء :

وإنما يعتد البلغاء بالموزون إذا كان حسن التأليف بارع التخيل غريب المعانى بحيث لا تحضر فى ذهن كل ناظم ، وتكون واردة فى الغرض الذى سيقت إليه موردا مقبولا . وعلى قدر حسن السبك وبراعة التخيل وغرابة المعانى وورودها فى الغرض الذى سيقت إليه موردا سائغا يرتفع الشعر فى مرتبة البلاغة . والذى يكون مجردا من هـــذه الغايات لا يسمى عند الأدباء شعرا كما قال بعضهم :

إذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده
فقل أنا وزان ولست[1] بشاعر

ويشترط بعض البلغاء فى الموزون أن يكون مطابقا للواقع . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وإنما الشـــعر عقل المرء يعرضه
على البرية إن كيسا وإن حمقا
وإن أشـــعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته : صدقا

---

(1) رواية نفحات الأزهار — بحث التهذيب والتأديب صفحة ١٨١ : وما أنا شاعر

وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : "أشعر شعرائكم زهير فإنه لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فى الرجال". وقال عمر بن عبدالعزيز لما دخل عليه جرير ليهنئه بالخلافة : "اتق الله ياجرير ولا تقل إلا حقا" .

ويدخل فى قبيل بلاغة الكلام المجاز العقلى واللغوى مفردا أو مركبا والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض ومستتبعات التراكيب وهى الوجوه التى يحسن بالمتكلم أن يراعيها عند الكلام كما يستعمل فى التحدث عنه الموصول لدلالة الصلة على مدحه أو ذمه ووجود هذه المعانى فى الكلام هو الذى به ارتفاع شأنه ولا يخرج به عن دائرة الصدق ، وقد سلك القرآن والحديث النبوى بذلك مسلكا بديعا . وهذا هو الشعر الوعر طريقه ، الصعب مركبه . وأشار إليه من يقول :

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

ومما يعده البلغاء من محاسن البيان حسن التعليل ، وهو أن يذكر المتكلم للأمر علة خيالية غير العلة الحقيقية المعروفة كقول الشاعر فى رثاء المصلوب :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن
يضم علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
عن الأكفان ثوب السافيات .

فإن العلة فى قتله مصلوبا هى إرادة الانتقام منه ، لا أنهم راعوا أن بطن الأرض لا يضم علاه بعد الوفاة .

وكقول بعضهم مترجما عن الفارسية :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته
لما رأيت عليها عقد منتطق

فإن انتطاق الجوزاء كانت قبل وجود الممدوح . والقول الفصل الذى يقصد به تقرير الحقائق كالقرآن والحديث النبوى لا يوجد فيه هذا النوع من حسن التعليل ، وإنما البلغاء أجازوه بل عدوه من محاسن البديع ، فإنه قريب من الاستعارة حيث لا يستعمل إلا إذا كانت الحقيقة معروفة عند السامعين . والذى لا يجوز باتفاق الأدباء الكذب المحض كقول أبى نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التى لم تخلق

ويقال إن العتبى قال لأبى نواس : "ألا تخاف الله فتقول : وأخفت أهل الشرك ؟" إلى آخره . فقال أبو نواس : "وأنت تقول :

ولم تزل دائما تسعى بلطفك بى
حتى اختلست حياتى من يدى أجلى".

فقال له : "إنك تعلم أن هذا غير ذاك" . والواقع أنهما يتحدان فى الكذب .

ويرتفع شعر الشاعر فى مراتب البلاغة إذا كانت فطرة الشاعر سليمة وعاشر شاعرا قديرا كالحطيئة ، وأبى تمام وبشار بن برد . واطلاع

الإنسان على دواوين الشعراء يقوم مقام هذه الوسيلة، واطلاعه على ما يجرى فى عصره من معانى الحضارة. قيل لابن الرومى: "لم لا تشبه كتشابيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ وذكروا له بعض تشابيه ابن المعتز". فقال: "ذلك يصف ماعون بيته لأنه ابن خليفة . فانظروا إذا وصفت ما أعرفه أين يقع من الناس!" .

وأن يعرف أدب لغة أخرى، فقد يكون فيها من التخيل والمعانى الغريبة ما لا يكون فى اللغة العربية، وقد قدمنا قول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته

لما رأيت عليها عقد منتطق

مترجما من الفارسية . وحدثنى صديق لى أن أحد التونسيين الذين لهم ولوع بالأدب العربى والأدب الفرنسى قال: وجدت فى الأدب الفرنسى بيتا من الشعر لم أجد معناه فى الأدب العربى. ومعنى البيت الفرنسى :

أنه رآها تكسر الجوز بأسنانها . فقال الشاعر الفرنسى: ما رأيت خشبا يكسر بالدر إلا اليوم. فقلت له : يقرب من هذا قول الحريرى :

ولاح ليل على صبح أقلهما

غصن وضرست البلور بالدرر

وترجم إلى اللغة العربية من اللغة الفارسية معان متعددة، كقول الشاعر :

قالوا إذا جمل حانت منيته

يطوف[1] بالبئر حتى يهلك الجمل

وذكر الشهاب الخفاجى فى طراز المجالس أبياتا نقلها من ديوان الطغرائى ثم قال: هذا نظم لما فى بعض الكتب الفارسية، ومنها أن بعض الأشجار رأت فأسا ملقاة فى الرياض فقالت : ما تفعل هذه هنا ؟ فأجاب بعضها بأنها لا تضر إلا إذا دخل فيها عود منا .

وهذا المثل ينطبق على حال التابع المستعمر، فإنه لا يصل إلى أغراضه إلا بأفراد لنا منا كما دلت عليه المشاهدات .

إدراك الشعراء لبراعة الشعر :

ومن دلائل براعة الشعر تداول الرواة له وتناقل ألسنة أهل الفضل إياه .

ومنها قصد الشعراء له بالمعارضة والتشطير كما عارض الأصم الشراى أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب

فى حده الحد بين الجد واللعب

بقصيدة يمدح فيها عبد المؤمن بن على يقول فى طالعها :

ما للعدا جنة أوقى من الهرب

أين المفر وخيل الله فى الطلب

كما عارض نجم الدين يونس بن محمد المصرى قصيدة الحصرى القيروانى التى يقول فى مطلعها :

ياليل الصب متى غده

أقيام الساعة موعده ؟

[1] فى طراز المجالس ص ١٢٢ : أطاف .

بقصيدته التى يقول فى طالعها :

قد مل مريضك عُوَّده
ورثى لأسيرك حُسّده

وعارضها الشاعر شوقى بقصيدة يقول فى مطلعها :

مضناك جفاه مرقده
و بكاه ورحم عُوَّده

وكما صدر الشيخ قبادو التونسى وشطر القصيدة التى مطلعها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وهو الذى فتح باب الشعر العصرى فى تونس إذ يقول فى بعض قصائده :

ومن لم يجس خبرا أوربا وملكها
ولم يتغلغل فى المصانع فهمه
فذلك فى كن البلاهة داجن
وفى مضجع العادات يلهيه حلمه

واقترح المنصور بن أبى عامر على شاعره أحمد بن دراج أن يعارض قصيدة أبى نواس التى يقول فيها : "أجارة بيتينا أبوك غيور" إلخ . فعارضها بقصيدة يقول فيها :

ألم تعلمى أن الثواء هو الثوى
وأن بيوت العاجزين قبور

وقال فيها يصف ابنه الصغير عند رحيله :

تناشدنى عهد المودة والهوى
وفى المهد مبغوم النداء صغير
عيى بمرجوع الخطاب ولحظه
بموقع أهواء النفوس خبير

ومما يدل على براعة الشعر تعدد من يدعيه بأن يقول شاعر القصيدة فينسبها بعض الأدباء لنفسه لينال فخر نظمه لها ، وقد ذم ابن الرومى بعض من يأخذ شعر غيره و ينسبه إلى نفسه .

وتشكى السرى الرفاء بأديبين فى قصيدة بعث بها إلى المفضل الضبى .

ومما يدل على بلاغة الشعر اتخاذه مثلا يضرب لمن حصل له معناه كقول عبد العزيز بن نباتة السعدى :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

أومن حصل له مايماثل معناه كقول المتنبى :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقول أبى نواس :

لا أذود الطير عن شجر
قد بلوت المر من ثمره

وهذا مثل يضرب به من ناله مكروه من رجل يجرعه غصص الأذية مرة بعد أخرى .

ومن طرق التنبيه على براعة الشعر قول الأدباء: من كمال الظرف في الإنسان أن يحفظ قصيدة فلان أو شعر فلان ، كما قال الأدباء : من كمال الظرف أن يحفظ الإنسان قصيدة ابن زريق التي يقول في طالعها :

لا تعذليه فإن العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

إلى أن يقول :

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

وقال أدباء الأندلس : من كمال الظرف أن يحفظ الإنسان شعر ابن زيدون .

ومن هذا القبيل قصيدة أبي القاسم عامر ابن هشام التي يسميها أهل الأندلس " كنز الأدب ". والقصيدة يذكر فيها متنزهات قرطبة وفيها حكم بليغة . يقول في طالعها :

يا هبة باكرت من نحو دارين
وافت إليّ على بعد تحييني

إلى أن يقول :

وأنكد الناس عيشا من تكون له
نفس الملوك وحالات المساكين

العلماء والشعر :

وتبرأ بعض العلماء من الشعر ورأى أنه يزري بالعلماء فقال :

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولكن الشعر في ذاته لا يزري بالعلماء بل هو فن من فنون أدب اللغة ، فمن تعلق به فقد ضم إلى أدبه أدبا . والشعر الذي يزري بالعلماء هو الشعر الذي يقبل عليه الجاهلون ويدعوهم إلى ما فيه خيبة وخسر ، والذي يقيه بصاحبه في كل ناحية من الباطل ، ومن يقول صاحبه ما لا يصدر منه . وهو المشار إليه بقوله تعالى " والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون " .

فمن الشعراء من يقول غير الحق كقول بعضهم :

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقول الآخر :

ومن لا يظلم الناس يظلم

وحتى بلغ ابن الرومي أن مدح الحقد فقال :

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى
وبعض المزايا[1] ينتسبن إلى بعض

فحيث ترى حقدا على ذي إساءة
فثم ترى شكرا على واسع[2] القرض

فالحقد عند علماء الأخلاق خلق ذميم . وإنما يجوز للإنسان أن يمسك الإساءة في قلبه بقدر ما تستقيم به السيرة أو تعتدل به السياسة . ولعل هذا هو مراد ابن الرومي بالحقد .

وفي الشعر خصلة أخرى تزري بالعلماء ، أعني اكتساب الرزق به وهو قادر على الاكتساب بغيره من الحرف اللائقة ، وهجاء من لا يجازيهم على مدحهم ، حتى قال ابن الجزار :

كان فضل على الكلاب ومذ صر
ت أديبا رجوت فضل الكلاب

(1) رواية الديوان : السجايا .
(2) رواية الديوان : حسن .

فراده من الكلاب فى الشطرة الثانية اللؤماء من الناس .

ومن العلماء من يجمع بين العلم والأدب كالقاضى عبد الوهاب البغدادى المالكى الذى قال فيه أبو العلاء المعرى :

والمالكى ابن نصر زار فى سفر
بلادنا فحمدنا النأى والسفرا
إذا تفقه أحيا مالكا جدلا
وينشر الملك الضليل إن شعرا

ومن شعر القاضى عبد الوهاب قوله :

متى تصل العطاش إلى ارتواء
إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثنى الأصاغر عن مراد
وقد جلس الأكابر فى الزوايا

وكالقاضى أحمد بن عمر الأرجانى فقد كان فقيها أديبا وهو يقول :

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر
فالحق لا يخفى على الاثنين
المرء مرآة تريه وجهه
ويرى قفاه بجمع مرآتين

ومثل القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فقد كان فقيها أديبا وهو القائل :

يقولون لى : فيك انقباض . وإنما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
يقولون : هذا مورد . قلت : قد أرى ،
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وقد يولع العالم الكبير بالشعر البارع كما فعل تقى الدين بن دقيق العيد عالم الإسكندرية لما بلغته قصيدة ابن عرس الشاعر التلمسانى الذى يقول فى طالعها :

عجبا لها أيذوق طعم وصالها
من ليس يأمل أن يمر ببالها

فقام لها وجعل يكررها المرة بعد الأخرى ووضعها بمكان قريب منه إعجابا بها .

وهؤلاء ينظرون إلى قول على بن الجهم :

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره
ولكن أشعارى يسير بها ذكرى

وكثير من فحول الشعراء يفتتحون قصائدهم فى المديح بالغزل لتنبسط نفس الممدوح أولا وتقبل على سماع المديح بارتياح . وقد أشار أبو الطيب المتنبى إلى هذه العادة بقوله :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعرا متيم؟
لحب ابن عبد الله أولى فإنه
به يبدأ الذكر الجميل ويختم

وأنكر عليهم تطويل الغزل فى قصائد المديح عمرو بن العلاء فقال "يامعشر الشعراء . عجبا لكم . إن أحدكم يأتينا فيمدحنا بقصيدة ينسب فيها ولا يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق مدحه" .

ومن كبار الأدباء من ينتقل من الغزل إلى المديح . ولا يراعى مناسبة خاصة . ومنهم من يراعى مناسبة خاصة بين الغزل والمديح . ويسميه علماء البديع حسن التخلص كقول أبى تمام :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ؟
فقلت : كلا ، ولكن مطلع الجود

وقد أقبل المحدثون على حسن التخلص فأتوا بتخلصات بديعة ومعان مبتكرة، وكتب الأدب حافلة بذلك. كما قول القاضي الشيخ ابن عاشور يمدح الصادق صاحب تونس، أذكر منها :

. . . .

ولاح لها من كاذب الفجر ما يبدو
فقلت لها : مهلا، وبالصادق ابشرى
فقالت : أجل . إن الأمير هو القصد

* * *

والذى يدرك الشعر البارع الأدباء لأنهم يمارسون الأدب ويعرفون التخيل الجيد والمعانى الغريبة وارتباط بعضها ببعض. ويصحبون من قضى زمناً مديدا فى نظم الشعر فقد كان الشاعر "كثير" راوية "جميل" وكان "جميل" راوية "هدبة" وكان "هدبة" راوية "الحطيئة" وكان "الحطيئة" راوية "زهير" وابنه "كعب" وكان ابن "العديل" راوية الشاعر "مسلم بن الوليد". "والبحترى" تعلم الشعر من أبى تمام، ومهيار الديلمى أخذ عن الشريف الرضى. وكان خلف الأحمر من الكوفيين يضع على ألسنة الشعراء شعرا وكل شعر يشبه شعر الذى يضعه على لسانه. وكان حماد الراوية يعرف شعر القدماء والمحدثين، وقال: لا ينشدنى أحد شعرا قديما أو محدثا إلا ميزت بينهما

روى أن الخليفة المهدى عقد مجلسا عاما وكان بالحضرة بشار بن برد. فدخل أبو العتاهية وهنأ المهدى بالخلافة بقصيدته التى يقول فيها :

ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب
لما قبل الله أعمالها

فالتفت بشار إلى شاعر بجانبه وقال له : هل طار الخليفة من فراشه ؟ يعنى طرب للأبيات .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : اتفقت مع عباس بن الأحنف على أنه إذا سمع شعرا بليغا أطرفنى به، وأنا أفعل ذلك. فجاءنى يوما وأنشد أبيات ابن الدمينة التى يقول فيها :

ألان هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند

وقد ترنح طربا من حسنها .

وكان بعض الأدباء كثيرا ما يعجب بقول شوقى :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

براعة الشعر عند الخلفاء :

وقد يدرك الخلفاء والملوك والوزراء براعة الشعر لكثرة من ورد عليهم من الشعراء فيعرفون من يأتى بالمعنى الغريب ومن يتخيل التخيل الرائع .

ويروى أن الرشيد قال ليزيد بن مزيد: أتعرف من يقول فيك :

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يأتى على عجل

قال : لا يا أمير المؤمنين، لا أعرف قائله . فقال الرشيد: قد بلغ هذا الشعر أمير المؤمنين فرواه وأجازه وأنت لا تعرف قائله ؟ وقائله هو مسلم ابن الوليد .

وقد يكون الخليفة أو الملك أو الوزير هو الذى يدرك بلاغة القصيد لكثرة ورود الشعراء لمجلسه وتقريبه لهم لنشر مفاخره ومآثره بين الناس وإن لم يكن الشعر فى مدحه .

روى أن هشام بن عبد الملك قال لأهله وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن ما سمع من شعر ، فواحد يذكر شعر امرئ القيس وآخر يذكر شعر الأعشى وآخر يذكر شعر طرفة ، وأكثروا حتى أتوا على محاسنهم .

فقال لهم : أشعرهم والله الذى يقول :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه
بحلمى عنه وهو ليس له حلم

وذكر الأبيات وهى لمعن بن أوس المزنى ، وأعجب بها لسلاسة لفظها ودلالتها على خلق قلما تجد من يتصف به .

ويقال إن الرشيد قال لمروان بن أبى حفصة : أنشدنى مرثيتك فى معن بن زائدة ، فأنشده إياها فتأثر الرشيد وأجازه .

وكذلك يروى أن الوزير جعفر البرمكى قال لمروان بن أبى حفصة : أنشدنى مرثيتك فى معن ابن زائدة .

فأنشده إياها فتأثر من نظمها البليغ وأجازه عن مرثية قيلت فى معن بن زائدة .

وقتل عضد الدولة الوزير ابن بقية مصلوبا ورثاه ابن الأنبارى بقصيدته التى يقول فى طالعها :

علو فى الحياة وفى الممات
لحق أنت إحدى المعجزات

وهرب من وجه عضد الدولة ، ولما انتهت القصيدة إلى عضد الدولة أمن الشاعر وتمنى أن يكون هو المصلوب دون ابن بقية وقيلت فيه هذه القصيدة .

ولما أنشد ابن الأنبارى هذه القصيدة بمجلس الصاحب بن عباد ووصل إلى قوله :

فلم أر قبل جذعك قط جذعا
تمكن من عناق المكرمات

قام الصاحب بن عباد وقبله لشدة إعجابه بالبيت .

وكان سيف الدولة يعجب من قول أبى تمام :

من كان مرعى عزمه وهمومه
روض الأمانى لم يزل مهزولا

وينشده كثيرا . وهذا مادعا أبا على الفارسى أن يذكر البيت فى كتاب الإيضاح مع أنه ليس من عادته الاستشهاد بمثل قول أبى تمام السابق .

وإعجاب الخلفاء والملوك والوجهاء بالقصائد التى يمدحون بها قد يكون من بلاغة الشعر ، ويزيدهم طربا أن يكون فى ذكر مفاخرهم ، كما ذكر أن مروان بن أبى حفصة أنشد بين يدى المهدى قصيدته التى يقول فى طالعها :

طرقتك زائرة فحى خيالها
حسناء تخلط بالجمال دلالها

فأنصت له المهدى ولم يزل يزحف كلما سمع شيئا منها حتى صار على البساط إعجابا بما سمع . ودخل أبو الفضل محمد بن شرف على المعتصم بالأندلس ومدحه بقصيدته التى يقول فيها :

مطل الليل بوعد الفلق
وتشكى النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجا
فاستفاد الروض طيب العبق

فطرب المعتصم للقصيدة وقضى له كل مطالبه وهو (أى أبو الفضل) صاحب القصيدة التى يقول فيها :

لم يبق للجور فى أيامهم أثر
غير الذى فى عيون الغيد من حور

ودخل ابن جناح على المعتضد بن عباد فى اليوم الذى أعده للشعراء ، وكان الشعراء لا يعرفونه ويظنونه لا يجيد الشعر فاتفقوا على تقديمه فأنشده قصيدته الفائقة التى يقول فى مطلعها :

قطعت يايوم النوى أكبادى
ونفيت عن عينى لذيذ رقادى

فلما انتهى منها قال له : قد وليتك رياسة الشعراء، ولم يسمع من غيره فى ذلك اليوم . وهذه القصيدة يقول فيها :

إن القريض لكاسد فى أرضنا
وله هنا سوق بغير كساد

ودخل إبراهيم بن هرمة على المنصور وأنشده قصيدته التى يقول فيها :

له لحظات فى خفايا سريره
إذا كرها فيها عقاب ونائل

فرفع الحجاب له وأقبل عليه .

وروى أن عبد المؤمن بن على مدحه أبو العباس التيفاشى بقصيدته التى قال فى أولها :

ماهز عطفيه بين البيض والأسل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

فأشار عليه أن يقتصر على هذا البيت لأنه يغنى عن بقية القصيدة . ومدح عبد الرحمن المنداق الخليفة إدريس بن يحيى بقصيدته التى يقول فيها :

ألبَرْقٍ لائح من أندرين
ذرفت عيناك بالماء المعين؟

ويقول :

ومصابيح الدجى قد طفئت
فى بقايا من سواد الليل جون

وكأن الطل مسك فى الدجى
وكأن الطل در فى الغصون

والندى يقطر من نرجسه
كدموع أسكبتهن العيون

فرفع الخليفة الحجاب بينهما من شدة طربه بالقصيدة .

وقد يتفق الأدباء فى فهم بلاغة البيت ولكن ينظر كل واحد منهم إلى ناحية من المعنى فيجعلها بالوجه الذى كان به البيت بليغا ، كما روى أن الشاعر أبا الحسن البقال سمع قصيدة إبراهيم الصولى فاستحسنها ، ولما وصل إلى قوله فيها :

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلت

كرره استحسانا له . وكان بمرأى منه أبو الفرج الحسين الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى فأرسل إليه يقول له : أسرفت فى استحسان هذا البيت . فأين موقع الصنعة فيه ؟ فقال : قوله " فكانت قذى عينيه حتى تجلت " .

فقال صاحب الأغانى الرصول : قال له أخطأت فالصنعة فى قوله " من حيث يخفى مكانها " .

وقال ياقوت فى معجم الأدباء : وقد أصاب كل واحد منهما . فإن الموضعين غاية فى الحسن ، وإنما كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن .

والحق أن الصنعة فيه تأسست بقوله : " رأى خَلتى من حيث يخفى مكانها " ولكن المعنى الحسن لم يتم إلا بقوله " فكانت قذى عينيه " ونظيره قول ابن هرمة فى مدح المنصور :

له لحظات فى خفايا سريره
إذا كرها فيها عقاب ونائل

فقد تأسست الصنعة بقوله " له لحظات فى خفايا سريره " وتم المعنى المطرب بقوله " إذا كرها فيها عقاب ونائل " . ولولا هذه التكملة لكانت الصنعة ناقصة .

فالشعر الجيد له يد فى الدعوة إلى سبيل الحق والأخلاق الفاضلة كشعر حسان بن ثابت فى صدر الإسلام ومن بعده ، وإلى هذا يشير أبو تمام بقوله :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بغاة العلا[1] من أين تؤتى المكارم

آثار الشعر :

وقد يقرب الأديب منزلة من الخليفة أو الملك أو الوزير فيضعه فى منصب عال أو يمنحه أموالا طائلة ، وقد ينجو الأديب من عقوبة من يقدر على عقوبته كما نجا ابن الأنبارى ببلاغة قصيدته " علو فى الحياة وفى الممات " من عقوبة عضد الدولة ، وقد يرغب الأديب فى القيام بطاعة لم تكن فى باله . قال ابن جريج : كنت فى اليمن وليس فى بالى أن أؤدى فريضة الحج فى هذه السنة حتى خطر ببالى قول عمر بن أبى ربيعة :

بالله قولى له فى غير معتبة :
ماذا أردت بطول المكث فى اليمن ؟
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها
فهل أخذت بترك الحج من ثمن ؟

ولا سبب لهم إلا هذان البيتان اللذان خطرا ببالى .

ومن بلاغة الشاعر فى المديح أن يذكر كلمة أو جملة يخفى وجه زيادتها على الممدوح ويعدها تقصيرا فى الممدوح حتى يذكر الشاعر وجه زيادتها كالقصيدة التى مدح فيها عبد الله بن إبراهيم المعتمد بن عباد إذ يقول فيها :

ولا سقاهم على ما كان من عطش
إلا ببعض ندى كف ابن عباد

فقال ابن عباد " لأى شىء بخلت عليهم أن يسقوا بكل ما فى كفى ؟ فقال إذاً يلحقنى من ائمة ما لحق الذى قال " ولا زال منهلا بجرعائك القطر " . وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك .

وقد احترس الشاعر من مثل هذا بقوله

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الغمام وديمة تهمى

(1) فى ديوانه : الندى .

جوائز تشجيع الإنتاج الأدبى

عقد المجمع بداره جلسة علنية مساء الأربعاء ١٨ من مايو سنة ١٩٥٥ م لتقديم الكتب الفائزة بالجوائز فى مسابقة تشجيع الإنتاج الأدبى لعام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ وقد تولى الأستاذ إبراهيم مصطفى إلقاء كلمة فى تقديم كتاب "دراسات فى تاريخ الجبرتى" وهو الفائز بجائزة البحث.

كما تولى الأستاذ محمد فريد أبو حديد إلقاء كلمة فى تقديم الكتب الفائزة بجوائز القصص القصيرة.

وفيما يلى الكلمتان :

دراسات فى تاريخ الجبرتى

للأستاذ إبراهيم مصطفى
عضو المجمع

الاجتماع لتحية الباحثين وتشجيعهم عمل جميل جدير أن يكون . على أنى أرى فى اجتماعنا هذا عملا أسمى وأجل . أرى أننا نحتفل برفع ظلم وإزالة عدوان وبغى .

ظلم وقع على عالم شيخ يريد أن يقول كلمة الحق ويريد الظلم أن يطمسها . وبطر الظالم فكاد للعالم حتى أثكله وقتل ولده وخلاه للفجيعة فأهلكته ، وتمادى فأحرق داره ليبيد آثاره .

ثم لم تكن دولة الظلم ساعة بل كانت قرنا ونصف قرن . هذا الشيخ المظلوم هو السيد عبد الرحمن الجبرتى ، وأثره الذى حورب من أجله هو كتابه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" .

نشأ الجبرتى فى بيت عريق : عريق فى المصرية وفى العلم والجاه والثروة . وتعلم الهندسة والحساب والفلك والتوقيت . وكان له دار فسيحة بجهة الصنادقية . وفيها مكتبة واسعة يقرأ فيها من يريد ويستعير من يريد . وكان له ميل إلى كتابة التاريخ وتدوين الحوادث ومكنه علمه وجاهه وثروته أن يتصل بطبقات الناس وأن يكون خبيرا بخفايات الأمور .

وكان بمصر مدرسة تاريخية جيدة .

كان منها التاج السبكى فى القرن الثامن .

وابن خلدون ، وابن تغرى بردى ، والمقريزى فى القرن التاسع .

والسخاوى والسيوطى وابن إياس فى القرن العاشر .

ثم همدت دراسة التاريخ ، كما همدت سائر العلوم فى ذاك العصر . ولكنها بقيت كامنة كالنار يعلوها الرماد يريد أن يطفئها . وتريد هى أن تبقى بما فيها من جزالة وقوة . وقد استطاعت المدرسة التاريخية أن تبقى . وكان أستاذها فى هذا الوقت السيد مرتضى الزبيدى : صاحب تاج العروس فى شرح القاموس وصاحب الكتب الموسعة فى الأنساب . وعرف موهبة الجبرتى فى التاريخ . فرسم له أن يكتب تاريخ مصر ، والشيخ محمد خليل مفتى دمشق أن يكتب تاريخ سوريا وأن يستعين كل بأخيه . ومضى الجبرتى فى تدوين التاريخ ووصل به كتاب ابن إياس فى تاريخ مصر — وكان يعتمد على سجلات الدولة ودفاتر الكتاب وحجارة القبور ويكتب ما شاهد ويسأل من الثقات من رأى . ودون التاريخ فى أمانة وصدق وإنصاف ، وصار فيما بعد حجة المؤرخين ومستقر ثقتهم .

كتب أخبار المماليك والولاة العثمانيين ، وما كان بينهم من حروب وفتن . وكتب أخبار الحملة الفرنسية وإخراجها ، والحملة الإنجليزية وصدها ، وكتب تاريخ السنين الأولى من تولى محمد على .

لم يكن للمماليك ولا للعثمانيين ولا للفرنسيين من التجسس ووسائل الاستخبار ما كان لمحمد

على . أما هو فقد ضاق بما دوّنه الجبرتى . فاتخذ معه وسيلته التى اصطنعها مع كل من عارضه . كان إذا لقى معارضة من ذى شأن لاينه وقربه فإما طواه وإما يطش به قتلا أو نفيا أو اغتيالا .

أعان السيد عمر مكرم وقاتل له حتى ولاه، وكان يناديه : يا أبى . فلما استغنى عنه وخشى معارضته احتال له ففرق الناس عنه ثم أمر بنفيه .

وقائد الفتيان حجاج الخضرى . حارب له أيضا إلى أن تولى، ثم خالفه فاحتال له حتى ألقفه ثم سلط عليه المحتسب فشنقه . وكثير غير هؤلاء . وقصة غدره بالمماليك ليست مما يحتاج إلى قص . قرب الجبرتى ووظف ابنه خليلا مؤقتا بالقصر وكان ضبط الأوقات مما يحتاج إلى خبير عالم بعلم الهيئة . وكان خليل فى قصر محمد على بشبرا فى ليلة من رمضان من سنة ١٢٣٧هـ وأدى صلاة الفجر عقب السحور وانصرف إلى بيته — وهو فى الطريق خرج عليه جماعة ضربوه حتى قتلوه وربطوا جثته برجل حماره وانصرفوا . وطلع النهار فعرف الناس القتيل ووجدوا على صدره دفاتر وأسطرلابا — وترامت الأحاديث أن سليمان السلحدار ومحمد بك الدفتردار دبرا له هذا الاغتيال بإشارة محمد على .

كانت الفجيعة قاسية على الشيخ عبد الرحمن وهو فى شيخوخته وسنه العالية فبكى حتى فقد بصره . وهدته النكبة فأدركه الأجل سنة ١٢٤١ وبعد موته بقليل شبت النار فى داره فأحرقتها وأتت على ما فيها من نفائس الكتب وآلات الهندسة والرصد . ثم حرم أن ينشر كتاب "عجائب الآثار" إن كان قد بقيت منه نسخ .

وعمل ما يسمونه بالهجوم المضاد — على الكتاب لا على مؤلفه — فطلب من الشيخ محمد العروسى شيخ الجامع الأزهر أن يؤلف كتابا فى تاريخه وأعماله المجيدة بمصر . وانتدب العروسى لهذا العمل الشيخ خليل بن أحمد الرجبى فألف كتابا ملأه بالمدح والثناء والإشادة بأعماله . قبر كتاب الرجبى ونسى ، وإن بقيت منه نسخة فى دار الكتب المصرية . أما كتاب الجبرتى فقد بقى . طلب الإنجليز من محمد توفيق الإذن بطبعه فطبع . وقالوا إنه نظر وحذف منه ما يمس تاريخ محمد على . ولكن الكتاب قدره الباحثون وعدوه أوثق مرجع تاريخى وأوفاه فى تاريخ مصر فى الحقبة التى كتب عنها وترجم إلى اللغات الأوروبية وعد من المصادر الهامة . ولما أسست بمصر مدرسة للتاريخ الحديث فى جامعة القاهرة بإشراف الأستاذ محمد شفيق غربال علا ذكر الجبرتى فى غفلة الطغيان ولهوه .

والجبرتى يسير على أسلوب المتقدمين : يقص الوقائع والحوادث سنة سنة ، ويعرض عليك الحقائق ولا يريد أن يعرض لك رأيه فيها واستنتاجه منها . وأسلوبه واضح سهل، وهو إلى العامية أقرب . وسر خلود كتابه أنه تحرى الحق وآثر الصدق . ومن قوله "لا أكتب حادثة حتى أتحقق من صحتها . ولم أخترع شيئا من تلقاء نفسى . والله المطلع على أمرى" .

وها نحن أولاء نرى مثلا ناطقا بقوة الحق وسلطان الصدق . فمحمد على الذى أزال دولة المماليك وزحزح ملك آل عثمان فى مصر وهدده خارجها وأسس ملكا دام مائة وخمسين سنة

واصطنع ما اصطنع من حيلة وكيد لم يستطع أن يسكت صرير القلم ولا أن يطمس نور الحق . وصدقت كلمة الله " فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال " .

أما المجمع فإنه كان قد سن لنفسه سنة منذ سنوات أن يوجه شباب الباحثين إلى درس تاريخنا القريب والعصر المتصل بعصرنا ، وفيه أصول نهضتنا ومنبت تكويننا وقد أهمل ، بل جحدت آثار رجاله ونسيت أعمالهم .

أعلن في سنين متتابعة عن مسابقات في تراجم الطهطاوي والمرصفي والنديم والمرتضى وقاسم أمين والشدياق . وهذه السنة كانت المسابقة في ترجمة الجبرتي ، وقد ظفرنا بترجمة له وبحث في تاريخه قدمه السيد محمود الشرقاوي واستحق التقدير والمكافأة .

والسيد الشرقاوي كان قد صحب الجبرتي أربع سنوات يدرس كتابه ويستشف من أحوال مصر وحياتها في عصره ، ولخص ما كتب الجبرتي تلخيصا يراه أمينا شاملا دقيقا وجعل كتابه ثلاثة أجزاء :

الأول — في حياة الجبرتي وأسرته ومؤلفاته وفي الحياة الفكرية والاجتماعية في عصره .

والثاني — في المماليك وسياستهم وأخلاقهم وفي الأزهر وعلمائه وأثرهم في الحياة المصرية .

والثالث — في كفاح شعب مصر ضد المماليك والولاة العثمانيين والحملة الفرنسية والغزو الإنجليزي وفي صفحات من تاريخ محمد علي .

وهو جهد كبير وعمل واسع استحق تقدير المجمع وتشجيعه .

وزاد في اغتباطنا به أنا أعلنا في السنة السابقة عن مسابقة في ترجمة السيد المرتضى الزبيدي أستاذ الجبرتي ومعاصره . فلم يتقدم إلينا أحد ببحث .

ولا بأس أن أناقش هذا الأستاذ في مسألة واحدة هي مسألة نص الكتاب . وهم يقولون : " أول البحث تحقيق النص "

١ — في دائرة المعارف الإسلامية أن نسخة سابقة على طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٧ ﻫ صودرت وأعدمت .

٢ — ويقول المرحوم جرجي زيدان في كتابه تاريخ الأدب " يقال إن عجائب الآثار بعد طبعه صادرته الحكومة وحذفت منه ما كتب عن محمد علي " .

وينقل السيد الشرقاوي هذه النصوص ويستبعدها ! لم ؟ لأنه راجع ما وصل إليه من النسخ فلم يجدها تختلف إلا قليلا في تقديم أو تأخير ، ولأنه رأى الجبرتي يكتب بحرية عن محمد علي ينقده في شيء ويثني على عمله في شيء . على أنه لم ير كل النسخ . ويذكر أنه توجد مخطوطة منسـ

فى مكتبة السيد الكتانى بفاس، وأنه لم يستطع أن يعرف عنها شيئا .

وأن أقدم نسخة وصلت إليه تاريخها ١٢٦٢هـ أى بعد وفاة الشيخ بإحدى وعشرين .

مع أن الكتاب كان مشهورا ومتداولا فى زمنه .

ومع أن كتاب " التدليس " للمؤلف نجد منه نسخا كتبت فى حياة المؤلف ، وقبل وفاته بسبع عشرة سنة . وكتاب "عجائب الآثار" أهم وأكثر انتشارا من كتاب التدليس .

فهذا مع ما نعلم من عمل محمد على وجهده البالغ فى مقاومة الكتاب لايجعلنا نرفض ماروى عن نقص الكتاب إلا بعد الاستقصاء .

ولعله فيما بعد أقدر على هذا الاستقصاء .

وإذا كان الأستاذ الشرقاوى قد صاحب الجبرتى سنين وأحبه ورضى عمله . فإنا نرجو أن يكون من الشرقاوى المؤرخ المحقق المنصف كما كان السيد الجبرتى . ونبادر فنبشره أنه لن يجد إلا عكس ما لقى الجبرتى ، فإنا والحمد لله فى طليعة عهد نرجو فيه إنصاف العاملين وحسن جزائهم ما

ثلاث مجموعات قصصية

للأستاذ محمد فريد أبو حديد
عضو المجمع

منذ سنة ١٩٤٢ أجاز المجمع اللغوى خمسة عشر أديبا فى فن القصة بين قصص طويلة وأخرى قصيرة ، والأكثر منها روايات والقليل الأقل منها تمثيل . وكان أكثر من أجيز من الأدباء الشبان الذين ساروا فى طريق التجويد وأصبحوا اليوم من مفاخر هذه البلاد التى صارت بفضل جهاد بنيها الأدبى فى صدر الشعوب العربية فى فن القصة .

ويمتاز هذا العام بإضافة جديدة لم يسبق للمجمع عهد بها ، وذلك أن الفائزين بالجائزة فيه ثلاثة منهم سيدتان ورجل واحد . وهذه الإضافة الجديدة لها دلالتها الكبرى ولها خطورتها العظيمة فأما دلالتها فذلك أن الرجال كانوا منذ عهد بعيد يجولون فى كثير من الجرأة منفردين فى ميادين الأدب . ويتحدثون فى أدبهم عن الرجال والنساء جميعا كأنهم يدعون لأنفسهم صفة النيابة عن الجنس البشرى فى ارتياد مجاهل النفس البشرية ، فظهور النساء فى الميدان وفوزهن بالجائزة التى تنافس فى الفوز بها عدد كبير من الشبان والرجال آية جديدة تدل على أن الأدب لم يعد مجالا لامتياز الرجال وحدهم ، بل تدل على أن السبق فى هذا الميدان يوشك أن يكون للأديبات من النساء .

وأما خطورة هذه الإضافة فذلك أن الرجال مهما أوتوا من قوة الإلهام ومن نفوذ البصيرة فإنهم لا يستطيعون أن يتغلغلوا فى أعماق السر الغامض الكامن فى قلب المرأة ، كما تستطيع المرأة نفسها أن تفعل . قد يستطيع الرجل أن يستوحى إلهامه من تأمل المرأة ومن تجربتها ، ولكنه لا يستطيع أن ينطق صادقا واثقا كل الثقة بما ينطق به على لسان المرأة ، كما تستطيع المرأة الأديبة أن تنطق صادقة بلسانها عن نفسها وعن بنات جنسها .

ولهذا يحق لنا أن نبتهج وأن نطمئن إلى أن المرأة المصرية بدأت تحتل مكانها فى حياتنا الأدبية ، لتهب لتراثنا الفكرى ثروة نحن فى أشد الحاجة إليها ، ولتكشف لنا من أسرار النفس البشرية جانبا لا يمكن أن نطمئن إلى صدقه إلا منها .

وفن القصة مايزال جديدا على اللغة العربية ، لأنه لم يبدأ فى صورته الجديدة إلا منذ بضع عشرات من السنين ، فى حين أنه يرجع فى حياة الآداب الأخرى إلى بضع مئات من السنين . ولهذا كان تقويم القصة وتقديرها فى اللغة العربية عرضة لكثير من الاختلاف فى الآراء لأن النقد الأدبى لم يصل بعد إلى تحديد مقاييس واضحة يمكن بها الحكم على الإنتاج القصصى .

وإذا كان النقد الأدبى عندنا بصفة عامة ما يزال فى حاجة إلى كثير من البحث حتى يؤدى واجبه كاملا فى تقويم سائر الفنون الأدبية ، فإنه يكاد يكون خلوا من كل ما يساعد على نقد القصة بوجه خاص .

ما زال النقد الأدبي عندنا يقصر اهتمامه على الصور البلاغية في عبارة من العبارات أو بيت من أبيات الشعر. وما زالت المعاني التي يتعرض لها النقد الأدبي هي المعاني الجزئية الكامنة في الألفاظ المفردة أو الصور المفردة.

وهذه المقاييس لا تصلح البتة في الحكم على الصور البلاغية في القصة الحديثة.

وما دمنا الآن في سبيل التحدث عن قصص بديعة فازت في مسابقة أدبية، فإنه مما يناسب المقام أن نشير إشارة قصيرة إلى بعض المعاني التي تنتظر من النقد الأدبي أن يبسطها ويجلوها ويحددها حتى يكون الأدب العربي أنطق وعيا وأقوى إدراكا لأسرار البلاغة في القصة العربية.

ولعل أول ما يسترعى النظر من خصائص القصة البديعة وضوح تصويرها للأشخاص. فالقصة تمتاز عن فنون الأدب الأخرى بأنها تحدثنا عن البشر، وتقدم كل المعاني التي تريد تقديمها إلينا على لسان الأشخاص وفي أعمالهم وعلاقاتهم ومشاعرهم. فعمل الفنان في القصة أن يختار لنا قطعة من الحياة تستوقف اهتمامه، ويصورها لنا كما يراها، ويلبس أشخاصها ما يشاء، ويشرب قلوبهم ما يشاء، بحيث يكونون بالنسبة إلى القراء عالما صادقا نابضا بالحياة مليئا بالمعاني.

فأشخاص القصة هم موضوع الخلق بالنسبة إلى الفنان: هم عالمه الذي يحيا فيه ويحيا به، وهم أداته في تحليل العواطف البشرية وإظهارها وفي إبراز المعاني الإنسانية والاجتماعية وتركيز الاهتمام فيها.

وإبداع الفنان يتمثل في تصويره هؤلاء الأشخاص بحيث تكون ملامحهم ظاهرة وطباعهم واضحة ومميزات خلقتهم بارزة، حتى إن القارئ ليلمح فيهم نفسه أحيانا، ويرى فيهم بعض من عرف من الناس أحيانا أخرى. فيستطيع بذلك أن يتأمل نفسه وأن يتأمل غيره وهو على بصيرة بما يتأمله بفضل وحي الأديب وكشفه عن الحقائق الدقيقة.

ولا يستحق التصوير أن يسمى بديعا إلا إذا كان صادقا. والصدق هو التعبير الصحيح عن حقائق الطبيعة وعن مشاعر القلب البشرى في مواقف الحياة المختلفة.

والصفة الثانية المميزة للقصة البديعة أن يصور الأديب كل ما يحيط بالأشخاص وصفا يجعل علاقاتهم واضحة، ويجعل عالمهم الذي يعيشون فيه ممتلئا بهم، حتى يحمل القارئ على أن يعيش معهم في ذلك العالم الواضح المليء. ولست في هذا القول بسبيل بيان الطرق التي يستطيع بها الأدباء أن يبعثوا الحياة في هذا العالم الذي ينقلون القراء إليه، فإن هذا هو سر الإبداع الفني وموهبة الفنان. ولكل فنان طريقته في تصوير العالم الذي يخلقه ولا سبيل للنقد على طريقة من طرق الفن إذا استطاع الأديب أن يبدع بها تصويره، ولكن أسلوب التعبير هو الأداة التي يتوسل بها الفنان إلى الإبداع في تصويره، ولا شيء يضيع على الأديب الموهوب فرصة التصوير البديع مثل ضعف أسلوب التعبير أو ركاكة

التركيب. قد تكون الصورة واضحة ساحرة فى ذهن الأديب، فإذا ما أبرزها فى عباراته بدت الصورة باهتة شائهة تحجبها ضبابة من الغموض تضيع كل محاسنها .

والصفة الثالثة للقصة البديعة أن تشبه الحياة فى دلالتها . فالبشر فى الحياة لا يقف بعضهم أمام بعض ليلقوا خطبا طويلة كلما أرادوا أن يعبروا عن معنى. فالمعانى تظهر فى أعمالهم و إشاراتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ، وهم يسيرون فى الحياة نحو مصايرهم خطوة بعد خطوة فى غير تظاهر ولا تعسف . فأشخاص القصة البديعة يتحركون هكذا من بدء ظهورهم إلى أن يبلغوا مصيرهم المقدور . قد يتحدث بعضهم إلى بعض وقد يدافع بعضهم بعضا أو يعامل بعضهم بعضا ، ولكن ذلك كله يسير سيرا طبيعيا لا تكلف فيه ولا تلفيق ولا تظاهر . وكلما كانت الحركة أكثر مرونة كانت أقل جفوة وجلبة .

والصفة الرابعة التى أجلتها إلى هذا الموضع من الحديث هى الشرط الأول لكل قصة بديعة وذلك أن القصة لابد أن يكون لها موضوع يهم الإنسان فى ناحية من نواحى الحياة . قد تكون القصة ملهاة وقد تكون مأساة . قد تكون من نوع آخر لا يحمل اسما من الأسماء المعروفة ، ولكن شرط الإبداع أن يكون لها موضوع يجعل القارئ يشعر أنه يتأمل قطعة من الحياة فى مظهر من مظاهر الحياة .

فوظيفة الأديب الفنان وميزته أنه يستطيع أن يلمح المواقف الإنسانية التى تهز القلب أو يقف عندها العقل للتأمل. والدليل على قيمة الأديب الفنان هى مقدرته على أن يحس قبل أن يحس غيره من الناس و بأقوى مما يحسون وأعمق .

وامتياز الأديب كامن فى مقدرته على أن يقف عند الزوايا التى تتضح له فيها معانى الحياة الدقيقة وتجعله يهتز ويعبر عن اهتزازه فى سياق بيانى يساير الطبيعة فى الإدراك والتأثر ، حتى إذا ما نقل ما عنده إلى القراء جعلهم يتجاوبون معه فى أحاسيسه وفى إدراكه وتأثره، ويوحى بذلك إليهم بما فى أعماق قلبه من تلك المعانى.

وليس الأدباء الفنانون سواء فى حظوظهم من التوفيق فى تحقيق هذه الخصائص فى إنتاجهم ، وقد يمتاز بعضهم فى جانب منها دون الجانب الآخر ، وقد يكون لكل منهم طريقته الخاصة فى الإدراك والتأثر وسياق البيان . وقلما يجتمع للأديب الفنان ما يجعله يبلغ الذروة فى كل خصائص التصوير والتأثير ، ولكن سر الإبداع فى كل الأحوال كامن فى مقدار ما يتوافر للأديب من هذه العناصر الأساسية فى إنتاجه.

والآن أنتقل بحضراتكم إلى أخطر قسم من الحديث وهو الذى يتصل بالإنتاج القيم الذى فاز بالجائزة فى هذا العام . فما قدمت هذه المقدمة بين يدى كلمتى إلا لأمهد لهذا القسم من الحديث ولكنى لا أستطيع فى هذا المقام أن أفيض أو أن أبلغ من الحديث ما يرضينى ، لأن ذلك يحتاج إلى محاولة ضخمة فى النقد الأدبى . وكل ما أقصده من هذه الكلمة أن أشير إشارة مختصرة إلى طرف مما يلمحه القارئ فى هذا الإنتاج من دلائل الامتياز ، وحسبى أن أتناول جانبا واحدا من خصائصه وهو الإبداع فى التصوير

فالقصص فى مجموعها تمتاز بما فيها من أشخاص يتحركون ويحسون وينطقون ويتعاملون، ولكل من الفنانين الثلاثة أسلوبه الخاص فى رسم أشخاصه وعالمهم الذى يتحركون فيه .

وسأضرب على سبيل الإيضاح مثالا لكل من طرقهم الثلاث ، لعلى أوضح معالمها فى شىء من التقريب. فالسيدة بنت الشاطئ فنانة ذات رسالة ، وهى تستخدم كل ما لديها من مواهب فى سبيل رسالتها التى تملك عليها كل قلبها . فأسلوبها العذب وألفاظها المختارة وديباجة بيانها الشفاف وصور أشخاصها وما يحيط بهم من الجواء المطلوبة . كلها تجتمع من أجل غرض واحد وهو أداء هذه الرسالة النبيلة . فهى تمثل رسالتها إذ تختار أشخاصها وتمثلها وهى تحدث عنهم وتمثلها وهى تنطق على ألسنتهم . والأشخاص عندها جنود يجاهدون بقوة ، لا يهمها أن تظهر وجوههم بقدر ما يهمها أن تبدو وجهاتهم ، ولا يهمها أن تسمع أصواتهم بقدر ما يهمها أن يصلوا إلى غايتهم .

ومن أمثلة هذه القصص البديعة قصة الوارثة التى تحدثنا عنها الأديبة ، ولا نكاد نفطن إلى أن اسمها " زهيرة " . ونحن لا نعرف ملامحها ولكنها بغير شك تبدو جميلة فاتنة . وقد بدأت "زهيرة" حياتها التعسة خادما تتنقل بين البيوت ويسبب لها حسنها كثيرا من الآلام ويثير فى سبيلها كثيرا من العقبات . وكانت فى وقت من الأوقات خادما فى بيت كريم . غير أن ابن الأسرة الشاب خشى فتنتها على أبيه بعد أن ماتت الأم ، فألقى بها فى الطريق فى غير رحمة . وما زالت الحياة تتقاذف بها حتى استقر بها القضاء آخر الأمر فى بيت رجل ثرى بنى بها قبيل موته . فورثها ثلاثة فدادين وشاءت المقادير أن يكون الطبيب الذى جاء لعيادة زوجها فى آخر حياته هو الشاب الذى طردها من البيت خوفا من فتنتها على أبيه .

ومن طرف خفى تلق الأديبة الفنانة فى روعها أن الطبيب يتقدم إليها راغبا فى الزواج منها طمعا فى مالها . فتسارع زهيرة إلى تلبية نداء لغاية فى نفسها . أرادت زهيرة أن تنتقم من الطاغية الغاشم فتذيقه وبال الذل على نذالته الأولى ونذالته الثانية . ونجحت فى ذلك أيما نجاح . والذى نلاحظه فى طريقة الأديبة الفنانة أنها تصور نماذجها البشرية بألوان سهلة صافية تنساب هادئة طبيعية كأنها لا تريد تصويرا . لا تحاول أن تمثل أشخاصها أمام أعيننا أجسادا ذات ملامح بارزة بل تمثلهم أرواحا ذات وجهات واضحة . فإذا أثر الصورة يكتمل كأنما تخرج من بين سطورها المنسابة روح حية فى سحابة ، نحس قوتها وإن لم نلمس جسدها .

وأما السيدة جاذبية صدقى فلها طريقة أخرى فى رسم أشخاصها ، فهناك قصة "صلاة الزين" وفيها مدبولى — شجيع الحى — الشاب الفتى المليح القسمات ذو الجلباب المشقوق الصدر عن وشم الأسد . وهو يضع طاقيته الشبيكة الصغيرة مائلة على رأسه بزهو وخيلاء كاشفا عن شعره الغزير المنمق . هكذا تمضى الأديبة فى تصوير شخصية مدبولى حتى يخيل إلينا أننا نراه جسدا متحركا .

حتى نراه يدخل القهوة ويدق بهراوته معلناً "نحن هنا" ثم نشهده وهو يبتز العطايا من باعة الحى الخاضعين لجبروته ثم وهو يقتسل المطربة المسكينة أو يعربد فى الحى ويسخر النساء البائسات لخدمته ويسخر نساءه الأربع للكسب له، وهن خاضعات لطغيانه. ومع هذا فالنساء يتسابقن لتزويجه من بناتهن، إلى أن ينتهى الأمر بأن يعجب بالفتاة (زينات) ويتزوجها على طريقته الخاصة. ومنذ تزوج مدبولى بالفتاة زينات ظهرت فى القصة شخصيات أخرى، حشد يتحدث ويتماكر ويتغابث. ولكن مدبولى يمضى فى سبيله لا يتردد ويرغم المأذون على عقد قرانه بالفتاة رغم صغر سنها. ثم يجىء يوم الزفاف ومدبولى يجول ويصول ويرقص فى السرادق على نغم الموسيقى وزغاريد النساء؛ ولكن المأذون الخبيث لم يسلم بالهزيمة فأبلغ البوليس. ولما جاء البوليس للقبض على مدبولى كان ما يزال يرقص. ولما صار فى سيارة البوليس جعل يعض يده أسفاً ويقول فى حزن وهو يهز رأسه:

«وقعت والسبب غلطة بسيطة. غلطة واحدة فى حياتى: المأذون، تركته يعيش».

هذا مثال من طريقة السيدة جاذبية صدقى فى التصوير. ونحن نرى الصورة البديعة المتحركة الواضحة، ولا ندرى لماذا؟ ولكنا نعجب بها لأنها تقول لنا دائما "نحن هنا".

طريقة أستاذة مستقبلة بغير شك.

وأما الأستاذ حبيب زحلاوى فله أسلوبه فى التصوير أيضاً. فهناك قصة "يقظة ضمير". وهى قصة رجل مغامر بدأ حياته خادما ولكنه استطاع أن يشق لحياته طريقا فى الأوحال والجرائم حتى جمع له من المال قدر وافر. عمل مع السلطة العسكرية فى حرب سنة ١٩١٤ وخدم الفرنسيين فى مدة احتلالهم لوطنه سوريا ثم شارك فى مؤامرة ضد فرنسا وتعرض لاضطهاد السلطات الفرنسية حتى اضطر للخضوع لهم من أجل العيش فاستخدموه جاسوسا. ولما قامت الحرب الثانية بقى يخدم سادته وهم يسيئون به الظن من حيث لا يدرى. وشهد هزيمة فرنسا واجتياح الألمان لعاصمتها وربح أرباحا طائلة من التجارة فى السوق السوداء. كما تمرغ فى أوحال الفجور والشهوات. ولكنه مع كل هذا كان يحمل فى أعماق قلبه شرارة مقدسة. كان يضم صدره على حب مكتوم لابنة أحد سادته الذين كان يخدمهم فى أول حياته. وخيل إليه أنه يستطيع أن يطهر نفسه بذلك الحب. فاتجه يبحث عن أمنيته حتى لقيها، وفى القاهرة؛ ولكنه وجدها قد تزوجت. فبهرت أمواله عينيها. وخيل إليه أنها تحمل له شيئا: حبا قويا، وتريد أن تستأثر به. ولكن الزوج! كان الزوج هناك. وخيل إليه فى ساعة من الساعات أن يحيط عنق ذلك الزوج بيديه ليزهق روحه ويضمه إلى سلسلة ضحاياه. ولكن شيئا فى أعماق قلبه حول النار إلى رماد فبادر بالسفر إلى لبنان لينجو من الموقف الخطير. وهناك جلس فى دارة متواضعة فى قرية صغيرة يراجع سجل مغامراته الوبيلة. وعزم آخر الأمر على أن يتجرد من أمواله النجسة ويقضى سائر حياته راهبا فى دير، لعله يتطهر. والأستاذ الفنان يغوص إلى أعماق القلب فى ثنايا قصته الطويلة ويعالج رسم صورته لا

على أسلوب القصة القصيرة ذات الموقف المحدود بل على أسلوب القصة الطويلة ذات التعاريج الكثيرة . ولكنه يصور لنا شخصية إنسانية فيها كل عناصر الضعف البشرى وفيها قبس واحد من الحب . واستطاع فيها القبس أن يطهر الأدران جميعا وأن يحق الجسد الذى عز عليه التطهير .

هذه أمثلة ثلاثة لطرق الأدباء الثلاثة . وهى تختلف فيما بينها اختلافا كثيرا ولكنها تتفق فى معنى واحد وهو معنى الإحسان والتجويد وإنه ليسعدنى أن أنوب عن الجميع فى تهنئتهم بالفوز راجيا لهم مزيدا من التوفيق فى جهادهم الأدبى منتظرا منهم إضافة بعد إضافة لتراثنا الأدبى الجليل ، حتى تحتفظ مصر دائما بمكانتها السامية فى ميدان الإنتاج القصصى .

على أنى لا أستطيع أن أختم كلمتى هذه بغير أن أشير إلى أن الفن الأدبى لا يستحق أن يحل فى المكان الذى نرجوه له إذا لم يكن فنا إنسانيا صادقا يلهم الأحياء بما يسمو بالحياة .

قد تحدث الكثيرون عن الفن للفن والفن للحياة وما أرى الجميع إلا يقصدون معنى واحدا . ولكنهم يجرون على سنة الأدباء دائما فى حب المحاورات والمجادلات التى تتيح لهم فرصا كثيرة للتعبير والتحليل . وأعتقد أن الجميع على اتفاق لأن الفن إذا كان للفن وحده ، فإن الفن إبداع إنسانى مثل سائر ما أبدعه الإنسان لنفسه فى رقيه نحو الكمال . الفن مثل العلم ومثل الصناعة ونظم الحكم وكل ما أبدعته الإنسانية لرقيها ، فهو يخدم الحياة لأن الحياة هى التى أنشأته ، ولولا أنه يخدم الحياة لما أبدعه العقل والقلب ، ولكن العبرة بأن يكون فنا حقيقيا ، لا تصرفا عابرا . والفن الحقيق خالد ، على حين أن تصرف الإنسان يزول بزوال لحظته . الفن الحقيقى يرتاد حقائق الوجود ولكن التصرف لا يزيد على ممارسة نشاط . فالطفل أو اليافع عندما يمثى أو يقفز ، لا يزيد عمله على نشاط وتصرف يحقق به وجوده . ولكن الفنان عندما ينتج لا يحقق وجوده فقط ، بل يثير حياة جديدة فى وجود الآخرين .

فلنسأل أنفسنا إذن إذا نظرنا إلى الإنتاج الذى بين أيدينا . هل حقق أدباؤنا وجودهم فقط ؟ أم أثاروا حياة جديدة فى وجودنا نحن ؟

ومسئولية المرأة هنا عظيمة . فهى تحدثنا عن نفسها وعن بنات جنسها . تحدثنا عن أسرار تصرفها هى خيرا مما نعرفها . فلنسأل الأديبات السيدات : هل يثرن حياة جديدة فى وجودنا باطلاعنا على الأسرار الخالدة المكنونة فى المرأة ؟ هل يقول النساء إذا قرأن هذا الأدب : « هؤلاء نحن » ؟

" هكذا نحن حقا " .

إذا لم يكن الأمر كذلك كان الأدب أقرب إلى أن يكون تصرفا وممارسة لنشاط عابر . يكون أقرب إلى أخيلة الشباب المراهقين أو الأطفال اللاعبين . وإنه لمما يدعو إلى الغبطة أن الأدب الذى بين أيدينا يثير فينا وجودا جديدا . والأمل عظيم فى أن يواصل سيره ليثير فينا هذا الوجود الجديد دائما . فينطلق إلى الأمام معبرا صادقا عن الحقائق الخالدة ، عاليا بنفسه فوق مغريات الأرض وفتنة الشهرة أو المادة . وحسبنا من الأدب أن نرى فيه أنفسنا بعد أن كنا غافلين عنها وأن نستلهم منه ما يصور لنا إيماننا عملا قلوبنا ويجعلنا نتطلع بمحبة الحياة من أجل تحقيق إيماننا ؟

ب - فى اللغــة

سنة التطور فى اللغة

للأستاذ محمد رضا الشبيبى
عضو المجمع

يا حضرة السيد الرئيس :

حضرات السادة الأفاضل :

كثر الحديث فى هذه الآونة عن اللغة وعلاقتها بالحياة وعلاقة الحياة بها وتأثرها بالطبيعة وبسنن التطور فيها وخضوعها أو عدم خضوعها للسنن المذكورة ، وكثر البحث كذلك عن علاقة التطور اللغوى بنشر الثقافة الجديدة والتطبع بطابع الحضارة الحديثة . وتضاربت الآراء كما لا يخفى كثيرا فى هذا الموضوع .

يعتبر الاعتزاز باللغة وحياطتها وبعث آدابها نقطة البداية فى نهضة كل أمة فلا خطر على أمة ما عنيت أو اعتزت بآداب لغتها ولغتها نفسها . وكأين من أمة فقدت استقلالها وتصدع كيانها ثم تسنى لها استرجاعه والاستمتاع به لأنها حافظت على استقلالها اللغوى . فالاعتزاز باللغة مفتاح الاستقلال والمنفذ المفضى إلى الحرية ، والتفريط بها يعنى ضربا من الضياع والانحلال .

اللغة ملك لنا أم نحن ملك لها ؟ العربية أبقى من الحياة والطبيعة أم الطبيعة أبقى من اللغة ؟ ألنا أن نتصرف فى اللغة موادها وقواعدها أم ليس لنا ذلك ؟ فوجئنا بهذه الأسئلة من قبل بعض المتبرمين بالفصحى فى غير قطر من أقطار الشرق العربى . وتلك أسئلة يقال فى الجواب عنها إننا لسنا مماليك أرقاء لهذه اللغة ، كما أن اللغة ليست مملوكة رقيقة لنا أو لجماعة منا يتصرفون فيها تصرف المالك فيما يملك . والواقع أن العربية تراث ثمين انتقل إلى الخالف من السلف ، ووديعة اؤتمن عليها مئات الملايين من الناس . وإنى أؤكد لكم أن الشرق بأسره ضنين كل الضنة بذلك التراث الثمين .

هذه ممالك الشرق من إيران والأفغان والباكستان وجزائر الشرق الأقصى إلى دول إسلامية أخرى مضافة إلى البلاد العربية وتونس والمغربين الأدنى والأقصى تشدد النكير على بعض الجماعات المتجنية على العربية وآدابها الرفيعة .

هذا وفى الجواب عن قولهم : العربية أقوى وأبقى من الطبيعة والحياة ... ؟ نقول إن فى الإبقاء على الفصحى فى مصر وبقية أقطار الشرق العربى إبقاء على الحياة واستجابة لمقتضيات الطبيعة . وفى التفريط بها تفريطا بالكيان القومى والمشخصات العربية والثقافة الإسلامية والمعانى الإنسانية .

لا نبالغ إذا قلنا إن لغتنا أغنى لغة وأوفرها حظا من المعانى الإنسانية والمفاهيم الرفيعة السامية منظومة ومنثورة ، وهذا الغنى وهذه الثروة المعنوية هى مقياس رقى اللغات فى الحقيقة ، لا الألفاظ

(1) ألقى هذا البحث فى الجلسة الأولى لمؤتمر المجمع فى دورته الحادية والعشرين .

ولا المواد ولا المصطلحات وحدها. على أن لغتنا ليست فقيرة في هذه الناحية ، وهذا هو الفارق بين الفصحى واللهجات الشائعة فإنك لا تستطيع إنشاء قطعة أدبية أو مقالة علمية بلهجة من هذه اللهجات .

هذا ونعجب من قولهم لنا : أما آن لنا أن نتصرف باللغة قواعدها وموادها ؟ قائلين : إننا نتنكر الجمود . على أن ذلك لا يعني مجاراة المتجنين المتبرمين نحن نرحب بالإصلاح والبناء ولكن الإصلاح والبناء شيء والهدم والمسخ شيء ثان .

يزعمون أن المصطلحات وسائر الأوضاع اللغوية التي أقرتها المجامع اللغوية في كل من مصر والشام والعراق تحدت قوانين الحياة وطبيعة الزمن . والواقع إن أصحاب هذه الآراء هم الذين تحدوا قوانين الحياة ، فليس في العالم أمة حية لا تغار على مقومات حياتها من لغة وثقافة وآداب .

يخيل إلينا أن جهابذة الجيل الماضي الذين عنوا بتأسيس هذه المجامع اللغوية في مصر وأقطار الشرق العربي كانوا من ذوي الإيمان الراسخ برسالتهم ودعوتهم إلى الإصلاح اللغوي ، وما كانوا يرون هذا الضرب من الإصلاح والتجديد مستحيلا إلا بالتجني على الفصحى واستبدال الهجاء اللاتيني بالهجاء العربي وإلغاء الإعراب وإغراق اللغة بطوفان من المواد الأعجمية ، كما يراه بعض أبناء هذا الجيل بحجة التطبع بحضارة الغرب . ولعلهم يضمرون وراء ذلك قطع كل صلة لهم بالشرق مطلع النور ومبعث الحياة .

ماذا يريدون ؟ هل يريدون تعريب المصطلحات كلها بهيئاتها وأبنيتها الأعجمية ، خلافا لجميع القواعد والأصول ، وخروجا على أحكام مرسوم المجمع نفسه لأنها مصطلحات مألوفة في بعض المختبرات والمعامل ولدى بعض الأطباء ؟ فإذا قالوا : إن هذه حركة إصلاحية وخطوة في سبيل تطور اللغة واتخاذها أداة لنشر الثقافة الحديثة . فنحن نقول : إنها خطوة إلى الوراء وتطور معكوس .

هاهي الثقافة الحديثة تزداد انتشارا في العالم العربي بأداتها الفصحى نفسها وبحروفها عينها بدون حاجة إلى ما يقولون . بل نحن في بعض أقطار الشرق العربي نشكو ضربا من التخمة مردها إلى قشور هذه الثقافة الحديثة وتقليد المعنيين بمظاهرها الفارغة .

إن صلاحية أعضاء المجمع وصلاحية غيرهم من العلماء ليست مطلقة في هذه الناحية بل هي مقيدة محدودة بحدود معينة .

لماذا لا نعتبر بطريقة هؤلاء اللغويين الغربيين من إنجليز وألمان وفرنسيين فإنهم لم يدعوا مثل هذا الحق المطلق في الاجتهاد اللغوي أو في نقل المصطلحات الأجنبية إلى لغاتهم ولم يحاولوا الشذوذ عن الأصول العلمية .

ومن المسائل التي يعنى بها بعض المتجنين على الفصحى نشر الدعوة إلى إماتة بعض المواد العربية المعهودة في متون المعجمات القديمة كأنما كشف لهم سر من أسرار التطور في اللغة . مع أن قدامى اللغويين سبقونا إلى ذلك أجيال

كثيرة ، فهذا ابن فارس يقول فى مقدمة كتابه الذى سماه المجمل عن هـذه الألفاظ اللغوية المهجورة "ألفاظ مضى شأنها وانقضى زمانها" وأبيات صفى الدين الحلى شاعر العراق فى المائة الثامنة التى استهجن فيها الشعر واستثقل الإعراب معروفة :

لغـة تنفر المسامع منها
حين تروى وتشمئز النفوس

إنمـا هذه القـلوب حديد
ورقيق الألفـاظ مغناطيس

من ذلك نعلم أن أهل العربيـة أماتوا تلك الألفاظ المستثقلة من تلقاء أنفسهم لأنهـا أصبحت عبئا على العربية .

هكذا عرف القوم معنى التطور والإصـلاح فى اللغة وهى ميزة أصيلة فى التطور التدريجى المتزن عند العرب . فما أولانا بالنهج على آثارهم وترسم خطواتهم والله تعالى ولى التوفيق ما

سلطان اللغة العربية

للأستاذ محمود تيمور
عضو المجمع

المحتويات :

- نصيب اللغة العربية من عصر الانقلاب
- أدعوة إلى إصلاح الفصحى أم إلى انقلاب لغوى ؟
- ما كنه الدعوة إلى اتخاذ العامية ؟
- أسرار قومية وراء هذه الدعوة .
- اختلاف النقاد فى تقدير العامية ، هل هى تطور أو فساد ؟
- مداول الصراع بين العامية والفصحى ومصيره .
- أسباب قوية تمنع الفصحى أن تنتقض .
- إمبراطورية اللغات تخلف إمبراطورية العناصر والأجناس والأوطان .
- إمبراطورية اللغة العربية بعد الإمبراطورية العربية السياسية .
- الإيمان بأن لغة الكتابة غير لغة الحديث .
- رجل الشارع يسمو إلى الفصحى .
- الكلمات الفصاح تزاحم الكلمات العامية والدخيلة .
- علينا أن نهيئ للفصيح فرصة التعرف .
- يجب أن نتريث فى تسجيل العامى والدخيل .
- أيكون رجل الشارع أحرص على فصيح اللغة من رجل اللغة ؟
- الرأى العربى العام يبغى تذليل عقبات الفصحى .
- فى العامية ألوف من فصيح الكلمات يجب أن نتألقها .
- التخفيف من التباين اللغوى بين أمم الناطقين بالضاد .
- تسمية الأشياء التى تدور فى الحياة اليومية .
- عرض مائة من الكلمات المنزلية والفنية والصناعية والتجارية والعامة .

— ١ —

اللغة العربية اليوم فى محنة واختبار ، عليها تدور الأحاديث ، وفيها تتنازع الآراء ، وحولها يتخالف أهلوها ، فريق منهم يظنون بها الظنون وفريق آخرون يجادلون عنها خشية أن يهون سلطانها فى مجال الإبانة والتعبير .

ليست اللغة العربية وحدها هى التى تبوء بذلك اللون من الحيرة والاضطراب ، فالكون كله فى عهد مضطرب حائر ، قواعده تخسف ، وقممه تتهاوى ، كأن زلزالا عنيفا يدور بهذا العالم فى أوضاعه وأنظمته جميعا .

هذا عصر انقلاب لا ريب فيه .. ويد الانقلاب تتناول كل مقومات الحياة بالتمحيص فى غير هوادة ولا رفق . تنقض منها ما تنقض ، وتستبدل بها ما تستبدل ، لا تبالى من شىء ، ولا يستعصم منها شىء .

وإن هذا الانقلاب ليمضى فى قوة وصرامة ، فى يده معول هدام لا تكاد تلاحقه العيون ، عليها

وأمامه فراغ يتطلب تعميره فسحة من الزمن ، ومهلة من التدبير . وما هذه الفسحة والمهلة إلا فترة الحيرة والاضطراب التى هى طابع عصرنا المشهود .

إنها حرب ، وإن كانت بغير سلاح : حرب أشد ضراوة من حروب الحديد والنار .

هى حرب الأفكار التى يجيش بها الوعى الباطن فيتمخض عنها الوعى الظاهر ، حرب توقظ الكمين من مشاعر النفوس ، فإذا هى رغبات ومقاصد وأهداف .

فى أتون هـذه الحرب تنصهر معالم حياتنا فى دنيانا القائمة ، وتخلق منها دنيا جديدة . لا ندرى أى دنيا تكون ؟

ولئن دلت هـذه الحرب على شىء فإنما تدل على أننا بإزاء حيوية دافقة ، ويقظة عارمة ووعى جديد لكل ما فى الحياة من قيم ومفاهيم ، فالكائن البشرى اليوم فى مفترق الطرق يتلفت سائلا :

أتراه فى سيره على رشد ؟

ألا من سبيل إلى غد أحفل بالخير للإنسانية وأدنى إلى رفاهية ورغد ؟

— ٢ —

لا بدع إذن أن تأخذ اللغة العربية حظها من تلك التساؤل والاستخبار ، وأن يجرد الكتاب أقلامهم دعاة إلى البحث فى شأن هذه اللغة :

أوافية هى بحاجة أهليها ؟ أمطواعة هى فى أداء رسالتها ؟ ألا تستبدل العامية بها ؟

ومن هؤلاء الكتاب من يحاولون فى دعوتهم أن يستصفوا نفوسهم مما يترسب فيها من سلطان الفصحى على النفوس ، وأن يبعثوها دعوة جهيرة حرة تنشد انقلابا لغويا يساير مجرى الوعى العالمى الجديد .

ليست مصنوعة ولا متكلفة هـذه الدعوة الشعواء ، فهى وليدة الشعور الغالب بأن الفصحى صعبة المرتقى عصية المنال ، وأنها ليست طيعة كل الطواعية ولا مرنة كل المرونة لملاءمة حاجات الحياة فى تطورها الدءوب .

وإذن فهنالك ثورة حبيسة تضطرم ، وهذا وميضها يستبين فى تلك الدعوة ، فهل هى ثورة على اللغة ؟ أو هى ثورة لها ؟

أثورة هى للقضاء على الفصحى وإحلال العامية محلها ؟

أم هى انبعاث لطلب الإصلاح والتيسير حتى تساير اللغة مطالب العيش والفكر فى مرونة وطواعية ؟

— ٣ —

أما الدعوة إلى استبدال العامية بالفصحى فهى دعوة ترجع إلى عشرات من السنين ، فقد نودى باتخاذ العامية أداة للتعبير الكتابى كما هى أداة للتخاطب والحديث ، ومازلنا نسمع النداء باتخاذها فى الفينة بعد الفينة يتجدد ويتردد ، وقد كتبت بالعامية الأزجال والأناشيد وبعض المسرحيات والأقاصيص وما فتئت تكتب بها حتى هذه الساعة .

وفى معتقدى أن أسرار الدعوة إلى اتخاذ العامية فى التعبير الكتابى كانت ترجع أكثر ما ترجع إلى أعراق سياسية قومية ، فإن هــذه الدعوة بزغت مع فكرة تقويم الشخصية المصرية المحدودة بحدود الوطن الجغرافى ، ورافقت بناء الدولة المصرية المستقلة بكيانها فى العالم السياسى ، فكان من عناصر هذا الاستقلال أن تصبح اللغة القومية ذات سيادة وسلطان ، وما برحت تلك الدعوة تراود أحلام جماعة من الكتاب والأدباء والعلماء وفق الملابسات والأحوال ، حينا تبدو وحينا تخفى ، فإذا ترددت اليوم أصداؤها فما ذلك إلا رجع طبيعى من إيحاء العهد الوطنى الجديد ، ذلك العهد الذى يستمل فيه الروح القومى إلى أبعد مدى ، ويستكمل مشخصاته على أوسع نطاق .

— ٤ —

على أن علماء اللغة ونقادها يختلفون فى تقدير اللغة العامية كبير اختلاف ، فطائفة منهم يرون العامية فسادا للغة الأصيلة وانحلالا ، وطائفة آخرون يرونها تطورا واستحالة . . . وبهذين التقديرين يتميز خصماء العامية وأنصارها ، ولكن خلاف النقاد والعلماء فى التقدير لا ثمرة له فى مصير اللغات واللهجات . فكأين من لغة أصيلة لم يكتب لها البقاء ، ولكن بقيت لهجاتها تغالب عوامل الفناء ، وكأين من لهجة مشتقة غلبت على أمرها أى غلبة ، فلم تستطع فى معترك اللغة الأصيلة أن تعيش .

شأن اللغات واللهجات فى هذه الناحية شأن الأمم والشعوب ، فرب أمة منفردة بما لها من طباع وخصائص تغلبت على أمم أخرى أضعف منها شأنا ، فإذا الأمة الغالبة تمازج الأمم المغلوبة وتمازجها ، فتنجم من بينها جميعـا سلالة ناشئة ذات خصائص تمليها بيئـة جديدة ، فيختلف فى تقديرها المحافظون والمعتدلون من الأمة الغالبة ، يقول المحافظون : هذا فساد وانحلال ، ويقول المعتدلون : إنما هو تطور وتحول واستمداد .

ومهما يكن من الخلاف فى تقدير العامية بين الأنصار والخصماء ، فالصراع بينها وبين الفصحى واضح المصير . وليس التمى على الفصحى والإفاضة فى مشكلاتها إلا برهانا ساطعا على أن العامية قد أفلست فى محاولة امتلاكها ناصيـة التعبير الكتابى فى مجال الثقافة والفكر ، وأن الكأس فى يد الفصحى : كأس الغلبة والانتصار ، رضيناها لغة لحياتنا العلمية والأدبية والاجتماعية على اختلاف المناحى والفروع . وما نعينا عليها وإفاضتنا فى تبيان مشكلاتها إلا نزوع عميـق إلى إصلاحها والنهوض بها والسعى إلى تطويعها واستدامة حياتها ، حتى توائم مطالب العلوم والفنون والآداب ، وتلائم حاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وتستطيع أن تكون أداة طيعة مرنة لا يستعصى اتخاذها على جمهرة الشعب لكى تؤدى لها رسالة التعبير فى سهولة ويسر .

— ٥ —

ما دلالة الهتاف بالعامية بين حين وحين ؟ إن العامية تعيش بيننا فى حياتنا العامة عيش الإمرة والسلطان ، بها نتحدث بل نفكر . فإذا تناولنا الأقلام لنكتب ، أو وقفنا على المنابر والمنصات لنخطب ، ترجمنا أفكارنا وأحاديثنا فى عبارات فصاح .

والهاتفون بالعامية لايهتفون بشىء يتقاضانا أن نتعاطاه وأن نجهد فى تعرفه، وأن نتخذ الوسيلة لإحسانه، وكان حريا أن نستجيب لهذا الهتاف لو أردنا لأنفسنا اليسر. فالفصحى تجشمنا كلفة التعلم، وتريدنا على معالجة التعبير بألوان التجربة والمراس، والعامية فى متناول أفواهنا لا مشقة فيها ولا عسر، ونحن مستطيعون أن نجرى بها أقلامنا دون تكلف أو معاناة .

وإذن فدلالة الهتاف بالعامية أن ثمة أسبابا تعصم الفصحى من أن تقضى عليها العامية، وأن الهاتفين بهذه العامية يناهضون تلك الأسباب، وينشدون ألا يقام لها فى التقدير ميزان .

كثيرة هى الأسباب التى تمنع الفصحى أن تنقض، وتمنع العامية أن تكون لها فى ميدان الكتابة دولة التعبير .

فى طليعة الأسباب هذا القرآن العظيم، منار الفصحى الذى يهتدى إليها كل من يؤمن بكتاب الله، بل كل من يؤمن بما فيه من بيان مكين، وهذا المنار هو الذى حفظ الفصحى فى مواضى الحقب على توالى الغير، وهو الذى يحفظها على مر الزمان ما بقى فى الناس إيمان .

على أن ثمة سببا متينا يرجع إلى ظاهرة اجتماعية واضحة، ذلك السبب المتين هو الرغبة فى الترابط اللغوى بين الأمم المتشابهة والمتقاربة وهو ما نسميه الإمبراطورية اللغوية فى مجتمع الناس .

لقد زالت الإمبراطوريات السياسية بزوال الملابسات التى عملت على تكوينها بين جماعات الأمم، ولكن يبدو أن فكرة الإمبراطورية أصيلة فى الطبع البشرى، ومبعثها فى النواعية الخفية للإنسان هو النزوع إلى شكل من التآزر والاتحاد يفيد القوة والمنعة، فلا غنية للأمم عن ترابط فى مرفق من مرافق العيش أو منحى من مناحى الحياة، سواء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وسواء فى مطالب العيش والعقل والذوق والوجدان .

وفى عصرنا الراهن تتجلى لنا الأمبراطورية اللغوية أقوى ظواهر الترابط بين الأمم والشعوب فهى تكتل للذات يخلف تكتل العناصر والأجناس والأوطان . فقد تقلص ظل الإمبراطورية الإنجليزية فى الميدان السياسى، وقامت على أنقاضها إمبراطورية لغوية وارفة الظلال . ومن أطراف هذه الإمبراطورية يقوم تكتل ثقافى عماده اللغة الإنجليزية على تفاوت بين تلك الأطراف لا يعتد به فى تقويم اللغات .

ومن أمثلة الإمبراطوريات اللغوية تلك الإمبراطورية التى تتألف من شعوب تتكلم اللغة الألمانية فى ألمانيا والنمسا والجانب الأكبر من سويسرا، فعلى الرغم من تعدد هذه الأوطان تترابط شعوبها بلغة واحدة .

وهنالك الإمبراطورية اللغوية الفرنسية، إذ تتكون من فرنسا وبلجيكا وجانب من سويسرا إلى غيرها من رقاع الأرض . والإمبراطورية اللغوية الإسبانية التى تتمثل فى إسبانيا والمكسيك وأمريكا الجنوبية . واللغة البرتغالية التى نراها مستعملة فى البرازيل، إلى غير ذلك من أشتات الأمثلة والصور .

ولا مرية أن لوحدة اللغة أبلغ الأثر فى تقريب الاتجاه الثقافى . وقد خبرت ذلك فى أثناء

تجوالى فى المناطق السويسرية المختلفة العناصر واللغات ، فكل منطقة منها تجنح فى تفكيرها وثقافتها وأهوائها إلى الأمم الكبرى التى أرضعتها بلبان اللغة ، وإن كان طابع الأمة السويسرية على اختلاف مناطقها طابع وحدة واستقلال .

ولعل الأمم الشرقية والعربية أولى الجماعات البشرية بأن تأخذ نصيبها من فكرة ذلك الترابط اللغوى ، وأن تتألف منها إمبراطورية اللغة العربية .

لقد تعاونت عوامل طبيعية على أن تخلق الإمبراطورية العربية السياسية فى عصور التاريخ . وضمت هـــذه الإمبراطورية أقطارا شاسعة ، وأطرافا قاصية ، وازدهرت ما شاءت لهـا تصاريف الأيام أن تزدهر . ثم تناصرت عوامل طبيعية أيضا على أن تضمحل تلك الإمبراطورية السياسية الكبرى ، مخلفة وراءها دولا لغتها الفصحى .

فإذا كانت الإمبراطورية العربية قد أسدل ستارها على مسرح السياسة حينا فهى قائمة فى مظهر لغوى يربط بين من ضمت من أمم وشعوب ، ونحن نعمل بواعينا الظاهرة والخافيـــة على استبقاء رباطنا الإمبراطورى فى صورة اللغة العربية . وكأننا بهذا الرباط نحيى إمبراطوريتنا الزائلة على نحو يلائم ملابساتنا الحاضرة ، فإيماننـا بالفصحى مستمد من إيماننا بتلك الإمبراطورية التى تجمع فيهـا أمجادنا التليدة ، وإننا بذلك الإيمـان نستمسك بمقومات شخصيتنا العزيزة علينا وعلى تاريخ الإنسانية جميعا . وفى هـــذا الاستمساك تلتقى مشاعرنا الطبيعية لحماية أنفسنا فى معترك تنازع البقاء .

عبث إذن أن تقاوم تلك الظاهرة الاجتماعية القوية ، ظاهرة التكتل اللغوى بين أمم الشرق والعروبة . فمقاومة العوامل الواضحة فى طوايا المجتمع مقاومة مآلها إلى الخيبة والإخفاق .

— ٦ —

المثقف وغير المثقف كلاهما قد اســـتقر فى وليجة نفسه أن هناك لغتين : لغة كتابة وتدوين ، ولغة تخاطب وحديث . فهو إذا تكلم ألقى كلامه على السجية عفو الخــاطر ، اللهجة العامية الدارجة . وإذا انبرى يكتب واصفا أو معبرا عن ذات نفسه تهيأ لاختيار ألفاظه وتكوين جمله ، مراعيا كل ما يقتضيه البيان العربى القويم ، وكأنه بذلك يصقل قوله ، ويلبس تعبيره ، لكى يسمو إلى ذلك المناط المرموق : مناط الفصحى ، فتراه عزوفا عن اصطناع ما يجرى فى الحديث الدارج من كلمات ، محاولا جهد إمكانه أن يتخذ الألفاظ الفصاح ، وأن يستبدلها بما يدور فى الحياة العامة من تعابير .

بل إن رجل الشارع ، إذا تحدث إلى بعض المثقفين فيما يهمه ، أخذ نفسه بالترفع بأسلوبه بقدر ما فى طوقه أن يترفع ، فتراه يعالج فى حديثه أن يهذب عبارته ، وأن يدنو بهـا من الفصيح ما استطاع إلى الدنو سبيلا .

كتب إلىّ بعض المتصلـــين بى فى شأن مطالب منزلية ، فإذا هو يستعمل كلمة : متكأ وكلمة : مهفة ، ولم يشأ أن يكتب : كنبة ، وريشة ، على حين أنه يستعمل هاتين الكلمتين

العاميتين إذا تحدث حديثه المألوف ، وذلك لاعتقاده بأن للكتابة ألفاظا وأساليب غير ما للغة الكلام من ألفاظ وأساليب .

وفى شارع كبير من شوارع القاهرة رأيت كلمة " أراك " تزين جبين محل لتنجيد المقاعد والكراسى، مع أن هذه الصناعة يعبر عن صاحبها بكلمة " منجد " وهى كلمة عربية فصيحة ، ولكن شيوعها فى العامية وابتذالها فى الاستعمال بعث هذا المنجد المتأنق على أن يجتنبها عنوانا له ، وأن يتخذ كلمة فصيحة جديدة تشعر الناس بأنه فنان غير مبتذل ، فهو يخاطب هواة الفن الرفيع بلفظ رفيع .

لاسبيل البتة إلى إنكار مايضطرم فى البيئات العربية كلها من نزوع إلى الإفصاح ، ومن رغبة فى تسويد اللغة العربية ، حتى تكون لها الكلمة العليا فى مجال التعبير .

الجمهور العام يهفو إلى الفصيح من الألفاظ ويعمل على إشاعته ، طوعا لذلك الوعى الذى يملك عليه أقطار نفسه . إنه يأنف من الكلمة الأجنبية أيما أنفة ، ويضيق بالكلمة العامية أيما ضيق، ويجد هواه مسوقا إلى إيثار الكلمة الفصيحة ، فهو يتلقفها ويتناقلها حتى يبلغ بلغته مستوى لغة الثقافة التى يتفاهم بها الخاصة من أهل الرأى والتفكير .

وردت علينا كلمات " البسكليت " و " الأوتوموبيل " و " التلغراف " وغيرها من الكلمات الدخيلة ، فتصدت لها كلمات عربية أو أدنى إلى العربية تحاول إجلاءها . كلمة " البسكليت " زاحمتها العجلة والدراجة، وكلمة " الأوتوموبيل " زاحمتها العربة والسيارة ، وكلمة " التلغراف " زاحمتها البرقية، ولن يكون مصير هذه الكلمات الأجنبية الثلاث إلا الجلاء .

كانت تستعمل فى مصر منذ عهد غير بعيد كلمة " أدبخانات " وهى مركبة من لفظتين عربية وتركية، جاءت على أثرها الكلمة الأجنبية " تواليت " لتحل محلها ، فإذا كلمات فصيحة متعددة تنازعها السيادة، فقرأنا فى أماكن مختلفة : محل الغسيل . مغسل . مرحاض . دورة مياه . مرافق . وفى متن اللغة كلمات غير أولئك ربما ظهرت فى مجال التزاحم والصراع منها كلمة " المطهرة " . فهذا الاضطراب فى الاستعمال والتعدد فى اختيار الكلمات برهان الرغبة العارمة فى التخلص من الكلمة العامية والأجنبية، والتمهيد لإحدى الكلمات الفصيحة أن تهيمن وأن تسود .

زرت فى صيف هذا العام سورية ولبنان، فإذا كلمتان شاعتا لم يكن أحد يقدر لهما الشيوع يوم نادى بهما من نادى من الكتاب والنقاد ، هاتان الكلمتان هما : الهاتف والحافلة . الأولى تستعمل مكان " التليفون " فى كل مكان، والأخرى تكتب بالخط الجلى على السيارات العامة التى تسمى " الأوتوبوس " .

— ٧ —

علينا إذن ألا نعطل ظهور اللفظة الفصيحة بحجة أنها غير معروفة ، وأن مقابلها العامى أو الأجنبى شائع صقله الاستعمال . فهذه حجة تدحضها الأمثلة البعيدة والقريبة فى الماضى

والحاضر ، إذ تداول الجمهور كلمات كانت بادئ بدء موضع الاستغراب ، بل هدف السخرية والاستهزاء ، واستبدل الناس بما كانوا يألفون من الكلمات العامية والأجنبية كلمات جديدة طريفة أصبحت هي المألوفة المأنوسة التي لا يصطنعون غيرها حين يعبرون وحين يكتبون .

ليكن عملنا إذن إزاء الكلمة الفصيحة أن نهيئ لها فرصة التعرف ، وأن نمهد لها طريق الشيوع ، فالجمهور يجد في نفسه الحاجة إليها ، ويضمر التعلق بها ، ولن يمضى عليها طويل وقت حتى تكون لها الغلبة على مقابلها العامى أو الدخيل .

إن الكلمة العامية الدارجة خليقة أن تخدعنا فتميل إلى أن نتقبلها وأن نفسح لها ونسجلها ، لأنها دارجة تستمد الحيوية بهذا الدروج ، ولكن النظرة الفاحصة في المجتمع العربى واستظهار الروح السارية والوعى السائد في مستوياته العامة أو في مستوياته الخاصة ، يكشف لنا أن هذا الدروج الخداع للكلمة العامية محدود بلغة التخاطب ، موقوف على الاستعمال السوقى ، موسوم بالابتذال ، مهدد بالاضمحلال والزوال. فإن الكلمة المقابلة الفصيحة لاتكاد تبدو سائغة في الذوق حتى يتقبلها الناس ، وإذاهي شائعة في البيت والمتجر والسوق .

وأكاد أجزم بأننا إذا قبلنا اللفظ العامى أو الأجنبى الدارج فسجلناه مسارعين ، لم يقع هذا الصنيع من الرجل المثقف ، بل من رجل الشارع ، موقع الاستحسان . وسنرى هذا الرجل المثقف ، بل نرى رجل الشارع ، حريصا كل الحرص على أن يتصيد كلمة فصيحة تحل محل الكلمة العامية أو الأجنبية . ومتى عثر عليها أنس بها وعمل على إشاعتها بكل ما أوتى من جهد ، مدفوعا بذلك الوعى الدافق ، وعى السمو ، إلى أن يكون لسانه مطبوعا على الفصحى ، وأن تكون هذه الفصحى لغة تعبيره في شتى مرافق الحياة .

كثيرا ما يتأثر رجل اللغة بما يلوح له من ظواهر سيادة الكلمات العامية أو الدخيلة في عهدها الراهن ، ويرى لزاما عليه أن يذعن لتلك السيادة ، وأن يتهيب اقتراح فصيح العربية المؤدى لما تؤديه تلك الكلمات العامية أو الدخيلة من المعانى والدلالات . وربما استشعر مجمعنا اللغوى كذلك أن ألفاظ الحياة العامة الدائرة في أفواه الجمهور العام حقيقة بالقبول والتسجيل ، دون استحياء مواضعات جديدة ربما تعذرت إشاعتها بين الناس ، أو انبهم الحكم على مستقبلها ، أتسوغ على الألسن أم لاتسوغ ؟

بيد أن تأثر رجل اللغة هذا التأثر واستشعار المجمع اللغوى على ذلك النحو ، يجب أن يكون بأقل مقدار ، وأن يجرى في أضيق الحدود ، وأخشى ما أخشى أن تجلى لنا الحقيقة الكامنة ، فإذا نحن نرى رجل الشارع أشد غيرة على اللغة من رجل اللغة ، وأن نجد الكاتب حين يعبر عن ذات نفسه وحين يصف مايهدف إلى وصفه من المرئيات أقوى حرصا على الإفصاح من المجمع اللغوى . وأحجى برجال اللغة وبالمجمعيين

أن يكونوا هم مناط الغيرة والحرص والحفاظ ، وألا يدخروا وسعا فى إيثار الفصيح وفى تقريب مناله من الجمهور ، فإن لم يستطيعوا تعيين درجة الاعتدال فى هذا الإيثار والتقريب ، فلا ضير عليهم أن يكونوا إلى الإفراط أميل منهم إلى التفريط ، تاركين لمهلة الزمن ولطاقة الوعى اللغوى ولرهافة الذوق العربى العام ، أن يكون إليها مرد الحكم والتصفية ، تأخذ من فصيح المواضعات ما تأخذ ، وتستبق من العامى والدخيل ما تراه أهلا للاستبقاء .

— ٨ —

لا خشية على الفصحى إذن من التماة عليها ، ومن الدعاة إلى اتخاذ العامية مكانها ، فالتفسير الصحيح لهذا النعى وتلك الدعوة أن الرأى العربى العام يبغى تيسير الفصحى ، حتى تدنو من منال الجمهور فى غير عناء ، وأن تخف حدة التفاوت بين الفصحى : لغة التدوين ، والعامية : لغة الحديث ، فإن لم تكن لغة واحدة يتخذها الجمهور فى خطابه وفى كتابته على السواء ، فلا أقل من أن تتضايق الفروق بين اللغتين ما أمكن التضايق ، وأن تتقارب الشقة بينهما ما أمكن التقارب .

وسبيل ذلك أن نواصل تذليل عقبات الفصحى التى تتمثل فى تعقيدات النحو والصرف وفى مصاعب ضبط الأوزان والصيغ ، وفى قيود وسائل الوضع والاشتقاق ، وأن نتألف من الكلمات العامية ما يسوغ توجيهه أو "تفصيحه" إن صح هذا التعبير ، ففى العامية ألوف من الكلمات نهدر حقها ونتنكب عن استعمالها ، لمجرد أنها عامية ، ولو أردنا أن نرد إلى الفصحى نسبها ، لبلغنا بها الغاية مثل : شاف بمعنى نظر ، والطراوة بمعنى رخاوة النسيم ، والنهمة بمعنى بغية القوة . إلى كثير من النظائر والأشباه .

كذلك يهفو الرأى العربى العام إلى التخفيف من غلواء التباين اللغوى بين أمم الناطقين بالضاد سواء فى لغة الكتابة أو فى لهجات الحديث ، ولا ريب أن عوامل التواصل بين هذه الأمم بالتبادل الثقافى وبالمؤتمرات والرحلات وبالصحافة والمذياع ، كان لها أثر واضح فى تحقيق ذلك الغرض المنشود ، وسيزداد هذا الأثر وضوحا وشمولا كلما قويت عوامل التواصل التى يطرد نموها على الأيام .

وثمة حاجة عامة يشعر بها الكاتب العربى المتشوف إلى الإفصاح ، تلك هى حاجته إلى الكلمات التى يعبر بها عن الأشياء والمعانى المستحدثة فى حياته العامة ، مما يقع لعينه أو سمعه ، أو يشعر به فى ذات نفسه . والكاتبون يعالجون ذلك بكل سبيل ، طورا يستعيرون كلمة أجنبية على كره ، وطورا ينقلون كلمة عامية وإن شاه وجهها فى مساق التعبير الفصيح ، وحينا يعالجون اشتقاق كلمة جديدة وإن كانت غريبة المفهوم للقارئ لا يتأدى إليه معناها المراد . فعلينا إذن أن نتجه بالكثير من الجهد والسعى إلى تسمية الأشياء والمعانى التى تعرض للكاتب فى تعبيره وتصويره ، وأن نبسط بهذه الأسماء أيدينا لجمهرة المثقفين فى أوسع مجال ، حتى يتعرفوها ويتداولوها فلا يجد الكاتب من حرج فى استعمالها والتعبير بها عن تلك المعانى والأشياء .

— ٩ —

وقد كنت — فى بحث أسلفت عرضه على المجمع — سردت طائفة من ألفاظ الحياة العامة وأحب فى هذه العجالة أن أعرض طائفة أخرى من كلمات أشتات، منها ما أقترحه المعنى المصرى الذى أبيته، ومنها ما وقع لى فى بعض القراءات والمطالعات ، وأرجو أن تكون هذه الكلمات موضع النظر، عسى أن تأخذ سبيلها إلى الشيوع.

وهى كلمات منزلية، وكلمات فنية ، وكلمات صناعية ، وكلمات تجارية ، وكلمات عامة.

وإنى سائقها فيما يلى :

(ا) الكلمات المنزلية

(١) وصاوص النافذة. أوتفاريج النافذة: الفتحات أو الثقوب التى تبدو فى خشب النوافذ (الشيش) .

(٢) مسقط الدرج ، أو مهوى الدرج : بئر السلم .

(٣) المهفة : ريشة التنظيف .

(٤) المطهرة : دورة المياه .

(٥) المغسلة : المحل العام لغسيل الملابس (لوندرى) .

(٦) الغسالة : الآلة الكهربية للغسل .

(٧) المواقد :
الكانون : لموقد الفحم أو الخشب أو غيره.

(٨) موقد النفط : لوابور الغاز .

(٩) موقد الكحول : لوابور السبرتو .

(١٠) الموقد الكهربى: لوابور الطبخ المدار بالكهرباء .

(١١) الساهرة. أو الوامضة: المصباح الليلى الصغير " السهارى " (فوز) .

(١٢) السارية : للعمود الخشبى الخاص بالراديو (الإريل) .

(١٣) المزة. أو اللجة: للأطعمة المتنوعة التى تقدم مع الشراب . وتعلل تسميتها بالمزة بأنها فى الغالب مزة المذاق .

(١٤) الشراب : لما يسمى (الشربات).

(١٥) السداد. أوالصمامة: لكل ما يسد به فم الزجاجة من (فلة) وغطاء .

(١٦) البزال. أو المنزعة : لكل ما ينزع به سداد الزجاجة. أو: البزال: للبريمة . والمنزعة: للفتاحة .

(١٧) إبريق القهوة : (الكنكة) .

(١٨) الشافهة: ما يسحب به اللبن من الثدى (الشفاطة) .

(١٩) ألبان مبسترة: معقمة بطريقة (باستور)

(٢٠) المقطع: سكين أو نحوها مما تفض به صحائف الكتاب .

(٢١) اللبيس : للثوب لبس غير الجديد (نصف عمر) — (خرج بيت) — (سكند هاند).

(٢٢) الجمة : " البيروك " وقد عربها بعضهم " بروكة " .

(٢٣) المنهدة : السوتيان .

(٢٤) اللمع: — بضم اللام وفتح الميم — "الترتر".

(٨) الدراجة البخارية: "الموتوسيكل".

(٩) المرناة: "التليفزيون" والرنو في اللغة للنظر والاستماع .

(١٠) المصوات : "الميكرفون" .

(١١) المجهر : "الميكروسكوب" .

(١٢) المنقاب : لما يسمى "برفوراتور".

(١٣) المكشاف : المصباح الشديد الضوء وقد استعملت له كلمة "الكشاف" .

(١٤) الطائرة الأحادية أو العمودية أو أحادية الجناح، وهي الطائرة التي تسمى "هيلكبتر" .

(١٥) حظيرة السيارات : "الجراج" .

(١٦) الإصطبل : لحظيرة الخيل .

(١٧) الزريبة : لحظيرة الدواب .

(د) الكلمات التجارية

(١) تاجر التجزئة : لتاجر القطاعي .

(٢) تاجر الجملة : وهي شائعة .

(٣) سوق المزايدة : على "المزاد" .

(٤) وجهة الحانوت، واجهته أو "الفترينة" التي تكون في مدخله .

(٥) التسوق: تحصيل السلع من الأسواق.

(٦) التسويق: توزيع السلع على الأسواق.

أنواع البيوع :

(٧) البيع بالنقد : وهو البيع الفوري .

(٨) البيع بأجل : أو نسيئة : "شكك"

(٩) البيع بالتقسيط ، وهو دفع الثمن على أقساط .

(١٠) الوثيقة : "البوليصة" كوثيقة التأمين ووثيقة الشحن .

(هـ) الكلمات العامة

(١) الطراز : "الموديل" : وهو ما كان من الأشياء على مثال خاص، كما يقال في الأثاث موديل لويس الخامس عشر .

(٢) البدعة : "الموضة" .

(٣) الدراسة الاعتسافية : وهي الدراسة بلا خطة مرسومة .

(٤) المشروع الاعتسافي : الارتجالي غير المدروس .

(٥) المشروع الفوري: الناجز "إمبيتو".

(٦) الثلة : "الشلة" أي الجماعة أو الرفقة.

(٧) الإشامة : "الدوسيه" أو الملف .

(٨) التآلف : "الهارموني" .

(٩) المدرج : المسطح الذي تدرج عليه الطائرة قبل أن ترتفع .

(١٠) النفاخة "البالون" .

(١١) المغرقة : القطعة من الرمل على الشاطئ يخشى منها الغرق (سابل موفانت) .

(١٢) الوسمة : " التأشيرة " فى الجوازات " فيزة " .

(١٣) جواز موسوم : " مؤشر " عليه .

(١٤) المرمى " اسكلا " .

(١٥) رصيف البحر ، أو سيف البحر : " الكورنيش " .

(١٦) الآذن : موظف " التشريفات " .

(١٧) البائنة : " الدوطة " .

(١٨) الشكلة : الطريقة الموحدة فى الأبنية .

(١٩) التقايد : تبادل المنفعة .

(٢٠) المأثورات الشعبية : " الفولكلور " .

أغراض البحوث فى الفصحى والعامية

للأستاذ عباس محمود العقاد
عضو المجمع

فى كل موضوع مجال للبحث الخالص لوجه الحقيقة ، يراد به تقرير الحقائق، ولا يلزم من ذلك أن تستخدم لغرض خاص . وإن جاز أن تكون لحقيقة فوائد كثيرة ينتفع بها بعد الوصول إليها .

وليس هـذا النوع من البحث مما تتناوله فى هـذه الكلمة لأنه موضوع مسلم به من جميع وجهات نظره . فلا خلاف على طلب الحقيقة ولا خلاف على الاستفادة منها حيث تفيد .

إنما تقصر القول فى هذه الكلمة على البحوث التى يقصد أصحابها إلى غرض يذكرونه ويستطيع الناظرون فيه أن يتخذوا منه موقفاً عملياً إلى الموافقة أو إلى المخالفة . وهى فيما استقصيناه أربعة :

(١) بحث يراد به التقريب بين اللغـة الفصحى واللهجة العامية .

(٢) وبحث يراد به الانتفاع من دراسة اللهجة العامية فى توضيح بعض القواعد التى استقرت عليها اللغة الفصحى .

(٣) وبحث يراد به تحقيق التاريخ وأحوال المجتمع والاستدلال عليها بشواهد الألفاظ والتراكيب .

(٤) وبحث يراد به تغليب الفصحى على العامية أو تغليب العامية على الفصحى .

وكل هذه الأغراض قد وضع موضع التجربة وأمكن الوصول فيه إلى موقف عملى فى جانب من الجوانب .

فما لا شك فيه أن التقريب بين الفصحى والعامية ممكن ، وأنه يزداد إمكاناً فى العصر الحاضر ، لأن أسباب التشعب والتفريع كانت موفورة فى العصور الماضية، ولم تكن إلى جانبها أسباب التوحيد والتقريب تضارعها فى قوتها وأثرها ، فتوافرت هـذه الأسباب فى العصر الحاضر بعد شيوع الصحافة والإذاعة والصور المتحركة وقوالب الحاكى المشهورة باسم الاسطوانات .

ومما يرجى من آثار هذا التقريب أن ييسر فهم الفصحى لغير المتعلمين ، وأن يدخل فى الفصحى مفردات نافعة من ألفاظ الحضارة يمكن إجراؤها مجرى المفردات الفصيحة بغير تعديل أو ببعض التعديل .

أما الانتفاع من دراسة اللهجة العامية فى توضيح قواعد الفصحى، فمن الأغراض التى يقل فيها الخلاف بين الأطراف، لأن تصريفات اللهجة العامية واشتقاقاتها وتركيب عباراتها تجرى بين أيدينا وعلى مسمع منا، ومنها ما يتعلق بالإبدال وتغيير الحركات وخصائص الجملة الاسمية ومعانى الأضداد واختزال الحروف من الكلمات للدلالة على التنفيس أو على الحال —

إلى أشباه ذلك من مواضع المقارنة التى تفيد فى الرجوع إلى عوامل التطور فى اللغة الفصحى قبل استقرار قواعدها أو فى سيرها إلى الاستقرار .

ولا يزال البحث فى بعض الألفاظ الشائعة شاهدا من شواهد التاريخ النافعة ، ولا سيما التاريخ الاجتماعى فى الأزمنة الحديثة . ومنها مايشير إلى طور كامل من أدوار النظام الاجتماعى ، ومنها على سبيل المثل كلمة الفردة من "الفرضة" التى تفرض مع الضريبة ، وكلمة "الوسية" لمن يعيش بلا عمل تشبيها له بالماشية التى كانت ترعى حيث تشاء بلا أجر ولا ثمن ، لأنها ملك صاحب الالتزام على الأرض الزراعية ، وكلمة "القرارى" وصفا للفلاح المقيم وتمييزا له من الفلاح المتنقل . وقد توسعوا فى هذا المصطلح حتى أطلقوه على صاحب الفن القرارى . وعلى الحرامى القرارى يريدون به الأصيل فى الصناعة المتفرغ لها دون غيرها من الصناعات .

وهذا عدا الكلمات المستعارة من لغات البحر الأبيض المتوسط كالإيطالية واليونانية والفرنسية وعدا الكلمات التركية إلى أيام العثمانيين .

أما أهم هذه البحوث على حسب أغراضها فهو البحث الذى يصرح أصحابه بتغليب العامية على الفصحى أو الاكتفاء بالعامية فى الكلام والكتابة .

وقد وجد من هؤلاء من يسوغ غرضه بما يسميه تعميم اللغة الشعبية ، ومنهم من يعتمد فيه على السوابق التاريخية كما يراها ، ويستشهد على ذلك بمصير اللغة اللاتينية وتفرع الإيطالية والفرنسية والأسبانية والرومانية عليها ، أو يستشهدعليه بتطور اللهجات فى اللغات الأوربية الحديثة ، ويحسب أنها تمشى إلى إلغاء اللغة الخاصة وتغليب اللغة العامة أو العامية فى جميع الأغراض .

وقد اتسمت هذه البحوث بسمة الاختلاف البعيد بين أطرافها ، فبينا تتقارب الآراء فى البحوث السابقة يتباعد أصحاب الآراء والمواقف العملية تباعدا واسعا عند القول بتغليب إحدى اللهجتين على الأخرى وبخاصة تغليب العامية على الفصحى .

وعندنا أن الأسباب التى يستندإليها طلاب الاكتفاءبالعامية فىالكلاموالكتابة أوهن جدا من أن تسند تلك الدعوة الخطيرة أو تلك الدعوى الكبيرة .

فإن ثقافة العلوم والآداب لا تستغنى عن لغة خاصة يلاحظ فيها طول الزمن وامتداد المكان وتعاقب الأجيال ، واللهجة الشعبية بطبيعتها لهجة موقوتة متفرقة موكلة بمطالب المعيشة اليومية ، لا تيسر للعالم أن يكتب بها علومه ومعارفه ، وليس معقولا أن يتعلم الشعب كل شىء فى المدرسة إلا أداة الفهم والتفاهم ، فلاتستحق عنده كلفة التعلم والاطلاع ، ويبدو لنا أن التجربة العملية خير محك لهذه الدعوة . فمن استطاع أن يوحد بين الأساليب فى كتب العلم ولهجة السوق والمعيشة اليومية ، واستطاع مع ذلك أن يوجد المصطلحات التى يفهمها غير

المتعلم على البداهة — فقد استطاع أن يحل هذه المشكلة على وجه قويم .

ولا وجه للاستشهاد في هذا الصدد باللاتينية واللغات المتفرعة عليها كالإيطالية والفرنسية والأسبانية والرومانية ، بل هو من الشواهد التي تنقض ما يدعون إليه ، إذ ليست لغات الطليان والفرنسيين والأسبان وأبناء رومانيا هي اللهجات العامية التي تقابلها اللاتينية الفصحى عند طبقة خاصة . فقد كانت لأمة اللاتين لهجة عامية غير اللغة التي كان ينظم بها جوفينال وفرجيل ويكتب بها شيشرون وسنيكا . وهذه اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والرومانية إنما هي لغات مستقلة قد أصبحت أو كادت أن تصبح في حكم اللغات المتفرقة التي تفرعت على الآرية الجرمانية الأولى ، أو على السامية في أقدم عهودها . وما هي إلا أن استقلت كل لغة في وطنها حتى وجدت فيها اللهجة الخاصة بالثقافة والأدب والعلم ، وإلى جانبها لغة السوق والبيت . فلم يكن راسين وموليير وفولتير ودى فالبرى يكتبون الفرنسية كما ينكلم بها سوقة الأسواق والبيوت ، ولم تتوحد لغة الأدب والثقافة ولغة المعيشة اليومية في أمة من تلك الأمم . وإذا كانت اللاتينية قد بقيت لها بقية إلى اليوم ، فإنما بقيت اصطلاحها الخاص في التعبيرات العلمية والفنية ولم تبق لأنها كانت لغة العامة أو كانت كالعامية في هذه الأغراض على حد سواء .

ونحن إذا أردنا أن نميز بين العامية والفصحى العربية لم نميز بينهما بأن العامية لغة الوضعاء والفقراء وأن الفصحى لغة العلية والنبلاء ، وإنما التمييز بينهما تمييز بين الجاهل وإن كان ذا مال وجاه ، وبين المتعلم وإن لم يكن له من المال والجاه نصيب . وقد سمعنا أمراء لا يحسنون من العربية ما يحسنه السوقة ، وسمعنا فقراء يخطبون بالفصحى ويثيرون بها شعور الدهماء . فهو داء علاجه نشر التعليم ، وليس بعلاج له أن نلغى الفصحى ثم نعود إلى إلغاء كل لهجة نشأت لها قواعد وضوابط تحتاج إلى التعلم بعد بضعة أجيال .

وقد عرفنا هؤلاء الذين يحلون المشكلة في رأيهم بإلغاء الفصحى ، ولكننا لا نعرف في الجانب الآخر أحدا يحل المشكلة بمحو العامية أو إنكار صلاحها لأغراضها . وإن من أغراضها فيما نرى أن تستخدم في بعض الفنون الموقوتة أو المحلية ، وأنه لا حرج من التمثيل بها على المسرح واللوحة البيضاء حيث تعبر عن بعض الأحوال التي لا تبقى مع الزمن ولا تعم سائر الأقطار . ومن قال بغير ذلك لزمه أن يقول بتعديد اللغات الثقافية بين الأقطار العربية من العراق إلى مراكش وتعديد اللغات الثقافية بين رشيد والاسكندرية ودمياط في الشمال وبين أسيوط وقنا وأسوان في الجنوب ، إذ كان الصعيدي لا يتكلم في معيشته اليومية كما يتكلم الرشيدي والاسكندري وأبناء الشمال على الإجمال .

إن البحوث فى الفصحى والعامية متعددة الأغراض كما تقدم، وما من غرض منها عرضة لخلاف البعيد — بل الخلاف الشديد — كقول القائلين بتغليب العامية، والاكتفاء بها فى لغة الكلام والكتابة ولغة الثقافة ولغة البيت والسوق، فإذا كان أنصار الفصحى لا يبطلون العامية ولا يمنعون استخدامها فيما تصلح له من الأغراض العلمية والوقتية، فقد زال الإشكال لمن يحرص على مطالب الثقافة الباقية ولا يهمل المطالب اليومية، إلا أن يكون الإشكال الخفى مضمرا لا تعلن له أسباب ولا غايات ولا يجترئ على الظهور فى ضوء النهار . فلنتعقبه إذن بضوء النهار .

جموع غير الثلاثي

للأستاذ محمد فريد أبو حديد
عضو المجمع

عرضت على حضراتكم فى العام الماضى بحثا فى جموع الاسم الثلاثى قمت به مع الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس بمساعدة مجموعة من الفرقة النهائية بكلية دار العلوم ، وكان وقت البحث قائما على أساس إحصاء ما جاء من جموع الأسماء فى أربعين كتابا من أمهات كتب اللغة مستخرجا مما ورد فى تلك الكتب من كلام الفصحاء من شعراء الجاهلية وعصور الإسلام الأولى . وقد حول المؤتمر ذلك البحث على إحدى لجان المجمع لإعادة النظر فى النتائج التى وصل إليها البحث على سبيل التحقيق . وقد رأيت فى هذا العام أن أعرض على حضراتكم تتمة هذا البحث فيما يتصل بجموع الأسماء التى تزيد على ثلاثة أحرف ، لعل النتائج التى نصل إليها من هذا الاستقراء تيسر على المتعلمين معرفة الأصول التى تجرى عليها اللغة العربية فى جمع الأسماء .

وقد ظهر لنا من تأمل صيغ الجموع فى الأسماء الثلاثية أن اللغة العربية تسير على نظام يطرد فى تمييزها بين المفرد والجمع ، على خلاف ما يبدو فى ظاهر الأمر . فقد رأينا أن لجمع الثلاثى صيغتين رئيسيتين وهما أفعال وفعول . وصيغة ثانوية وهى فعال . وفيما عدا الصيغتين الكبريين من صيغ الجموع لا تزيد الصيغ الأخرى على كونها من الشواذ التى لجأت إليها اللغة لعلة من العلل التى يتعذر معها الجمع على إحدى الصيغتين الكبريين .

وصيغ الجمع فى الأسماء التى تزيد على ثلاثة أحرف كما ترد فى كتب النحو أكثر عددا وأشد اختلافا من صيغ الجمع فى الأسماء الثلاثية إذ هى تبلغ ما يقرب من ثلاثين صيغة . وقد حاول النحاة أن يضبطوا تلك الصيغ وأن يضعوا قاعدة ثابتة لكل صيغة منها ، فكانت نتيجة ذلك أنهم خلقوا لنا مجموعة كبيرة من القواعد لا يكاد الدارس يرى فيها سبيلا واضحة المعالم لاتجاه عام تسير فيه اللغة العربية فى التمييز بين صيغ المفرد والجمع . وحسبنا أن نلقى نظرة على القائمة المرافقة لنعرف مدى تشعب القواعد وكذا خلها وصعوبة الاهتداء بها .

ففى هذه القائمة سبعة وعشرون وزنا غير الأوزان الشاذة ، وكل منها محدد بحدود معينة ، فمن شاء أن يجمع اسما من الأسماء فعليه أن يرجع إلى الصيغة المحددة ليحاول أن يقيس عليها إذا استطاع ، كأن اللغة العربية سارت فى التمييز بين المفرد والجمع على غير اتجاه مطرد ، وكأن العرب كانوا يوردون صيغ الجمع عفوا كما يبدو لهم بغير التزام قياس أو اتباع طريق واضحة المعالم .

ولكنا عندما عمدنا إلى الإحصاء الذى أسلفت ذكره فى الكتب الأربعين تبين لنا غير هذا ، بل لقد تبين لنا عكس هذا . فاللغة العربية تسير على منهج واضح فى جمع الأسماء التى تزيد على ثلاثة أحرف ، شأنها فى ذلك شأن سيرها

على المنهج الواضح فى جمع الأسماء الثلاثية. ولسنا نطمع فى أن نجمع كل جموع ما يزيد على ثلاثة الأحرف فى قاعدة واحدة فذلك عما لف لطبيعة بناء الكلمة العربية ، ولكننا نطمع فى تعيين الحقائق التى تنطوى وراء الصيغ المختلفة لتجمعها فى نظام واضح المعالم ظاهر الاتجاهات .

فقد أحصينا الألفاظ الدالة على الجمع للأسماء التى تزيد على ثلاثة أحرف فى الكتب الأربعين التى أشرنا إليها فكانت ٨٤٧٧ لفظا فيها كثير مكرر. واسترعى نظرنا فى هذه المجموعة أن منها ٦٠٧٨ لفظا تجرى جميعا على نمط واحد ويمكن حصرها جميعا تحت قاعدة واحدة .

فالأصل العام فى المغايرة بين صيغة المفرد وصيغة الجمع فيها جميعا هو أن تزاد ألف فى وسط اللفظ المفرد على كسر ما قبل آخره غالبا — مثل جندل — جنادل .

فهذه الألف تصبح من اللفظ الدال على الجمع بمثابة قائم الميزان بين كفتين متعادلتين . ولهذا نرمز لها على سبيل التسهيل بألف الميزان لتكون الإشارة إليها واضحة الدلالة .

فإذا كان اللفظ مكونا من أكثر من أربعة أحرف حذف من الكفة الأخيرة ما يرجحها على السابقة مثل سفرجل — سفارج .

فإذا كان الحرف الزائد لايحدث ثقلا بقى بغير حذف ، وذلك إذا كان حرفا لينا مثل : مصباح — مصابيح .

ويلاحظ بالطبع تغيير الحرف اللين من ألف أو واو إلى ياء اتباعا لحركة كسر ما قبل الآخر مثل : أخدود — أخاديد .

ويبق الحرف اللين بغير تغيير إذا لم يكسر ما قبل الآخر مثل : سكران — سكارى .

فإذا كان فى الكفة الثانية حرف مشدد فإنه يبق لسهولته فى النطق مثل كرسى — كراسى .

هذه قاعدة عامة شاملة تقوم مقام عدد كبير من القواعد وتغنى عن تحديد شروط مالا يقل عن إحدى عشرة صيغة وهى فواعل وفعائل وفَعالَى ، وفَعالِى ، وفُعالَى ،وفَعالِىّ ، وفعاعل وفعالل وفياعل وفعاليل ومفاعيل .

فإذا نحن فرغنا من هذا العدد الأكبر من الجموع بقى من الألفاظ التى أحصيناها مالا يزيد على ٢٣٩٩ لفظا .

والمقارنة بين العدد ٦٠٧٨ والعدد ٢٣٩٩ تدلنا دلالة واضحة على أن الاتجاه العام أو القاعدة الأصلية فى جمع الأسماء العربية الزائدة على ثلاثة أحرف هى إضافة ألف الميزان على اللفظ الدال على المفرد . فإذا نحن لحصنا الألفاظ التى لا تسير فى صيغة الجمع عن هذه القاعدة العامة تبين لنا أن العدول عن تلك القاعدة لم يكن عفوا ولم يكن نتيجة اضطراب فى القياس ، بل كان ناشئا عن أسباب جوهرية جعلت اللغة العربية تعدل إلى صيغ أخرى لكل منها سبب وجيه دعا إلى الالتجاء إليها . ولما كانت الإشارة إلى تلك الأسباب تيسر إدراك الاتجاه فى كل من تلك الصيغ فإنى أشير إلى كل منها إشارة موجزة .

وقد رأينا تصفية هذا العدد من الألفاظ الشاذة عن القاعدة العامة ، لحذفنا المكرر منها لتفحص كل مجموعة منها وتبين خصائصها رغبة

فى إدراك السر فى مخالفتها للقاعدة العامة، فظهر أنها بعد التصفية لا تزيد على ٥٨٨ لفظا وضعناها بحسب أوزانها لنعرف نسبة عدد الألفاظ فى كل صيغة إلى الأخرى. فتبينت لنا حقيقة أخرى ذات دلالة كبرى وهى أنها جميعا ألفاظ لا يمكن أن تجمع بإضافة ألف الميزان لعلة من العلل.

(١) فهناك مجموعة كبرى من تلك الألفاظ ترد على أوزان فُعَل، وفِعَل، وفَعَل، وفَعِل، وفَعْل وقد بلغ عددها كما يأتى :

فُعَل	١١٦	لفظا
فِعَل	٧٨	«
فَعَل	٢٣	«
فَعْل	٩	ألفاظ
مجموعها	٢٢٦	لفظا

وكل هـذه الصيغ لا تزيد على جموع أسماء رباعية منتهية بالتاء وتجمع بحذف التاء مع فتح العين غالبا . مثل: حجرة — حجر . إبرة — إبر الخ .

والقاعدة العامة هنا يسيرة الإدراك وهى أن الأسماء الرباعية المنتهية بتاء الواحدة تجمع بحذف التـاء مع فتح الآخر .

وإذا نحن تأملنا ألفاظ هذه الصيغة تبين لنـا أنها لا يمكن أن تجمع بإضافة ألف الميزان.

(٢) والمجموعة الثانية الكبرى كلها من أسماء رباعية مشتقة على أوزان مختلفة مثل قضيب ولجام. وكان من الممكن جمعها على الصيغة العامة بإضافة ألف الميزان ، لولا أنها لو جمعت على فعائل لحدث الالتباس بينها وبين صيغة فعائل المخصصة لجمع فعيلة أو فاعلة .

وهنا نلاحظ أن اللغة العربية تميز أحيانا فى صيغ الجمع بين الأوصاف وبين الأسماء ، وبين المذكر والمؤنث كما تميز بين العاقل وغير العاقل .

فهذه الصيغة خاصة بالأسماء الرباعيـــة التى تشتمل على حرف مد (مد) قبل آخرها غالبا .

وأما صيغـــة فُعْل فهى خاصة بالأوصاف الرباعية من أوزان أحمر وحمراء على الأكثر أو أوزان الصفات الأخرى مثل أفْعَل وفعلاء وفَعول وفعيل وفاعل وفَعِل الخ . وهى لم تجمع بإضافة ألف الميزان للسبب المذكور فى الصيغة السابقة .

ويبلغ مجموع ما جاء من الجموع على صيغة فُعْـــل	١١٨	لفظا
ومجموع ما جاء من الجموع على صيغة فَعل	١٥٨	«
ومجموعهما	٢٧٦	

فيكون مجموع ما جاء على صيغ فعل من جميع حركات الفاء والعين وأخواتها ٥٠٢ لفظا والألفاظ الباقية وعددها ٣٨٣ لفظا تشتمل على مجموعتين متميزتين :

(الأولى) مجموعة صيغ : فُعْلٍ ، وفُعَّال ، وفَعَلَة ، وفُعَلَة ، وهى جميعا خاصة بالأسماء والأوصاف التى مفردها على وزن فاعل .

والمانع من جمعها بإضافة ألف الميزان هو ما سبق ذكره من تحاشى اللبس بصيغة فعائل الخاصة بالمؤنث .

(الثانية) مجموعة صيغ صغرى ثانوية أغلبها مكرر مع أوزان أخرى . ولكل منها خاصة كما سيأتي :

(المجموعة الأولى)

(١) فُعَّل وعدد ألفاظها فيما أحصى ٥٥ لفظا وهى خاصة بوزن فاعل إذا غلبت عليه الوصفية مثل : عاذل — عذل ، وساجد — سجد .

(٢) فعال وعدد ألفاظها فيما أحصى ٦٤ جمعا . وهى صيغة خاصة بوزن فاعل أيضا إذا غلبت عليه معنى الفاعلية . مثل . كاتب وكتّاب وخادم وخدّام .

وهاتان الصيغتان تتداخلان تداخلا كبيرا وقد يكون للفظ الواحد جمعان على الصيغتين .

(٣) فَعَلة وهو وزن مكرر لوزن فاعل إذا غلب عليه معنى الفاعلية مثل كاتب وكتبة . وهو قليل الورود فلا يزيد عدد ما أحصى من ألفاظه على ٨ ألفاظ .

(٤) فُعَلة وعدد ألفاظها فيما أحصى ٤٤ جمعا وهى صيغة خاصة بوزن فاعل إذا كان وصفا لمذكر عاقل وكان معتل اللام مثل قاض وقضاة .

والناظر فى هذه الألفاظ يتبين تعذر جمعها على أى وزن آخر من جموع فاعل . وتبلغ هذه الجموع الخاصة بوزن فاعل ١٨١ جمعا فيكون عدد ما بقى من الألفاظ التى أحصيت ٢٠٢ لفظ وهى موزعة على ست من الصيغ الثانوية التى تكون المجموعة الثانية .

(المجموعة الثانية)

(١) صيغة أفعِلة وعدد ألفاظها ٤٣ مما أحصى مثل سرير : أسرة . غراب : أغربة . سنان : أسنة . وهذا جمع اضطرارى . وكان الأصل فى جمع الأسماء من وزن فعيل وفعال وأمثالها أن يكون على صيغة فُعُل . ولكن أكثر ما ورد من الجموع على هذه الصيغة فهو إما مضعف مثل سنان أو معتل مثل قناء . وهذان يتعذر النطق بهما على صيغة فعل . وهناك بعض جموع من هذا الوزن مكررة على صيغة فعل مثل سرر ومثل رغف وعمد .

(٢) فُعَلاء ، وعدد ألفاظها فيما أحصى ٢٦ جمعا وهى صيغة إضافية مكررة بجمع الأوصاف التى على وزن فعيل مثل كريم وظريف إذا كانت لمذكر عاقل (غير مضاعف ولا معتل اللام) . وفى صيغ الجمع الأخرى متنوعة عنها . كريم — كرام — كرماء . ظريف — ظراف — ظرفاء .

(٣) أفعِلاء وعدد ألفاظها مما أحصى ١١ لفظا .

وهى صيغة خاصة أيضا كثير منها مكرر ويجمع عليها أحيانا وزن فعيل إذا كان لمذكر عاقل مثل صديق — أصدقاء — وعزيز — أعزاء — وقريب — أقرباء — وكثير منها مكرر مع أوزان أخرى .

(٤) فَعْلَى وعدد ألفاظها التى أحصيت ١٣ لفظا .

وهى صيغة محورة من فعلاء فيما يبدو ويجمع عليها أوصاف الثقلاء إذا كانت تدل على قيام صفة المفعولية مثل قتيل وقتلى الخ .

(٥) فُعْلان ويبلغ مجموع ما أحصى منها ٣٢ لفظا .

وأكثرها جموع مكررة مع صيغ أخرى وهى جموع شاذة وثانوية مثل غراب — غربان وقضيب — قضبان .

(٦) وهناك طائفة من الجموع لا مفرد لها وقد أحصى منها ٢٦ جمعا .

وهذه قائمة بذاتها ولا تدخل فى صيغ الجموع مثل : جند وقوم وركب .

ولا يدخل فى هـذا الباب كل ما له مفرد رباعى بتاء الواحدة على وزن فعلة .

(٧) وقد جاء من الجموع عدد على وزن فعال منه أسماء مفردها ثلاثى ومنهـا أوصاف مفردها رباعى من وزن فعيل على الأكثر مثل : ظريف . ومنها ما وزن مفردها فاعل مثل جائع وبلغ عدد جموع الأوصاف من هذا الوزن ٥١

وقليل من هذا الوزن ما يكون مفرده اسمـا رباعيا منتهيا بتاء الواحدة مثل (قصعة) .

وهذا جمع مضطرب الأساس مختل الأصناف فى المفرد ويمكن أن يعد من الجموع الشاذة وتحفظ ألفاظه مثل وزن فعلة وفعول كدين وقتبة وشهود إلخ .

فإذا أحصيت مفردات هذه الصيغ كلهـا بلغت ١٨٧ لفظا .

وعلى ذلك تكون الجموع الشاردة ذات الصيغ الشاذة ١٥ لفظا فيما أحصى .

وخلاصة القول ما يأتى :

(١) الكثرة الكبرى من جموع ما فوق الثلاثى تجرى على قاعدة إضافة ألف الميزان إلى المفرد .

(٢) الطائفة الثانيـة من صيغ الجموع هى فُعَل وأخواتها من صيغ جموع الأسماء الرباعية المنتهية بالتاء غالبا أو بألف التأنيث أحيانا وتجمع بحذف التاء مع فتح العين غالبا .

(٣) الطائفة الثالثة هى فُعُل وهى غالبـا خاصة بالأسماء الرباعيـة التى من وزن فعيـل وفعال وفعول مثل قضيب وقضب .

(٤) الطائفة الرابعة هى فعل وهى خاصة فى الغالب بالأوصاف من أوزان الصفة المشبهة وهاتان الصيغتان تتداخلان .

وهـذه تمثل الصيغ الكبرى لجموع فى اللغة العربية وهناك صيغ أخرى ثانوية أهمها :

(١) صيغة فُعَّال .

وهى لجمع الأسماء من وزن فاعل إذا غلبت عليها معنى الفاعلية مثل كتّاب .

(٢) صيغة فُعَّل وهى ما غلبت عليه الوصفية من وزن فاعل ، مثل حُسَّد .

وهاتان الصيغتان تتداخلان .

(٣) صيغة فُعَـلَة بوزن فاعل إذا دل على عاقل وكان معتلا مثل قاض ، قضاة .

(٤) صيغة أفْعِلة وهى جمـع فعيل وفعال وأمثالها إذا كانت معتلة أو مضعفة مثل سرير أسرة ، وفناء أفنية .

(٥) فَعْلاء وأَفْعِلاء صيغتان ثانويتان لجمع أوصاف المذكر العاقل من وزن فعيل وأشباهها إذا دلت على معنى الفاعلية .

(٦) فَعْلى صيغة ثانوية لوزن فعيل إذا دل على معنى المفعولية .

(٧) فُعْلان صيغة مكررة شاذة للأسماء من وزن فعيــل وفعال وأشباهها .

فصيــغ جموع مازاد على الثلاثي تحصر في أربع رئيسية وأربع أخرى ثانوية وأربع ثواقل ويضاف إلى ذلك عدد قليل من الشواذ لا يسير على نهج قياسي .

فُعْل يقاس في :

(١) جمع نحو أحمر حمراء — جمعهما حمر (وصفين متقابلين) .

(٢) وفي جمع أفعل وفعلاء (وصفين مفردين أحدهما للمذكر خاصة والثاني للمؤنثة خاصة) :

آدر — أدر — ورتقاء — رتق .

ملاحظة : تكسر الباء إذا كانت العين ياء (مثل بيض) كما يجوز ضم العين في مثل الأعين النجل (بشرط صحة العين واللام وعدم التضعيف وإلا فهو مثل عمى وعُمْش وغر ، بتسكين العين)

(٣) سماعي في مثل بدنة : بدن . أسد : أسد . بازل : بزل .

فُعُل يطرد في :

(١) اسم رباعي بمد قبل لامه صحيح اللام : عمود عمد . قضيب قضب . قزال قزل . حمار حمر . سرير سرر . ذلول ذلل .

(المضاعف الممدود بالألف يجمع على أفعلة من جموع القلة وذلك في الأعم) .

(٢) وصف على فعيل أو فعول لا بمعنى مفعول : نذير نذر . صبور صبر . غفور غفر . (تسكن عين هــذا الجمع إذا كانت واوا مثل سواك سوك . ويجوز إسكانها إذا لم تكن واوا مثل (حمر) بدل حمر . وتكسر الفاء إذا كانت العين ياء مثل سيل في جمع سيال .

فُعَل يطرد في :

(١) جمع فعــلة (اسم) : غرفة غرف . وقيل في فُعُلة : جمعة جمع .

(٢) يطرد في جمع فعلى أنثى أفعل : كبرى كبر .

(وقال الفراء يطرد أيضا في فعلة إذا كان ثانيها واوا : جوزة جوز) .

(وقال الفراء يطرد كذلك في رُجْعى المصدر وجمعها رجع ، رؤيا رؤى ونوبة ونوب) .

وقيل قياس في فعــل مؤنث بغير علامة : حلة حلل وكذلك في مثل تخمــة تخم . وقرية قرى .

فِعَل :

يطرد في فعلة اسما تاما : كسرة كسر . حجة حجج .

(وقاس الفراء فعل في نحو ذكرى — ذكر وفي فعلة يائي العين : ضيعة . ضيع) ويحفظ مثل معدة معد . صورة صور . وحدأة حدأ . (قد ينوب فُعَل عن فِعَل أو العكس : حلية حلى . وقوة قوى) .

فُعَلة :

يطرد فى فاعل وصفا لمذكر عاقل معتل اللام رام رماة . قاض قضاة .

(شذ كمى كماة . باز بزاة . هاد هداة . غوى غواة . عريان عراة . عدو عداة) .

فَعَلة :

يطرد فى فاعل وصفا لمذكر عاقل صحيح اللام : كامل كملة . وشذ سيد سادة (غير وزن فاعل) وخبيث خبثة ، بر بررة وناعق (غير مذكر عاقل) نعقة .

فَعْلَى :

يطرد فى الوصف على فعيل (مفعول) دال على هلك أو توجع أو تشتت : قتيل قتلى ،جريح جرحى ، أسير أسرى . وكذلك وزن فعل ، زمن زمنى . ووزن فاعل : هالك هلكى . ووزن فيعل : ميت موتى ، وفعيل لا بمعنى مفعول : مريض مرضى . وأفعل : أحمق حمقى . وفعلان : سكران سكرى ، ومحفوظ : كيس كيسى .

فِعَلة :

فعل صحيح اللام اسم : درج درجة . كوز كوزة . وفَعْل وفِعْل (قليلا) : زوج زوجة . قرد قردة .

فُعَّل :

يطرد فى وصف صحيح اللام على فاعل وفاعلة : عاذل عذل .

فُعَّال :

يطرد فى وصف صحيح اللام مذكر فاعل . عاذل عذال . ونذر فى المؤنث صادة صداد (وعليه جموع شاذة : نفساء ونفس ونفاس ، وخريدة وخرد الخ)

فِعَال :

يطرد فى فعل وفعلة اسمين أو وصفين : كعب كعاب وصعب صعاب وقصعة قصاع (وقل منهما اليائى العين : ضيف ضياف وضيعة ضياع)

و يطرد أيضا فى فعل : جبل جبال (بشرط صحة لامه غير مضاعف وأن يكون اسما لا وصفا)

و يطرد أيضا فى فعلة : رقبة رقاب (بشرط صحة لامه غير مضاعف وأن يكون اسما لا وصفا)

و يطرد أيضا فى فعل وفعل : قدح قداح رمح رماح (بشرط أن يكون فعل مثل اسما وفعل غير واوى العين مثل حدث ولا يائى اللام مثل مدى) .

و يطرد أيضا فعيل وفعيلة (بشرط صحة اللام) وصف فاعل : ظريف ظراف . وشاع أيضا فى فعلان ومؤنثه فعلى وفعلانة : غضبان غضاب . وفعلان (وصف) : ندمان ندام .

(ومما يحفظ فيه : خروف خراف ولقحة لقاح وتمر تمار وجواد جياد وخير خيار ورجل رجال الخ الخ) .

فعلان جمع فعال : غراب غربان . غلام غلمان .

جمع فُعل : جرذ جرذان .

وشاع في جمع فُعْل وفَعْل وما ضاهاهما (معتل العين بالواو) : حوت حيتان . قاع قيعان . تاج تيجان . جار جيران .

قيل مطرد في فُعال ومسموع في فعل وفعل واوي العين وقليل يحفظ في غير ذلك . مثل قنو قنوان . صوار صيران . غزال غزلان . خروف خرفان . ظليم ظلمان . حائط حيطان . نسوة نسوان . جيد جيدان . شجاع شجعان .

فُعْلان :

جمع فعل (اسم) غير معتل العين : ظهر ظهران ، بطن بطنان (تخرج من ذلك الصفة : ضخم) .

جمع فَعِيل (اسم) غير معتل العين : قضيب قضبان ، رغيف رغفان . (تخرج من ذلك الصفة : جميل)

جمع فَعَل (اسم) اسم صحيح العين : ذكر ذكران . جمل جملان (تخرج من ذلك الصفة : بطل) .

(يحفظ فيه مثل أسود سودان . أعمى عميان الخ)

فعلاء :

جمع فعيل (وصف مذكر عاقل بمعنى اسم فاعل غير مضعف ولا معتل اللام) : كريم كرماء . بخيل بخلاء . ظريف ظرفاء . (ويشمل ذلك ما كان بمعنى أو زان أسماء الفاعل المزيدة مثل سميع بمعنى مسمع وخليط بمعنى مخالط) .

(وشذ دفين (بمعنى مدفون) وكذلك سجين وحليب وستير وأسير) .

جمع ما ضاهى كريم وبخيل من الأوصاف التي على وزن فاعل أو فعال (مثل صالح صلحاء ، فاسق فسقاء ، شجاع شجعاء) (وفي هذا خلاف مذهب) .

أفعلاء :

ينوب عن فعلاء (في المعتل باللام والمضعف) غني أغنياء ، ولي أولياء ، شديد أشداء ، خليل أخلاء (يندر في غير المعتل أو المضاعف : صديق أصدقاء ، نصيب أنصباء) .

فواعل :

جمع فوعل : جوهر جواهر .

جمع فاعَل : طابع طوابع .

جمع فاعلاء : قاصعاء قواصع .

جمع فاعل (اسم) : كاهل كواهل .

جمع فاعل (صفة) مؤنث عاقل : حائض حوائض .

جمع فاعل (صفة مذكر غير عاقل) : صاهل صواهل (وشذ فارس فوارس . هالك هوالك . ذائب ذوائب . شاهد شواهد ... الخ) .

جمع فاعلة مطلقا : ضاربة ضوارب . فاطمة فواطم . ناحية نواح .

جمع (فوعلة) : صومعة صوامع . قوقعة قواقع الخ .

(مجمل القاعدة فى فاعل) أنه يكون لغير فاعل الموصوف به مذكر عاقل مما ثانيه ألف زائدة أو واو ملحقة بجاسوس) .

(شذ فى حاجة حوائج الخ) .

فعائل :

جمع (رباعى مؤنث بمدة قبل آخره مختوما بتاء أو مجردا منها) : سحابة . رسالة . ذؤابة . حمولة . صحيفة (كل هذه أسماء) : شمال . شمال . عقاب . عجوز . سعيد (علم امرأة) .

(وكل الخمسة الأخيرة مؤنثة) .

(قيل يطرد فى مثل ثمرة ظنة حرة)

فعالى جمع فعلاء (اسما) : (صحراء صحارى وصحارى) .

فعالى جمع فعلى (اسما) علقى : علاقَى علاقِى .

جمع فعلى (وصفا لأنثى) حبلى حبالى حبالى .

جمع فعلى (اسما) : ذفرى ذفارى ذفارى .

جمع فعلاء (وصف أنثى) : عذراء عذارى عذارى (وهذا سماعى لا يقاس عليه) .

مهرى مهارى ومهارى (ولا يقاس عليه) .

ينفرد فعالى فى مثل سعلاة سعالى . الفسوة وليلة الخ .

ينفرد فعالى فى فعلان (وصفا) سكران سكارى غضبان غضابى (ويحفظ فى مثل يتيم يتامى الخ) .

(فعالى راجح فى مثل سكران سكارى) .

فعالى (جمع ثلاثى ساكن العين مزيد آخره بياء مشددة لغير النسب) : كرسى كراسى . زاد بعضهم فى أوزان الجموع فعيل فعال وفعل .

وذهب الفراء أن مثل تمر جمع . والأصح أنه اسم جنس جمعى .

فعالل جمع ما زادت أصوله على ثلاثة : جعفر . زبرج برثن سبطر جخدب جوهر طيرف والخماسى المجرد يحذف آخره كسفرجل . أما إذا كان رابعه شبيها بالزائد لفظا حذف : خورنق خوارق (النون حرف زيادة والدال شبيه بالتاء وهى حرف زيادة وفى هذا خلاف) .

مفاعل . فياعل : جموع المزيد (إلا ما سبق له ذكر مثل كبرى وسكرى وأحمر وحمراء ورام وكامل ونحوها) .

الخماسى بالزيادة تحذف منه الزيادة إلا إذا كانت الزيادة حرف لين قبل الآخر فيكون الجمع على فعاليل : عصفور عصافير .

الاسم الرباعى المؤنث الذى قبل آخره مد (ويكون تأنيثه بلا علامة) : عناق أعنق . ذراع أذرع . عقاب أعقب . يمين أيمن .

(لا تجمع على أفعل : الصفة مثل شجاع أو بلا مد نحو خنصر أو مذكر مثل حمار أو بعلامة التأنيث مثل سحابة) .

مشكلة الإعراب

للدكتور طه حسين
عضو المجمع

سادتي :

لست مسئولا عن المحاضرة ولا عن عنوانها .

فالمحاضرة فرضها على المجمع فرضا ، وما كان لي أن أخالف عن أمره .

والعنوان فرضه على زميلنا الأستاذ إبراهيم مصطفى .

وأعترف بأني وقفت من هذا العنوان — غير مرة — موقف الحيرة ، وخفت أن يكون مصدر الاضطراب في أفكار الذين يقرءونه .

فكلمة الإعراب كلمة مخيفة جدا . وليس منا — وليس من حضراتكم — من لم يخف من هذه الكلمة حين كان تلميذا في المدرسة الثانوية أو طالبا في الجامعة .

ويكفي أن نذكر تلك الأسئلة التي كانت تلقى على الطلاب — حين يتقدمون للشهادة الثانوية — وفيها بيت من الشعر معقد ، يطلب إلى الطلاب إعرابه ، فيلقى الطلاب في هذا الإعراب عناء شديدا : يخطئون كثيرا ويصيبون قليلا .

والغريب أني بحثت عن كلمة الإعراب هذه ، بهذا المعنى الذي اصطلح عليه النحويون ، والذي عذبنا حين كنا في الأزهر ، والذي عذبنا حين كنا تلاميذ ، وعذب أجيالا كثيرة من التلاميذ ، فلم أجد له أصلا في المعاجم العربية . وإنما هو اصطلاح من اصطلاحات النحويين ، ومن اصطلاحات النحويين المتأخرين منهم خاصة .

ومهما أنس فلن أنسى أن أول كلمة ألقيت علينا في الأزهر ونحن طلاب هي إعراب " بسم الله الرحمن الرحيم " على التسعة الأوجه المعروفة المشهورة : سبعة منها جائزة واثنان ممتنعان في حالتي رفع " الرحمن " أو نصبها .

فالإعراب كما أجده في المعاجم هو : أن يتكلم الإنسان على نحو ما كان العرب يتكلمون ، فإذا أحسن الإنسان أن يفصح عن ذات نفسه فقد أعرب . وهم يقولون : أعرب الرجل عن ذات نفسه ، أي أنه تكلم فأبان ما في نفسه من المعاني على الطريقة التي كان العرب ينهجونها حينما يؤدون ما في نفوسهم من المعاني .

(1) ألقي هذا البحث في جلسة علنية عقدها المجمع بدار جمعية التشريع والاقتصاد مساء الجمعة ٧ من يناير سنة ١٩٥٥ ، وقد دعي إلى هذه الجلسة — مع أعضاء المجمع — طائفة من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات .

وقد عقب بعض الحاضرين على البحث بعد إلقائه . وتعقيباتهم ملحقة بالبحث .

وواضح أن هذا العنوان لهذه الكلمة ـ مشكلة الإعراب — لم يرد به المعنى الذى اصطلح عليه النحويون .

وما كان لمؤتمر المجمع اللغوى أو لمجلسه أن يدعو حضراتكم ليصدع أدمغتكم برفع الفاعل بالضمة — إن كان اسما معربا — وبنائه على على السكون مثلا إن كان اسما مبنيا ، أو بالواو إن كان جمع مذكر سالما أو من الأسماء الخمسة ، إلى آخر هـذه الأشياء التى نرجو أن يورثنا الله من عقابيلها يوما ما . فالذى أراده المجمع إنما هو الإعراب بالمعنى الذى أجده فى معاجم اللغة : وهو التكلم فى إبانة وإفصاح على الطريقة التى كان العرب ينهجونها حينما كانوا يعربون من ذات نفوسهم .

والأمر ينتهى آخر مايكون إلى التفكير فى هذه الخصومة التى قامت غير مرة بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغة العامية على اختلاف أقطارها ؛ ففى غير وقت وفى غير موطن من المواطن شعر المتكلمون بهذه اللغة العربية بمصاعب لاتحصى عند ماحاولوا أن يتكلموا أو عندما حاولوا أن يعربوا ، سواء أكان الإعراب عن ذات نفوسهم بالكلام أم بالكتابة .

وجدوا فى هذا كله مصاعب لاتحصى ، وضاق كثير منهم بها ، وأشفق كثير منهم من احتمالها ومواجهتها ، ففزعوا إلى اللغة العامية التى لاتكلفهم درسا ولا بحثا ولا إعرابا ولا إعجاما ولا شيئا من هذه المشكلات التى يتعرض لها كل من حاول أن يتكلم اللغة العربية الفصحى .

ومن الناس من كتبوا بهذه اللغة العامية مباشرة ولم يحفلوا بالمنكرين ولا بالمعارضين .

ومن الناس من لم يكتف بالإعراب عن ذات نفسه بهذه اللغة ، وإنما حاول أن يجادل عنها وأن يناضل ، وأن يقيمها مقام اللغة العربية القديمة أو الفصحى ؛ وأن يدعو إلى أن تكون هى لغة الأدب .

وهذه الخصومة تكررت كما قلت فى أوقات كثيرة ومواطن متعددة ، وهى الآن تعود جذعة .

ففى مصر وفى غير مصر قوم يدعون إلى العدول عن هذه اللغة وعن مشكلاتها إلى اللغة العامية التى لاتكلف مشقة ولا تحمل صاحبها عناء .

والمجمع حينما أنشىء إنما أنشئ للمحافظة على سلامة اللغة العربية الفصحى ولتمكين هذه اللغة من أن تلائم العصور المختلفة التى تعيش فيها ، ومن أن تلق الحضارة الحديثة غير هايبة لها ولا مشفقة منها ولا عاجزة عن إساغتها وإذاعتها بين غير المثقفين وبين أوساط المثقفين فضلا على المثقفين الممتازين .

ولغتنا — اللغة العربية — قد صادفت من المشكلات مثلما تصادف فى هذه الأيام ، فليس هذا الوقت هو الوقت الأول الذى لقيت فيه اللغة العربية حضارات لم تكن تعرفها ، وعلوما لم تكن تخطر للعرب ، وإنما عهد العرب بهذا قديم

فهم قد عاصروا الحضارة الفارسية واليونانية بعيد ظهور الإسلام منذ كان الفتح العربى، وهم قد لقوا حضارات أخرى غير الفارسية واليونانية وهم قد واجهوا هذه الحضارات وواجهوا ما كان فيها من ثقافات مختلفة، وهم قد استطاعوا أن يسيغوا هذه الثقافات، وأن يسيغوها لأنفسهم وأن يفرضوا عليها لغتهم بعد ذلك .

فهم طوعوا هذه الثقافات للغتهم، وطوعوا لغتهم لهذه الثقافات .

ومن أيسر الأمور أن يرجع أحدنا إلى أى كتاب من الكتب الفلسفية العربية القديمة، ليرى كيف استطاع العرب أن يسيغوا ما كتب من فلسفة أرسطو وأفلاطون وطب جالينوس إلى آخر هذه العلوم التى استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تطوعها لقواعدها، وأن تطوع لها قواعدها أيضا .

وإذا كان هذا قد دل على شىء فهو إنما دل على أن اللغة العربية ليست باللغة التى كتب عليها الجمود، وليست باللغة التى كتب عليها أن تقصر على أهل البادية ومن يشبههم من أهل المدن أو القرى العربية القديمة . وإنما هى لغة خلقت لتكون لغة عالمية بأوسع معانى هذه الكلمة وأدقها دون أن تنزل عن أصولها وعن قواعدها وعن خصائصها التى تمتاز بها من سائر اللغات .

وقد رأينا لغات قبل اللغة العربية سادت العالم القديم ولكنها لم تستطع — فى يوم من الأيام ولا بحال من الأحوال — أن تسود قلوب الناس ونفوسهم وأن تصبح لغات شعبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، فاليونان قد غزوا العالم الشرق : غزوا الشرق الأدنى كله وتعمقوا حتى وصلوا إلى الشرق البعيد، ونشروا علومهم وفلسفتهم وحضارتهم، واستطاعوا أن يطبعوا الإنسانية القديمة بطابعهم الخاص وهو العصر الذى تلا فتوح الإسكندر، والذى استقرت فيه ممالك يونانية فى الشرق، وعرفت فيه الفلسفة اليونانية بين الشرقيين، بل شارك الشرقيون فى هذه الفلسفة أيضا .

وكانت اللغة اليونانية لغة رسمية فى الشرق كله كما كانت لغة رسمية للمدن اليونانية . وكذلك انتشرت اللغة اليونانية فى مواطن غرب أوربا فانتشرت فى مواطن من إيطاليا على السواحل وفى مواطن من فرنسا على السواحل، ووصلت إلى أسبانيا واستقرت فيها وقتا ما . وكانت لغة رسمية أوقاتا تقصر وتطول .

ولكن الشىء الذى ليس فيه شك هو أن اللغة اليونانية لم تستطع بحال من الأحوال أن تصبح لغة شعبية لهذه البلاد التى خضعت لسلطانها .

فالمصريون اتخذوا اللغة اليونانية لغتهم الرسمية للسياسة والإدارة نحو عشرة قرون، ولكنهم لم يتخذوها — فى يوم من الأيام — لغة شعبية . وإنما كانوا — فى تلك الأوقات وتلك القرون الطوال — يتكلمون لغتهم الخاصة، استعاروا من اليونان كلماتهم، ولكنهم ظلوا يتكلمون ويتحدثون بلغتهم الخاصة .

والأمم السامية المختلفة التى كانت منتشرة فى فلسطين وسوريا ولبنان والجزيرة وفى كثير من أجزاء العراق . كل هذه الأمم خضعت لسلطان اليونان . وكانت اللغة اليونانية لغة

الإدارة والسياسة والقانون، ولكنها — على ذلك — لم تستطع أن تعرب من ذات الشعب ولا أن تكون لغة الحديث والتخاطب بين أفراد هؤلاء الشعوب .

وقولوا مثل هـذا في اللغة اللاتينية التي انتشرت أيضاً ، فاللغة اللاتينية انتشرت في الشرق كذلك ، ولكنها لم تستطع أن تغلب اللغة اليونانية — حتى على لغة الدواوين ولغة الإدارة ولغة السياسة — في الشرق، فكانت اليونانية لغة الإدارة والدواوين والسياسة أيام حكم الرومان في الشرق . وهي اللغة التي استطاعت أن تثبت للاتينية مع أن اللاتينية هي لغة الحكام .

واستطاعت اللاتينية أن تسيطر على غرب أوربا ولكنها احتاجت إلى قرون طوال ، وإلى تطورات خطيرة جداً قبل أن تصبح لغة شعبية في تلك البلاد .

وأكبر الظن أنها لم تصل إلى هذه المرتبة — في يوم من الأيام — وإنما ظلت لغة الخاصة الذين يكتبون في العلم وفي الفلسفة وفي الدين . واستطاعت اللاتينية عنـدما غزاها البرابرة وأضافوا إليها لغاتهم أن تنشأ منها هذه اللغات الأوربية التي نعرفها الآن .

ولا كذلك اللغة العربية فإنها لم تكد تخرج من الجزيرة أثناء الفتوح الإسلامية حتى اتصلت بنفوس الأمم المغلوبة في وقت ليس بالطويل .

ومع أننا نعلم — مثلا — أن المصريين احتاجوا لبعض الوقت لتصبح اللغة العربية هي لغتهم فإننا نستطيع أن نقطع بأن القرن الثاني لم ينتصف حتى كان المصريون — جميعاً — يتحدثون اللغـة العربية ويتخذونها أداة في الاتصال بالحكومات والدواوين وفيما بين أنفسهم إلا في مواطن ضيقة كانت أشبه بالجزر التي يأخذها المـاء من جميع أقطارها بين هذه البـلاد التي كانت تتكلم العربيـة . وكذلك استطاعت اللغة العربية في أقل من قرنين أن تغزو هذا العالم القديم .

ولكنها غزته غزواً آخر . لم تغزه هذا الغزو الرسمي الذي نعرفه عندما يفرض المتغلبون لغتهم على السياسة والإدارة والثقافة، ولكنها غزتهم في عقر دورهم حتى أصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم : يتحدث بها الأب إلى أبنائه وبناته ويتحدث بها الأبناء إلى الآباء . أي أنها أصبحت لغة الأسرة نفسها .

هذا الغزو الذي أتيح للغة العربية لم يتح للغة قديمة أخرى في وقت من الأوقات مطلقاً .

وما أعرف أنه أتيح ذلك للغة حديثـة من اللغات الأوربية — على أقل تقدير — في هذا العالم الشرقي الذي نعيش فيه .

فالأمم الحديثة الأوربية قد قهرت الشرق الأدنى وتسلطت عليه وقتاً طويلا أو قصيراً، وفرضت لغاتها على الإدارة والسياسة والثقافة أوقاتاً تقصر أو تطول ، ولكن هـذه اللغات لم تستطع — بحال من الأحوال — أن تصل إلى نفوس الشعوب وأن تصبح لغة شعبية كما أصبحت اللغة العربية لغة شعبية : ونحن نعرف

أن الاستعمار الفرنسي الذي استقر في موطن من مواطن إفريقية الشمالية منذ قرن - أول - وجد في المحاولة كل الجد - أن يفرض اللغة الفرنسية على أهالي هذا الموطن - وهو الجزائر - واستطاع أن يجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم ولغة الثقافة كما كانت بالطبع لغة السياسة والإدارة ولكنه لم يستطع - إلى الآن - وما أرى أنه سيستطيع في يوم من الأيام أن يجعلها لغة الناس.

فاللغة العربية إذن فيها هذه القوة التي لم تعرف في لغة قديمة ولم تعرف في لغة حديثة. وفيها من جهة أخرى المقاومة العنيفة : هذه المقاومة التي تحميها من طغيان اللغات.

وأنتم تعرفون أن الترك قد تسلطوا على مصر قرونا طوالا ولكن لغتهم لم تستطع - قط - أن تكون لغة المصريين - حين يتحدث بعضهم إلى بعض - وظلت اللغة العربية، في هذه البلاد العربية، مسيطرة إلى الآن منتصرة في هذه المقاومة. ظلت لغة الثقافة وظلت لغة الشعب يتحدث بها الناس ولا يجدون في ذلك مشقة ولا عسرا.

فهذه اللغة التي استطاعت أن تنتصر هذه الانتصارات المؤزرة، والتي استطاعت أن تسيغ ما أساغت من ثقافات اليونان والفرس والهند والتي أخذت تسيغ - في يسر أعظم جدا مما يظن المتحرجون - ما تحمله الحضارات الأوربية والأمريكية من ثقافة وعلم. هذه اللغة هي التي تجد الآن خصوما من أبنائها يعرضون عنها ويحملون الناس على أن يعرضوا عنها.

وإذا كان المجمع قد أنشئ ليحافظ على هذه اللغة - ما وجد إلى ذلك سبيلا - وإذا كان قد أنشئ ليمكن لهذه اللغة من أن تتطور مع الزمن ومن أن تلائم العصور المختلفة التي تعيش فيها. فأول ما يجب على المجمع هو أن يتحدث إلى المتكلمين باللغة العربية ليبين لهم الوسائل التي ينبغي أن يتخذوها لتبقى هذه اللغة قوية - كما كانت قوية دائما - مرنة، كما كانت مرنة دائما، قادرة على أن تغالب وتغلب، وتقاوم وتنتصر، وأن تظل هي لغة الحضارة في المستقبل كما كانت لغة الحضارة في هذا الجزء من الأرض في الماضي القريب والبعيد أيضا.

وواضح جدا أن المجمع لا يستطيع أن يكتفي بما يصنعه أعضاؤه حين يلقى بعضهم بعضا في مجلسهم أو في مؤتمرهم، فالمجمعيون مؤمنون جميعا باللغة العربية ومؤمنون بقوتها ومرونتها وقدرتها على المقاومة، ولكن إيمان المجمعيين وحدهم، لا يكفي مطلقا، فهو يكفيهم هم ولكنه لا يكفي المهمة التي من أجلها أصبحوا أعضاء في هذا المجمع.

فليس لهم بد من أن يلقوا الناس وأن يتحدثوا إليهم ليقنعوهم بقدرة اللغة على إساغة الحضارة الحديثة وبقدرتها على المقاومة والمرونة والتطور كما أساغت الحضارة القديمة أيضا.

وليس معنى هذا أني مطمئن إلى أن هذه اللغة لا تجد أمامها من المشكلات والمصاعب ما هو خليق أن يعرض بعض الهمم لشيء من الفتور أو لشيء من الإشفاق.

فالمصاعب التى تلقاها اللغة خطيرة جدا ولا تخلو من عسر ، ولكن هذا العسر لا يأتى منها هى وإنما يأتى من أصحابها .

لغة حية مرنة قادرة على التطور يتكلمها قوم لا يزالون فى حاجة إلى الحياة ، ولا يزالون فى حاجة إلى المرونة ، ولا يزالون فى حاجة إلى التطور . فإذا لم يكن بد من أن تصلح اللغة لتلائم العصر الحديث والحضارة الحديثة فأول ما ينبغى هو أن نصلح الذين يتكلمون هذه اللغة ، فالذين يتكلمون بهذه اللغة هم الذين يستطيعون أن يبعثوا فيها الحياة — إن كانوا أحياء — وواضح أن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال !

وإذا كان المتكلمون باللغة العربية تنقصهم الحياة فلا عيب على اللغة ألا تحيا .

وإذا كانت تنقصهم المرونة فلا عيب عليها ألا تكون مرنة ، لأن اللغة العربية ليست شيئا يعيش فى السماء أو يعيش فى الجو ، بل هى شيء يعيش فى النفوس والقلوب وتنطق به الألسن : شيء ملازم للأحياء يؤدى ما فى نفوسهم .

فإذا كان عندنا شيء نريد أن نؤديه بهذه اللغة ثم قصرت اللغة عن تأديته ، هنا نستطيع أن نعدل عن هذه اللغة ، وأن نبحث عن لغة أخرى لأنها لم تستطع أن تؤدى لنا المعانى التى نريدها .

والشيء الذى لاشك فيه أن ضعف اللغة العربية لم يثبت إلى الآن ، وإنما الذى ثبت هو ضعف المتكلمين بها لأن المتكلمين بها جاهلون . لم يكن عندهم علم فلم يكن فيها علم ، ولم تكن عندهم حياة ففقدت اللغة الحياة ، وجمدت اللغة لأن المتكلمين بها أصابهم الجمود فجمدت اللغة بجمود أصحابها .

يوم يمون المتكلمون باللغة العربية ، ويوم يشعرون بالحياة كاملة ، ويوم تمتلئ بها قلوبهم ونفوسهم وعقولهم ، ستجاريهم اللغة فى الحياة والعلم ، ما فى ذلك شك : لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا خرسا — لا ينطقون — وهى ميسرة أمامهم ، فإذا لم يؤدوا بها عن ذات نفوسهم فهم الذين يقع عليهم الذنب .

من المشكلات الخطيرة التى تحول بين اللغة العربية وبين أن تؤدى ما يجب عليها أن تؤديه من الإعراب عن ذات النفوس فى صراحة مشكلة الكتابة قبل كل شيء .

ولابد أن يلتفت إلى أن اللغة العربية عندما استحدثت الكتابة كانت شيئا ضيقا يوشك أن يكون محتكرا لقلة قليلة قاصرا على الخاصة الذين يقبلون على التعليم من الذين يصطنعون الكتابة فى مصالحهم الخاصة . وكانت جمهرة الشعب لا تحتاج — أو لا تشعر بالحاجة — إلى أن تتعلم وتتثقف أو لا يتاح لها حتى هذا الشعور . فكانت الكتابة شيئا محتكرا لهذه الطائفة القليلة من المثقفين .

وكان من الممكن للكتابة العربية — على ما فيها من عسر ومشقة — أن يحتملها هؤلاء المثقفون لأنهم قلة ، وعلى أن ينفقوا الوقت فى التعلم حتى يستطيعوا أن يتقنوا هذه الكتابة كما ينبغى .

ولكن الدنيا قد تغيرت وأصبحت الحياة الحديثة تفرض على الشعب كله أن يكون قارئا كاتبا ، ولا بد للشعب كله أن يأخذ بحظ ما من الثقافة — قل أو كثر — سواء منه الرجال والنساء والبنون والبنات .

فمعنى هـذا أن الكتابة التي كانت محتكرة قد أصبحت الآن شعبية شائعة بين الشعب كله . ومعنى هذا أنها أصبحت ديمقراطية بعد أن كانت أرستقراطية . ومعنى هذا أن الديمقراطية تدفع إلى السهولة وتأبى العسر وإيثار المشقة ، لأن الشعوب لا تثبت للشقات ، وعامة الشعب لا تفرغ وقتها للتعليم فهي تعمل وتكد لتعيش ، وظروف الحياة لا تتيح لهم من الفراغ ما كان يتاح للقلة التي كانت تفرغ للكتابة والقراءة والثقافة والتعليم .

فأول ما يجب على الدولة عندما تفرض تعليم الشعب — هو أن تعالج مشكلة الكتابة ، وإلا فهي تطلب المحال ؛ وإذا أردت أن تطاع فاطلب ما يستطاع ، فإذا طلبت المستحيل فلا حرج على الناس إذا لم يطيعوك .

وكتابتنا شاقة ما في ذلك شك . ولست في حاجة إلى أن أبين لكم مشقتها ، وإنما يكفى أنكم لا تستطيعون أن تقرءوا شيئا قراءة صحيحة ، وأنتم المثقفون ، إلا إذا سبقت عقولكم إلى فهمه . وإذا كان هذا لا يتاح للمثقفين فينبغي ألا نطالب به الجماهير من عامة الشعب . فيجب أن تكون القراءة وسيلة للفهم لا أن يكون الفهم وسيلة للقراءة .

ومعنى ذلك أننا إذا أردنا أن نعلم الشعب فيجب أن نصلح له الكتابة العربيـــة بحيث يستطيع القراءة دون أن يكد نفسه أو يكلفها مالا تطيق ليستطيع أن يفرغ للفهم والتأمل ، وأن يتعمق ما يقرأ ، وأن يمتزج هذا الذى يقرؤه بقلبه ونفسه ، وأن يدفعه إلى الشعور ثم إلى العمل ثم إلى الإنتاج .

كل هـذا يفرض علينا — إذا كنا جادين في تعليم الشعب — أن نيسر وسائل التعليم له ، وأول وسيلة من وسائل التعليم هى الكتابة ، فليس بد من تيسيرها بحيث يستطيع الشعب — كله — أن يقرأ قراءة صحيحة وأن يفهم بعد ذلك ويتأمل .

ولا تسألونى أنا عن تيسير الكتابة كيف يكون .

ولكن لكم الحق — كل الحق — في أن تسألوا المجمع والحكومة أيضا والحكومات العربية والمجامع العربية في محاولة إصلاح الكتابة فهى التى ينبغى أن تسأل عن هذا .

وأشهد لقد جد مجمعنا في إصلاح الكتابة من سنين ؛ وما أرى أنه قصر إذا لم يكن قد وفق إلى هذا التيسير ، ولكنه في حاجة إلى العـون الذى يتيح له أن يمضى في التيسير بحيث يستطيع أن يجعل هذا التعليم مفيـدا . وبهذا نستطيع أن نقول إننا — نحن المصريين — جادون في التعليم الشعبي ، وأن نقول إننا موفقون في هذا الجد ، وأن نقول — نحن لأنفسنا —

إننا نعلم الشعب فيتعلم ، وندفعه إلى الثقافة فيطيع ، وندفعه إلى المعرفة فيستجيب . ولن يكون هذا قبل أن ييسر مشكلة الكتابة .

أما المشكلة الأخرى — وهى ليست أقل من هذه المشكلة خطراً — فهى مشكلة النحو . والفرق بين هاتين المشكلتين : أن مشكلة الكتابة مشكلة محزنة حقا لأننا نطالب الشعب بما لا ينبغى أن نطالبه به ، ونفرض عليه أشياء صعبة لا ينبغى أن نفرضها عليه . ولكن قصة النحو هذه قصة أخرى ، فهى لا تخلو من ظرف ، وهى لا تخلو من فكاهة أيضا .

وينبغى أن أعتذر للذين يخاصمون اللغة العربية فهم معذورون لأن النحو يربكهم ويرهقهم ، فمشكلة النحو موجودة الآن ومنذ زمن ، بل من أقدم العصور ، وقد قال أحدهم :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
تأسيس نحوهمو هذا الذى ابتدعوا

إن قلت قافية فيما يكون لها
معنى يخالف ماقاسوا وماصنعوا

قالوا : لحنت وهذا الحرف منخفض
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع

وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد فطال الضرب والوجع

فالقدماء أنفسهم كانوا يشقون بالنحاة ، وكانوا يشقون بهذا القياس الذى ابتدعه النحويون وفرضوا على العقول القديمة مشكلاته وألغازه ، وكل هذه المشقات العسيرة التى طالما يشقى بها أبناؤنا فى المدارس والمعاهد والجامعات .

وماذا تريدون إلى نحو يفرض على شاب لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره فى هذا القرن العشرين بين كل هذه المظاهر التى يعيش فيها والتى تدل على أن العالم القديم قد أصبح تاريخا ، وعلى أن الدنيا قد تغيرت تغيرا أقل ما يوصف به أنه تغير لا عهد للناس به من قبل فى أى عصر من العصور ؟ ماذا تريدون إلى نحو يفرض على هذا التلميذ البائس حين يسأله أستاذه أن يعرب قول الله تعالى : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره" : فيقول "أحد" مبتدأ فيعنف به أستاذه أشد العنف لأن "إن" لا يمكن أن توجد إلا مع الفعل ، وهى — مع الأسف — قد وجدت مع الاسم . وكأن هذا هو ذنب التلميذ !

وإذن فينبغى أن يعرب التلميذ "أحد" فاعلا لفعل محذوف . ماذنب التلميذ والأستاذ يظن أنه يعرف أو يفرض عليه أن يعرف ذلك ؟ !

وأذكر أنى ناقشت شيخا من الشيوخ وقلت له : كيف تعرب "أحد" فى قوله تعالى : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره" فقال : "أحد" فاعل لفعل مقدر هو استجارك . قلت : قد كذبت على الله — عز وجل — وأضفت إلى كتابه ماليس فيه ، فالله لم يقل إلا "استجارك" مرة واحدة ، وأنت تقول إنه قال : وإن استجارك أحد من المشركين استجارك . فمن أين جاءت الثانية ؟

وقد يسأل الأستاذ تلميذه كيف يعرب زيدا رأيته ، فإذا قال التلميذ : إن زيدا مفعول به

وسكت، لأنه الأستاذ ورعا شهر عليه العصا، وما أكثر ما اشتهر العصى حتى فى هذه الأيام لأنه لم يقدر فعلا آخر ينصب زيدا . فقد تبين أن يكون " زيد " منصوبا بفعل مقدر تقديره رأيت زيدا رأيته، لأن رأيته الثانية قد اتصل بها ضمير وهذا الضمير لا ينبغى أن يعود إلا على متقدم عنه فى اللفظ والرتبة، وإذ كان زيد هو نفس الضمير وهـــو مفعول الفعل غير الذى يعمـــل فى الضمير فلذلك ينبغى أن يكون زيد مفعولا لفعل محذوف تقديره " رأيت " .

ويسأله الأستاذ أن يعرب : "نحن المصريين نجتهد فى التعليم "

فيقول : نحن مبتدأ والمصريين منصوب على الاختصاص — ومن العسير جدا على التلميذ أن يقول إنه مفعول لفعل محذوف تقديره نحن أخص المصريين . ومثل ذلك يقال فى " إياك والنار" أى أحذرك وأحذر النار، ومن حيث إن الكاف ضمير متصل لا يستطيع أن يستقل بالكلام، أتينا بالضمير المنفصل : إياك، وذلك بعد حذف الفعل ، إلى آخر هذا الكلام الفارغ الذى ضاق به القدامى أنفسهم وضاق به فحول الشعراء أيضا . فقد كان شاعر فحل — وكلكم يعرفه — وهو "الفرزدق" لا يحفل بالنحاة بل كان يتكلم كما كان العرب يتكلمون : يندفع فى الشعر مرتجلا فيخطئ أحيانا، ويدفعه أحيانا وزن الشعر أو قافيته إلى أن يخالف عما ألف الناس الإعراب فيه . وكان هناك نحوى يتتبع "الفرزدق" وينبهه إلى أغلاطه فى النحو فاضطر "الفرزدق" إلى هجوه وقال :

ولو أن " عبد الله " مولى هجـــوته
ولكن " عبد الله " مولى مواليا

فسمع " عبد الله " هـــذا البيت فقال : "وأخطأت حتى فى هذا البيت، وكان يجب أن تقول مولى موال " فالنحو إذن كان محنة للقدماء، وهو أجدر أن يكون محنة لا امرين .

وواضح جدا أننا لا نستطيع أن نطلب إلى أبناء القرن العشرين أن يتعلموا اليهم على هذا النحو الذى كان الطلاب القدماء يجدون فيه مشقة منذ أكثر من ألف عام . وأن الشباب حينما يذهبون إلى المدارس يتعلمون اللغة العربية ويتعلمـــون اللغة الأجنبية : الإنجليزية أو الفرنسية أو اللغتين معا . والشىء المحقق — الذى لا جدال فيه — هو أن الشاب عندما يخرج من المدرسة الثانوية يستطيع أن يتحدث اللغة الإنجليزية أو الفرنسية حديثا مستقيما بينما يعجز كل العجز عن أن يتكلم العربيـــة حديثا عربيا مستقيما ، لسبب بسيط وهو أنه لم يفهم من دروسه فى النحو ولا من دروسه حول اللغة العربية : صرفها ومعانيها وبيانها وبديعها شيئا .

وكما قالت — منـــذ حين — إذا أردت أن تطاع فاطلب ما يستطاع .

فلا تطلب إلى أهل القرن العشرين أن تكون عقولهم كعقول أهل القرن التاسع أو العاشر المسيح . ومعنى هذا أن النحو لابد أن يتغير .

والمطالبة بتغيير النحو قديمة كالمطـالبة بإصلاح الكتابة العربية . ولكن الكارثة الكبرى تأتى من أن الذين يتعلمون اللغة العربية ويعلمونها يوشكون أن يحتكروها . هؤلاء السادة المحتكرون جمدوا فجمدت معهم اللغة وجمد معهم

النحو . ولغة قديمة كاللغة اليونانية تعلم اليوم فى المدارس الأوروبية ونحوها قديم لا يلائم العصر الحديث — فيوضع لها نحو حديث يلائم عقل ابن القرن العشرين ويلائم طبيعته ومزاجه وأطوار حياته دون أن يؤثر ذلك ، قليلا أو كثيرا ، فى نفس اللغة اليونانية أو فى نفس اللغة اللاتينية .

ولكن محتكرى النحو ، أو محتكرى اللغة العربية ، قرروا — فيما بينهم ذات يوم — أن إصلاح النحو إفساد للقرآن وأن من مس النحو بسوء فقد أساء إلى القرآن .

وأعترف بأنى حاولت أن أفهم هذا فلم أجد إلى فهمه سبيلا .

فعندما أنزل القرآن لم يكن النحو العربى موجودا ، وحينما تلى القرآن طوال النصف الأول من القرن الأول لم يكن النحو موجودا ، وإنما وجد النحو بعد ذلك ، فلم يكن ملازما للقرآن . وجد القرآن دون أن يوجد النحو .

وأغرب من ذلك أن النحاة بعد أن وضعوا نحوهم وخاصة مدرسة البصرة (التى يحبها زميلنا الأستاذ إبراهيم مصطفى) قرروا أن يخضعوا نصوص اللغة العربية له . لأنهم وضعوا قواعد وينبغى أن تخضع العربية كلها لهذه القواعد التى وضعوها . فإذا خرجت كلمة أو لفظ أو إعراب فى بيت أو نص من النصوص عن هذه القواعد أو إذا كان النص غريبا فهو شاذ ، لا ينبغى لأحد أن يذهب هذا المذهب الذى ذهبه صاحب هذا البيت أو النص الشاذ .

وإذا كان النص غريبا اختصوه بالتأويل واجهدوا أنفسهم واجهدوا الناس معهم ليظهروا أنه منطبق على ما وضعوه من قواعد .

وأذكر أن صديقا زارنى منذ أيام وسألنى كيف تعرب الآية : "لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم" فإن الحرف "إن" يجزم فعلين ، وكان حقه أن يقال لئن أخرجوا لا يخرجوا ، مع أن الآية مستقيمة رضى النحويون أم سخطوا ، ولكن المهم عندهم هو صدق قاعدتهم . فقدر النحويون حذف أحد الجوابين اكتفاء بجواب السابق منهما وهو القسم .

ولكنى مطمئن إلى أن الذين سمعوا القرآن من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يفهمونه كما يتلى عليهم ولا يحتاجون إلى تأويل وحذف ، وما أكثر ما يتكلف النحويون ليلائموا بين نحوهم وبين القرآن أو النصوص .

فإذا كان هذا كله جائزا ، ومستحبا أحيانا ، وعلم النحو من أحب العلوم العربية إلى نفسى لأنى أجد لذة فى قراءة الكتب النحوية المعقدة — على ما فيها من هذه الفلسفة والتعقيد — مثلما أجد عند قراءتى لشعر رائع لجرير أو لبشار أو لمن شئتم من الشعراء القدماء والمحدثين .

إذا كان هذا النحو مستحبا إلى الإخصائيين وإلى الذين يفرغون لمثل هذه الدراسات، فمن الحق كل الحق — ولا أتجاوز هذه الكلمة — أن نفرض هذا على الشباب فى هذا القرن وهم لا يحصون بعشرات الألوف — بل بمئات الألوف — من الخطإ. ومن الحق أن تأخذ عقول الشباب بتعلم هذا النحو والخضوع لمشكلاته وعسره والتوائه، هذا الذى لا يلائم الحياة الحديثة ولا التفكير الحديث.

ليس بد إذن من تيسير النحو أو إن شئتم ليس بد من إنشاء نحو جديد يضبط قواعد اللغة العربية دون أن يمس جوهرها — من قريب أو من بعيد — ولكنه يتيح للشباب أن يتعلم هذه اللغة فى يسر وفى غير عنف.

وإذا يسرت الكتابة، وإذا يسر النحو، وإذا أحسن المعلمون تعليم الأدب واللغة من نواح مختلفة: من ناحية ملاءمة التعليم لعقول الأطفال من الناحية البيداجوجية، ولعقول الشباب من ناحية حسن الاختيار بحيث يكون التعليم ملائما للذوق الحديث أيضا. إذا أحسن هذا كله — وكما تعلمون قد فرض التعليم على الشعب كله — فلست أشك بحال من الأحوال فى أن يوما من الأيام غير بعيد، لا أحب أن أحدده — كما تعود الناس أن يحددوا كل شىء فى هذه الأيام — سيأتى وقد عادت الحياة القوية إلى هذه اللغة وأصبحت ليست لغة المثقفين فحسب، ولا لغة الأدب فحسب، ولكنها لغة المثقفين ولغة الأدب التى يفهمها الشعب كله.

هذا خير أم الذى يعرض الآن ويدعى إليه هو الخير: وهو أن نتكلم اللغة العامية ونكتب بها ونعرض عن هذه اللغة ونتركها للذين يحبونها ويريدون أن يفرغوا لها؟

أما أنا فمطمئن إلى أن هذه الدعوة لن تلق من يستجيب لها، وأصحابها أنفسهم لا يستجيبون لها — فيما بينهم وبين أنفسهم — وإنما هم قوم حيل بينهم وبين أن يتعلموا اللغة تعليما صحيحا، وحيل بينهم وبين تذوق هذه اللغة لأن الذين علموهم اللغة لم يحسنوا تعليمهم، ولأن النحو لا يلائم عقولهم، ولأن ما ألقى إليهم من دروس الأدب ليس هو الأدب الذى يلائم الذوق الحديث المعاصر، فهم معذورون إذن.

ولكن الشىء الذى أحب أن أحذر منه المصريين خاصة، والعرب عامة، هو أن مثل هذه الدعوة إن استجيب لها فى مصر وفى غير مصر من البلاد العربية، فسيأتى يوم — وما أرى أنه سيأتى — تصبح فيه الصلة بين البلاد العربية كالصلة بين البلاد الفرنسية والإيطالية والأسبانية: يحتاج الفرنسيون إلى أن يترجموا إلى لغتهم هذا أو ذاك. ويحتاج الأسبانيون إلى أن يترجموا إلى لغتهم هذا أو ذاك. وسنحتاج — نحن — إلى أن نترجم عن السوريين والعراقيين وإلى أن يترجم السوريون والعراقيون عنا!

وما أظن أن أحدا يفكر تفكيرا جديا فى مثل هذا.

وما أظن أن محبا للعرب والحياة العربيـــة وتاريخها ، ومحبا للقرآن الذى توارثته القرون ومحبا لهذا التراث الضخم يستطيع أن تطيب نفسه إلى هذا السخف الذى يدعى إليه .

وليس بد — إذن — قبل أن أختم هذا الحديث الذى أسرف فى الطول وأصبح كعرقوب تلك المرأة التى قال فيها الشاعر :

انبئت أن فتاة كنت أخطبها

عرقوبهـا مثل شهر الصوم فى الطول!

أظن أنكم جميعا توافقوننى وتوافقون المجمع معى — فأنا أتحدث بلسان المجمع وهذه إحدى جلساته، وكما روى " المؤمنون يسعى بذمتهم أدناهم " — أظنكم توافقون جميعا على أنه إذا كان هناك شىء يجب أن نتعاون عليه تعاونا صادقا مخلصا يزاد به ترقية العلم وترقية الأدب، وتحقيق الوحدة العربية تحقيقا جديا لا ساخرا ، فهو أن تتعاون الحكومة والمجمع والمثقفون والهيئات المختلفة على تحقيق تيسير الكتابة العربية والنحو العربى ، لتكون اللغة العربية قريبة التناول ، لغـــة يمكن أن يتعلمها الشباب ويعلمها المعلمون .

التعقيب على المحاضرة

وبعد أن انتهى الدكتور طه حسين من محاضرته ، أذن الدكتور عبد الحميد بدوى الرئيس النائب لمن شاء أن يعقب على المحاضرة .

الأستاذ محمد المرشدى : اللغة العربية حينما غزت الشرق لم تصبح لغة شعبية إلا لأن الدين هو الذى فرض على الناس تعلمها .

الدكتور طه حسين : اللغة اللاتينية لا تزال حتى الآن لغة الديانة المسيحية فى كثير من البلاد الأوربية ، وبخاصة فى روسيا . ومع ذلك فاللغة اللاتينية ليست لغة حية .

الأستاذ عبد الرحيم فوده : لغة القرآن هى اللغة العربية الأولى ، أما اللاتينية فلم تكن لغة الإنجيل الأولى ، ولهذا فإنها لم تسد بين الشعوب المسيحية .

الدكتور طه حسين : وما رأيك فى أمم إسلامية حسنة الإسلام وقد تكون أكثر إسلاما من غيرها وهى تؤدى الصلاة والزكاة ومع ذلك فإن هذه الأمم لم تتعرب إلى الآن ؟!

الأستاذ عبد الرحيم فوده : ولكن أحدا لا يستطيع أن يقول إن الفرس صانوا الثقافة الإسلامية واللغة العربية كما صانها الأزهر .

الدكتور طه حسين : ولم يصن أحد لغة العرب كما صانها الفرس ، ولا ننسى سيبويه واسمه يدل على أنه فارسى .

الأستاذ محمود محمد حمزة : قال السيد المحاضر إنه لم يسغ تأويلات النحويين فى قوله تعالى "لئن أخرجوا لا يخرجون معهم" وابن مالك يقول فى ألفيته :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم
جواب ما أخرت فهو ملتزم

فهنا اجتمع القسم والشرط ، فإذا كانت النون لم تحذف فى قوله تعالى "لئن أخرجوا لا يخرجون معهم" فليس فى هذا ما يقتضى نقد النحويين .

الدكتور طه حسين : أؤكد لك أن الذى لم يسغ فى نظرى هو التقديرات النحوية الصعبة التى لا أسيغها ولا أرى أنك تسيغها .

الدكتور عبد الحميد بدوى نائب الرئيس : أرجو من السادة المعقبين أن يناقشوا فى كليات المحاضرة ، وأن يلتزم المستمعون هذه القاعدة فيعمدوا إلى إبراز معنى كلى تعقيبا على ما يقوله السيد المحاضر من معان كلية ، والتعقيب فى المحاضرة العامة لا يبيح المناقشة فى جزئيات ، وإنما أفهم أن يناقش الرأى فى عمومه ، وهذه قاعدة التزمت فى هذه القاعة .

أحد الشيوخ المستمعين : على هذا المبدإ وفى ظل هذه القاعدة أستطيع أن أقول (وأنا من خريجى الأزهر ومدرس فى وزارة التربية والتعليم) من ناحية النقد الذى يوجه إلى النحو :

لو حاولنا أن نيسره المبتدئين وأن نبتعد عن كثير من التقديرات فإننا سنكون مضطرين إلى أن نكثر القواعد .

الدكتور طه حسين : وما رأيك في أن هذا النحو الذى تخشى أن تزيد فيه القواعد أو تكثر قد وضعت له قواعد أيسر وأقل من كل هذا النحو . وهو نائم فى وزارة المعارف منذ أعوام ولا يزال نائما إلى الآن فى وزارة التربية والتعليم ينتظر من يوقظه .

الأستاذ محمد خلف الله أحمد : ظاهر أن النحو فى الثقافة العربية يمثل حركة علمية من الطراز الأول ، ويمثــل دواعى احتاج إليها المجتمع الإسلامى حين دخل فيه كثير من الأمم الأخرى . وإذن فوضع النحو كان دواء ضروريا لظاهرة اجتماعية استلزمت وضعه . وأظن أن أستاذنا يوافقنا على أن هذه الظاهرة وهــذه الضرورة لا تزالان موجودتين فلا يزال المجتمع الإسلامى يتعلم اللغة العربية كلغة ثانية كما كان الحال فى القديم ، فالدواء ليس فى أن يسهل النحو فحسب ، بل أن تصبح اللغة الفصحى لغة الناس ولغة الحياة ، وهذا شىء ليس بالمستحيل ، وقد برهن المجتمع الإسلامى على أن هذا ممكن ، وإذا أردنا المعالجة الحقيقية يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، فنحن لم نجد بعــد فى أمر ثقافتنا ولا فى أمر لغتنا .

يجب أن نتكلم اللغة العربيــة الفصحى ، وأطفالنا كذلك يجب أن يمرنوا على التكلم بها . وأظن أن أستاذنا يتفق معى فى أن الواجب أن تصبح لغتنا العربية الفصحى لغة المجتمع ولغة الحياة .

الأستاذ عباس حسن : كنت أود بعد هذه المحاضرة أن يدلى السيد المحاضر برأى فى إصلاح النحو ، فمشكلة النحو قديمة وليست جديدة ؛ وابن مضاء الأندلسى من الذين ألفوا فى هــذا الموضوع ، فلعل السيد الدكتور طه حسين يردف محاضرته هذه بمحاضرة أخرى بآرائه فى إصلاح النحو .

أما أن بعض الناس يطالبون بالعامية فهذا خلاف قديم . وإن الخير كل الخير فى رفع مستوى العامية إلى العربية ، والشر كل الشر فى أن تنزل العربية الفصحى إلى العامية .

الدكتور طه حسين : لست فى حاجة إلى عرض هذه المقترحات ، فقد وضع مجمع اللغــة العربية مقترحات لإصلاح النحو منذ سنة ١٩٤٤ وقدمها إلى وزارة المعارف ، وما تزال هذه المقترحات تغطّ فى نومها ، وأنا أحيلك على وزارة التربيــة والتعليم وعسى أن تبعث هذه المقترحات من جديد .

الدكتور عبد الحميد بدوى الرئيس النائب : لا يمكن أن يتسع الوقت لكل مقترح .

وأرجو من الســادة المستمعين أن يتفضلوا بإرسال ما يعن لهم من آراء ومقترحات كتابة إلى مجمع اللغة العربية .

العرب الأولون والثقافة اللغوية

للأستاذ محمد رضا الشبيبي
عضو المجمع

اتصل عرب الجاهلية على اختلاف قبائلهم ومواطنهم بغيرهم من الأمم المجاورة لهم وزار من زار منهم بلاد الروم والفرس. فلا غرو إذا تكونت بين الجانبين شتى الصلات. ولنا أن نقول إن هذه الصلات قديمة قدم العرب، ولا تنكر صلة الغساسنة في مشارف الشام والمناذرة في أرياف العراق بقياصرة الروم وأكاسرة الفرس وكانت لهاتين الدولتين سلطتهما ونفاذ كلمتهما في تلك المشارف والأرياف العربية، فليس من الغريب أن تجد بين عرب العراق من يتعلم الفارسية وبين عرب الشام من ينطق بالرومية، ولا غرابة إذا دخل عربية أهل الشام ألفاظ من الرومية، وإذا تسرب إلى لغة أهل العراق ما تسرب من الألفاظ الفارسية

لا يمكن مثلا أن يطول مقام زعيم قبيلة وشاعر أمة كامرئ القيس في بلاد الروم يحاول الملك ويستنجد بقياصرة الروم، نقول لا يمكن أن يطول مقامه على تلك الصورة من وثاقة الرابطة وكثرة الأصدقاء والمعارف في بلد الروم دون أن يشدو شيئا من لغة القوم:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك ويحك إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

دع عنك وفود أولئك المناذرة والغساسنة من مواطنهم في أرياف العراق ومشارف الشام إلى ديار القياصرة والأكاسرة فإنها وفادات رواها الإخباريون وسجلها المؤرخون. ومن المعقول أن يرافق الوفد من بلد إلى آخر لأهله لغتهم الخاصة من يحسن الكلام والكتابة بتلك اللغة.

تلمح هذا المعنى من خلال مداولات ومباحثات ومساجلات وقعت بين الجانبين كما دونها أهل السير والأخبار.

أضف إلى ذلك أن التاريخ يحدثنا عن قوم من الفرس في تلك العصور يعرفون بالأبناء، أخرجوا الأحباش من اليمن، ثم حلوا محلهم وحكموا البلاد المذكورة. ومن هؤلاء الأبناء (أبرويز) بن (المروزان). قالوا: وكان للمروزان ابنان أحدهما تعجبه العربية ويروي الشعر فيها يقال له (خرخسرة) والآخر (اسوار) يتكلم الفارسية ويتدهقن. ثم بلغ كسرى تعرب (خرخسرة) وروايته للشعر وتأدبه بآداب العرب، فعزله وولى (باذان)، وباذان آخر من حكم اليمن من ولاة العجم؛ ومعنى ذلك أن كسرى كان لا يريد لقومه وأمرائه أن يتعربوا، وكيف لا يتعرب هؤلاء الولاة وهم يقيمون في بلاد عربية يتناشد أهلها شعر فحول

لشعراء الجاهليين، وحسبنا أن نعد منهم امرأ القيس في تلك العصور.

وهؤلاء العباديون، من أشهرهم (عدى بن زيد) وولده (زيد بن عدى) العباديان، أهل بيت من الحيرة، يكرمون مع الأكاسرة، ومعهم أكثر. يمنون بهذه الكلمة ما يعنى بكلمة الدواوين في هذا العصر ويقطعونهم القطائع وكذلك كان أولهم مع المناذرة ملوك الحيرة. ويبلغ من وجاهة هؤلاء العباديين أنهم كانوا يتعلمون في المدارس مع أولاد الأساورة والمرازبة جنبا إلى جنب، فيحذقون الفارسية كلاما وكتابة، كما كانوا يتعلمون أصول الرياضة والفروسية والرماية والسباق على الخيل على طريقة الأكاسرة.

وفي برهة من تاريخ العرب في ذيل جاهليتهم حدث حادث فذ، ووقعت وقعة حاسمة غيرت اتجاه التاريخ، وقلبت أوضاعه رأسا على عقب بين الفرس والعرب، وفي وسعنا رد هذه الحادثة في الأصل إلى دسائس أو مكايد منكرة كانت تحاك في قاعدة ملك كسرى أى في المدائن، كانت هذه المكايد تحاك على النعمان بن المنذر، ويعنى بها كاتبها فتى حيرى الموطن عبادى النجار من أقرب المقربين إلى كسرى، يستشيره في كثير من الأمور، وإن كان أصل الفتى المذكور من بلد النعمان ابن المنذر ومن قبيلة العباد الحيرية، وهى القبيلة التى ينتمى إليها عدد من الشعراء الذين استوحوا حكمة العصور، ونظموا الملاحم والوقائع التاريخية وأخبار الدول وضمنوا أشعارهم ما ضمنوها من الحكم والأمثال والعبر والعظات في عبارة بلغت الغاية من الرقة والسهولة؛ لأن أولئك الشعراء الحيريين عاشوا مترفين في أرياف العراق ونأوا عن خشونة البداوة، وكان النعمان ملكا مستقلا في تلك الناحية، وإن كان استقلاله مشوبا من الناحية السياسية بسلطان الفرس والأكاسرة، إلا أن الحيرة كانت مستقلة استقلالا تاما تاجرا من الناحية الثقافية، فلم تكن الحيرة خالية من المحافل الأدبية، وكانت تقام فيها مواسم لأشهر شعراء الجاهلية في ذلك العصر، وفي طليعتهم النابغة وغيره، ومن الحيرة نشأ الخط العربي، وفي أطلالها أو في أطلال قصور المناذرة وجدت أصول القصائد المنسوبة إلى أشهر شعراء الجاهلية.

فما كان لبلد من بلاد الفرس أن يطمع بعزلة الحيرة أو يحاربها من هذه الناحية، ولكن هذا الفتى الحيرى الموتور بمقتل أبيه عدى على يد النعمان ملك الحيرة سلك أدق المسالك للدس على الملك المذكور، مدفوعا إلى ذلك بحب الانتقام وأخذ الثأر.

أثار هذا الفتى حفيظة كسرى فأخذه شىء من النجاح في إثارة تلك الحفيظة؛ لأنه كان خبيرا بطباع العرب وسجايا المناذرة منهم خاصة في عزوفهم عن الهجنة وابتعادهم عن العجمة والمحافظة على الأصول والأنساب، وكانت الأكاسرة من ناحيتهم – والحق يقال – لا يطمعون في الاقتران ببنات المناذرة ولا يؤثر في تاريخهم أنهم طلبوا ذلك، غير أن كسرى شذ عن منهج أسلافه متأثرا بآراء هذا الفتى الحيرى الجرىء، وراح يشتط في مقترحاته على النعمان ويطلب منه أعسر المطالب من هذا القبيل، وكان الفرس على ما يقول الإخباريون يطلبون من النساء من تتوافر فيها شروط معينة، منها ما يعود إلى الناحية النفسانية ومنها ما يرجع إلى الناحية الجسدية، وفي تاريخ

الطبري أمثلة من ذلك، فقد وافانا هذا المؤرخ بوصف عجيب لمطالب الأكاسرة من النساء. ولا شك أن ذلك من وضع الوضاعين وصنع المتفننين من الرواة. ومع ذلك فإن الوصف المذكور كما جاء في تاريخ الطبري ينطبق على صفات بعض النساء العربيات.

والخلاصة أصبحت الضالة المنشودة لكسرى لا توجد إلا في إحدى عقائل المناذرة أو بنات النعمان أبي قابوس.

هكذا برح المدائن وفد ملوكي إلى الحيرة بهذا الشأن. وكان الفتى الحيري زيد بن عدي ناسج هذه المكيدة في جملة أعضاء الوفد المذكور.

أحيط النعمان علما بالغاية التي أوفد من أجلها القوم، فساءه ذلك وردهم بعبارة مشهورة مأثورة نقلها الفتى الحيري لأصحابه في مجلس النعمان، ثم لكسرى في إيوانه، وكان أمينا في ترجمتها، فإن النعمان قال: أي طلب عسير طلبتم! أما كان لكم في مها السواد وبقر فارس غنى عن ذلك؟

وقد سئل الفتى الحيري ما معنى كلمة (مها) فقال: هي (كاوان) بالفارسية ومعنى (كاوان) البقر والحقيقة أنه اسم للبقر معروف في لغة الفرس إلى هذا اليوم.

هكذا خاب الوفد في مساعيه، وراحوا يحملون أعذارا غريبة يبررون بها خيبة المسعى، ومما قالوه لكسرى: إن العرب لشقوتهم يفضلون البداوة ونكد العيش على الحضارة، ويرجحون الشظف على مباهج الحياة الرافهة في الحواضر الكسروية، وما كانت هذه الحواضر الزاخرة بالعمران في نظر أهل هذه البادية إلا ضربا من الحبوس والسجون.

تراخت العلاقات ثم انقطعت انقطاعا كليا بين الملكين على أثر تلك الخيبة. على أن النعمان وقد علم أنه لا قرار له بعد اليوم في الحيرة، وأن كسرى وأساورة المملكة وطراخنتها ومرازبتها يبغونه الغوائل، بارح الحيرة بثقله وحلته وماله وكراعه إلى البادية «حصنه الحصين»، وراح يستجير بالقبائل قبيلة قبيلة من طلب الأكاسرة له، إلى أن أجارته بنو شيبان، وزعامة هذه القبيلة في ذلك الحين إلى هانئ بن قبيصة الشيباني، وهو في الواقع من زعماء العرب في تاريخهم كله بسالة وعقلا وقوة وقاموطاعة في قومه، كما ثبت ذلك في وقعة (ذي قار)؛ لأن كسرى بعث إلى بني شيبان يطلب أموال النعمان، وقد مات في حبسه فرده ابن قبيصة وامتنع من تلبية طلبه امتناعا شديدا في قصة معروفة انتهت بوقعة (ذي قار)؛ وهي أول وقعة انتصف فيها العرب من العجم كما جاء في بعض الروايات.

استشار كسرى قبل وقعة (ذي قار) مع بعض من يستشيرهم من العرب اللاجئين إلى بلاده وكانوا على الغالب خصوما لبني شيبان، فأشاروا عليه بأن يمهل غرتهم في الصيف حيث يتساقطون على ماء (ذي قار) تساقط الفراش على النار. وفسرت له هذه العبارة بالفارسية فاستحسن معناها، وهكذا صمم على انتهاز هذه الفرصة طبقا للمشورة المذكورة. وكانت العرب تجمع وتحتشد في المكان المذكور حيث وقعت الواقعة الحاسمة هناك وأسفرت عن تلك الهزيمة المنكرة، وقد اتضح بعد ذلك أن هذه المشورة الحربية التي أسديت لكسرى وقادة جيشه

ألحقت أبلغ الضرر بهم إما عمدا أو خطأ ، لأن الفرس قاتلوا فى (ذى قار) بعيدا عن قواعدهم ومراكز المدد والمؤن عندهم ، وفى إقليم لا يحتملون شدة الحر والعطش فيه ، فاندحروا ذلك الاندحار الشنيع . وفى حوادث التاريخ أدلة كثيرة على أن غزاة جزيرة العرب لم يحالفهم النجاح إلا مؤقتا ، وفى تاريخنا الحديث شواهد على ذلك أيضا من غزوة إبراهيم باشا ابن الخديو محمد على الكبير ، ومن غزوات السلاطين العثمانيين فى العصور الأخيرة سواء ما كان منها فى اليمن أو فى نجد أو الحجاز ، فإنها تعتبر غزوات خائبة على الأكثر وإن أصاب بعضها قليلا من النجاح . وقد زعم مستشار كسرى أن حاجة العرب إلى الماء فى القيظ تهون على جيشه إبادتهم والظفر بهم ، مع أن الحقيقة عكس ذلك فإن عرب البادية يجتزئون بأقل القليل من الماء بخلاف الفرس فإنهم من أقل الناس احتمالا للعطش والحرارة .

وقد كان كاتب هذه الكلمة يسير مع رفقة له فى البادية مسافة خمسة أيام فى فلاة لا ماء فيها وكنا نقتسم ما عندنا من ماء قليل عند الحاجة ، وقس على ذلك طبيعة الخيل والحيوان عند الفريقين ، فإن ركائب العرب وجمالهم تستطيع الصبر عن الماء خمسة أيام ، ولعل وقدة الحر وحرارة القيظ كانتا من أهم عوامل هزيمة الفرس فى واقعة (ذى قار) .

تحلل سرد المؤرخين ورواية الإخباريين لهذه الحادثة كثير من العبر والعظات فى الحرب والسلم والسياسة وفى محاسن الشيم ومكارم الأخلاق ، ومن خلال سرد الروايات المذكورة لمحنا أن كثيرا من العرب : عرب البادية فى ذلك الحين كانوا ملمين بالفارسية ، كما أن كثيرا من الفرس كانوا ملمين بالعربية ، فقد برز فى ذلك الميدان بطل من أبطال فارس وهو يقول : (مرد بمرد) . فأراد عربى يخوض المعركة أن يعرف ما معنى هذه الكلمة ، فقيل له : إنه يطلب البراز رجل برجل ، ومرد معناها رجل بالفارسية . فقال : لقد أنصف . ثم برز إليه وقتله . فقد وجد إذن فى ساحة الحرب المذكورة نفسها وفى تلك الساعة العصيبة من يتذكر الفارسية من العرب ويفسرها بالعربية .

هذا ومن سوء الحظ أن يقصر المؤرخون فى تحديد وقعة (ذى قار) زمانا ومكانا على وجه التحقيق ، وكل ما قالوه إن هذا المكان وهو (ذو قار) غير بعيد عن الكوفة ، وأنه ماء ومنزلة لبنى شيبان وبكر بن وائل . فـ(ذوقار) إذن تقع على مقربة من الكوفة ، ولعلها الآن داخلة فى حدود الأراضى العراقية . وفى لواء من ألوية الجنوب فى العراق يسمى لواء المنتفق عرفت إحدى محطات السكك الحديدية باسم (المقير) ، ويزعم بعضهم الآن أنها ذو قار بعينها ، وهو زعم لا سند له من التاريخ والبحث الدقيق . والمعروف أن (المقير) قريبة من أطلال مدينة مشهورة من مدن الكلدانيين اسمها (أور) وهى مدينة خليل الله إبراهيم .

هذا قولهم فى ذى قار من حيث المكان وعلى ذلك قس مقالتهم فى تلك الواقعة من حيث الزمان فإن المؤرخين لم يتفقوا على تعيين تاريخها ، فمن قال إنها وقعت عند مولد رسول الله ومنهم من قال إنها وقعت عند منصرفه من وقعة بدر الكبرى ، وهذا القول مرجوح ، لأنهم تحدثوا بحديث وصفت

فيه الواقعة بأنها أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم . ومعنى ذلك أنه يوم من أيامهم السابقة على الإسلام ، ونحن نميل إلى ترجيح هذا القول .

أضف إلى ذلك أنه يوجد اضطراب ظاهر فى كلمات المؤرخين عن تعيين من وقعت هذه الواقعة فى أيامه من المناذرة وآل النعمان ، تارة يقولون : إنه المنذر بن النعمان الأكبر ، ومرة يقولون : إنه النعمان بن المنذر أبو قابوس . و بين الاثنين عصور بعيدة ، إلى غير ذلك من وجوه التشويش والاضطراب فى كتب التاريخ . هذا ولابد لنا من القول إن العرب من عهد الجاهلية إلى هذا اليوم يعدون واقعة (ذى قار) من مفاخرهم وأمجادهم التاريخية . وقد أشاد بذكرها شعراؤهم المتقدمون والمتأخرون وتمدحوا بخفارة الذمام وحفظ الجوار الذى عرف من بنى شيبان فى هذه الواقعة . ومن عيون أشعارهم السائرة فى هذا الباب قول أبى تمام من قصيدة فى خالد ابن يزيد بن مزيد الشيبانى :

أولاك بنو الأحساب لولا فعالهم
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد
وحيد من الأشباه ليس له صحب
به علمت صهب الأعاجم أنه
به أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو المشهد الفصل الذى ما نجا به
لكسرى بن كسرى لاسنام ولاصلب

وله من أخرى فى أبى دلف العجلى :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها
وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

هذا مثال من أمثلة احتكاك العرب بالعجم من روم وفرس قبل الإسلام ، وهذه إشارة إلى منحى من مناحى التبادل فى الثقافة والتجارة بين الجانبين وإلى ناحية أخرى من نواحى تفاعل الحضارات واللغات فى تلك العصور ، ثم نشأت بعد الفتوح الإسلامية وتغلغل الفاتحين فى صلب ديار الأكاسرة والقياصرة صلات أخرى أوثق وأمتن من تلك الصلات القديمة ، صلات جديدة عززتها نظم الإسلام السياسية والاجتماعية ، إذ تقبلها أهل البلاد المفتوحة عن طواعية و إيمان ، وسعدوا بتطبيقها بعد شقاء ، وقد فرضت على المسلمين — مصلحة الإسلام ودعوته وما جد بينهم وبين أهل البلاد المفتوحة ما فرضت من روابط وثيقة ، وعهود متينة ، وعقود مختلفة من عامة وخاصة — أقول فرضت على المسلمين مصالحهم المذكورة تعلم الفارسية ، مع أن هذه اللغة كانت تجتاز فترة عصيبة تدلهبها من الاضمحلال لتحل مكانها العربية . ولاحظ أن عصر الراشدين شهد من عنى بحذق الفارسية فى الحجاز والعراق . ولعله شهد من عنى بحذق الرومية فى الشام و بلاد العرب ، ومن الأمثلة إلى ذلك قصة الهرمزان ملك الأحواز و بطل وقائعها فى الفتوح ، فإن جمهرة من القادة الفاتحين وفدوا على المدينة وفيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ، قدموا البصرة مع أبى موسى الأشعرى ، ثم خرجوا نحو المدينة ومعهم الهرمزان ملك الأحواز .

وتحدثنا رواية الطبرى حديثا عجيبا عن مأتى هذا الوفد بالمدينة وعن تصرفهم مع الهرمزان على وجه يدل على أن المسلمين كانوا على شىء من التقدير ، لما أظهره هذا القائد الفارسى من الاستبسال فى حروب الأحواز ، وعن الأحاديث التى دارت

بين الهرمزان وبين الخليفة عمر بن الخطاب وهي أحاديث فيها ما فيها من المتعة والفائدة . ومن أمتع ما فيها أن حديث الهرمزان كان يترجم لأهل المدينة ، وكانت التراجمة الذين يفسرون كلام الهرمزان من قادة المسلمين الذين أسهموا في الفتوح وخاضوا غمار تلك الحروب الطاحنة . وقد جاء في رواية الطبرى أن الترجمان عن الهرمزان المغيرة بن شعبة وكان المغيرة يفقه شيئا من الفارسية . فقال عمر للمغيرة : قل له من أى أرض أنت ؟

فقال المغيرة : (أزكدام أرضيه ؟)

ومعنى هذه الكلمة (من أى أرض أنت ؟)

فقال الهرمزان : (مهرجانى) .

ثم دارت بين الهرمزان وبين أولئك القادة أحاديث كان المغيرة هو الذى يترجم ويفهمه حتى أسلم الهرمزان وفرض له على ألفين وأنزلوه المدينة .

وكان الإمام عليا عالما بالرومية ، فقد روى أن شريحا القاضى أصاب في الجواب عن مسألة فقهية سأله عنها الإمام فقال له : (قالون) . وقد فسرت هذه الكلمة بمعنى (أصبت) كما نجدها فى كتاب المعربات للجواليقى وكتاب شفاء الغليل لخفاجى وغير ذلك . وكان عدد غير قليل من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ممن عاشوا فى العراق والشام ملمين باللغتين الرومية والفارسية وليس هذا موضع التفصيل ، ولذلك نكتفى بهذا القدر . والله ولى التوفيق ؟؟

ميتافيزيقا اللغة

للأستاذ ل . ماسينيون
عضو المجمع

ميتالينجوستيك Métalinguistique, أى ميتافزيقا اللغة

للأستاذ ل . ماسينيون عضو المجمع

كما أن لعلم الطبيعة تكملة عند أرسطو وهى الميتافيزيقا ، كذلك أسس بعض العلماء الغربيون أخيرا — وهم Dilthoy, Bruno Cassirer وBenjamin Whorf وغيرهم علم ماوراء اللفظ وسموه (ميتالينجو يستيقا) وكان أول من جمع شمل المؤلفات الأرسطية هو Andronicos de rhodes وهو الذى دون فصول ماوراء الطبيعة بعد علم الطبيعة ، ومن ذلك صار اشتقاق الاسم اليونانى (ميتافيزيقا) ولكن لاننكر أن الفصول المذكورة بعد علم الطبيعيات فى هذا المجموع تشير إلى معان وراء المحسوسات الطبيعية .

كذلك الآن يشير علماء هــذا الفن اللغوى الجديد إلى معان عمومية مجردة عن الة اليد الثقافية المتواترة عند اللغات المكتوبة .

ولا شك أن هــذا العلم لايستطيع أن يدلنا رأسا على تحقيق عناصر المعانى بتصفية الحدود والبراهين لأننا لانجد عند نهاية أقيسة المنطق إلا مافرضناه فى المقدمات .

ولكن يجوز أن نقتبس بواسطة اجتهاد علماء هذا الفن الجديد تيسيرا للإشراف عن حقيقة ماوراء اللفظ ، كما فى الميتافيزيقا يجوز أن نسهل الطريق إلى الإشراف على المعانى المجردة فيما وراء الطبيعة بواسطة مشاركة العلوم الطبيعية فى سلوكها المختلف .

وعندى أن الفائدة العظمى ليست للمفكرين على الإطلاق وحدهم ، ولكنها للأساتذة المجمعيين اللغويين ، إذ يتنبهون إلى المسائل المفروضة فى هذا الفن الجديد وهى التى تشمل بعض العلوم الحديثة المكملة لبعض العلوم القديمة مثل : أولا (السيمانطيقا) ومؤسسه Bréal وهو الثوب الجديد لعلم المعانى المعروف فى البلاغة العربية وثانيا — (لوجستيك) ومؤسسه Couturat. وهو الثوب الجديد لعلم المنطق الأرسطى . وثالثا (فونولوجى) ومؤسسه Troubetzkoy. وهو الثوب الجديد لعلم الأصوات (أى فونوتيك) .

ويمكن أيضا أن نقسم (السيمانطيقا) إلى قسمين ، فلنسمى القسم الثانى Stylistique, لقوانين عقلية فى تركيب الأساليب ، ولكن هذا القسم لم يتميز بعد تمام التميز .

من الواضح الآن عند اللغويين الغربيين إفلاس الميتافيزيقا ، وأدلة هذا الإفلاس عندهم قريبة من الأدلة المستعملة عند المجتهدين من المفكرين العرب مثل ابن حزم فى إبطال القياس وابن مضاء (الرد على النحاة) ومثل ابن تيمية فى الرد على المنطقيين . وإلى الآن مافكر ناحق التفكر نحن الغربيين فى أهمية وضع ابن حزم وابن تيمية لأنهما تمسكا بإمكان بناء ميتافيزيقا وهجوم أدلتهما ليس على إمكان الميتافيزيقا نفسها وإنما ناديا وأشارا بإصلاح الطريق المتواتر عن اليونان فى شأن الميتافيزيقا .

وإنى موافق على اعتراض ابن حزم وابن تيمية فى نقصان تبيين الميتافيزيقا على منهج أرسطو بأقيسة منطقه . والطبيب يدرك العلامات العلية فى أسبابها ، وكذلك يمكن أن نتفرس فى أصل النقصان اليونانى بواســطة الفن الجديد (ميتالينجو يستيقا) .

فى هذا الفن نحقق فى كل لغة قابلية اللغة لنوع ما من انواع التراكيب النظرية ، وهذا مانسميه

الثقافة، وهو عبقرية الثقافة المشار إليها، وهذه العبقرية تلون الاصطلاحات الضالة تلوينا خطيرا بأصفى المعانى المجردة .

مثلا من المقرر أن اللغويين العالمين بمقارنة اللغات السامية والآرية يثبتون أنه لا يوجد فى السامية الرابطة وهى الفعل الدال على الوجود Etre لأن (كان) وأخوات كان ليست لها مناسبة مطلقا فى اللغات الآرية بهذه الوظيفة النحوية الفعلية . إذا عقدت مقابلة من جهة اللغات السامية فتجد عندها مسألة التقدير ، وهذه المسألة لا توجد إلا عرضا عند اللغات الارية . ومن الانتساب إلى اليونان الذى يفضله غير المصلحين للنحو العربى كراهية التقدير فى تحليل الجمل النحوية

ومن نتائج الاقتباس المقلد عن اليونان إلى العربى أن اصطلاح الوجود أدى عند الفلسفة العربية إلى انتشار مذهب أعجمى هو وحدة الوجود ، وهو بخلاف الحقيقة الثابتة فى اللغات السامية وهى لغات الشهادة لوحدة الشهود .

كذلك اقتباس كلمة الصورة هى عند أرسطو الأصل ، والمادة الفرع ، بخلاف استعمال العرب الصحيح ، لأن الصورة عندهم ظاهر الشىء الزائل (العرض الزائل) . لذلك صار عند فلاسفة الوجوديين مثل ابن السبعين أن الصورة المطلقة للعالم فيض إلهى .

كذلك أيضا استعمال الكلمة (ذاتى) (Subjectif أى (الحال النفسى) بخلاف العبقرية العربية التى تنسب إلى ذاتى معنى الثبوت . وهذا المعنى مضاد للحال النفسى .

وكل هذا قد بينته تفصيلا فى كلامى على اختلاف أشكال الإيمان عند الثقافة السامية والثقافة الارية . ولا أرجع اليوم إلى هذه الفروق .

ولكن كان من الواجب أن أوصى بوجود تلك الفروق كما صححنا الفروق فى داخل النحو عند اللغات الآرية الحديثة . مثلا لمعنى الحال الشرطى .Conditionnel فى الفرنسية والطليانية والأسبانية . عند الفرنسى الحال الشرطى يدل على التشكك والنفى . وعند الطليانى يدل على الاشتياق والإحساس ، وعند الأسبانى يدل على الاستعداد والمستقبل .

كذلك عند اللغات السامية فى مقارنة الأصول الثلاثية الثابتة :

مثلا : (عشق) عند العبرى والسريانى والعربى . بين معنى هذا الأصل فروق . فى العبرى يدل على الشاك . فى السريانى يدل على الحزن والفقدان ، وفى العربى يدل على الحب والانجذاب .

وفى الخاتمة أعترف بإمكان إزالة الصعوبات والتلوينات الثقافية المانعة من اقتباسنا بعض الاصطلاحات الأعجمية المفيدة لبناء قوانين علمية عمومية إذا رجعنا إلى مبادئ هذا الفن الجديد (ميتالينجويستيقا) .

يعترض على بعض المختصين بأبحاث وتجارب نفسانية واجتماعية جديدة مثل تجارب بقعة المداد Ink Blot وتفسير صورها الموهومة الخيالية عند الأطفال بمختلف عناصرهم و بوحى ثقافتهم لأن الأجوبة تتغاير تغايرا عظيما .

كذلك مسألة الإيماء الجسمى ، يقول الشرقى "با" بشموخ أنفه ، أما الغربى فهذا عنده بمعنى لا .

ولكن الاصطلاحات فوق الإيماءات والروحيات فوق الجسميات و إذا اخترع أخيرا لغات صناعية مثل (الاسبرنتو) فبالأحرى يمكن أن يصلح عند اللغة العربية الاصطلاحات المؤدية إلى توحيد العلوم بواسطة (الميتالينجويستيقا) .

ثنائية الأصول اللغوية

للأستاذ حامد عبد القادر
عضو المجمع

يتلخص هذا المذهب في أن الأصول اللغوية الثلاثية مستنبطة من أصول ثنائية يتركب كل منها من حرفين أساسيين .

ويقوم هذا المذهب في أكمل صوره على أربعة مبادئ :

الأول — أن منشأ الأصول أو الأصوات اللغوية يرجع إلى المحاكاة أى محاكاة أصوات الإنسان أو الحيوان وأصوات الظواهر الطبيعية أو الأصوات التي تحدثها أعمال الإنسان المختلفة .

والثاني — أن المواد اللغوية نشأت في أول أمرها ثنائية ، يتركب كل منها من مقطع واحد مغلق أى من حرفين أولهما متحرك حركته قصيرة وثانيهما ساكن ، وأن سنة التطور والنمو المطرد تعززها التجربة . والمشاهدات المتعددة هي العامل الفعال في تبديل المادة الثنائية من جهة ، وفي جعلها مركبة من ثلاثة أحرف أو أكثر من جهة أخرى .

والثالث — أن حرفي المادة الثنائية هما معا في الغالب شديدان أو رخوان أو متوسطان بين الشدة والرخاوة .

والرابع — أن تثليث المادة الثنائية كثيرا ما يكون بتكرار الحرف الثاني أى تضعيفه ، أو بإضافة حرف آخر هو في الغالب حرف علة أو حرف من أحرف الذلاقة ، أو أحرف الحلق ، أو أحرف الصفير .

هذا عرض إجمالي للمذهب . ويجدر بي قبل أن أفصل القول فيه أن أعرض بعض مصطلحات لغوية ، وأشرح كلا منها شرحا موجزا . وفي مقدمة ما أعرض من هذه المصطلحات " المقطع " وهو الوحدة الصوتية الساذجة التي لا يمكن تحليلها إلى أقل منها .

والمقطع إما مفتوح وهو ما تركب من حرف واحد متحرك حركته قصيرة أو طويلة ، وإما مغلق ، وهو ما تركب من حرفين أولهما متحرك حركته قصيرة أو طويلة وثانيهما ساكن .

وكل كلمة قصيرة أو طويلة يمكن تحليلها إلى مقاطع مفتوحة أو مغلقة أو بعضها مفتوح والآخر مغلق ، فالفعل " قال " مركب من مقطعين مفتوحين ، والفعل " أكْرِمْ " مركب من مقطعين مغلقين . والكلمة " كتبت " مركبة من ثلاثة مقاطع الأول والثالث مفتوحان والثاني مغلق . وقولنا " فسأستفهم " مركب من خمسة مقاطع الأول والرابع والخامس مقاطع مفتوحة ، والثاني والثالث مقطعان مغلقان .

ويوصف المقطع المفتوح بأنه أحادى لأنه لايشتمل إلا على حرف واحد. أما المقطع المغلق فيوصف بأنه ثنائى تركيب من حرفين أولهما متحرك.

ولا بد فى العربية الفصحى أن تكون الحركة فى المقطع المغلق قصيرة كما فى كلْ واعلمْ. لاتكون طويلة إلا عند الوقف كما فى "قال" وكما فى المقطع الأخير فى يقولونْ لتسكين النون للوقف.

هذا فى العربية الفصحى. أما فى العامية وغير العربية من اللغات السامية واللغات الهندية الأوربية وغيرها فقد تكون حركة الحرف الأول من المقطع المغلق طويلة كما فى نام فى العامية و chip فى العبرية و mat فى الإنجليزية. وقد يكون المقطع المغلق فى اللغات الأجنبية مركبا من ثلاثة أحرف أولها متحرك كما فى المقطع الأخير من كلمة standing فى الإنجليزية.

المصطلح الثانى: هو "المادة اللغوية" وهى نوعان: الأول المادة الأصلية وهى المادة الثنائية المركبة من مقطع ذى حرفين أولها متحرك نحو قط وقص وقد وجز وكت وكس.

والثانى المادة الفرعية وهى المادة الثلاثية، الأحرف الثنائية المقاطع. وهى التى يقول أصحاب المذهب الثنائى إنها مستنبطة من المادة الثنائية نحو قطع وقطم وقطف من قط، وقصم وقصف من قص.

وقد اصطلح علماء اللغة من الفرنجة على أن يطلقوا على المادة الثنائية اسما معناه جذر root، وعلى المادة الثلاثية المستمدة من الثنائية اسما معناه جذع أو ساق stem وهما اسمان مأخوذان من علم النبات كما هو واضح. ولكنى لا أرتضى هذه التسمية، لأننا نعرف أن جذور النبات تجمع وينشأ عنها جذع واحد، وقلما ينشأ عنها جذعان أو أكثر، مع أن الأمر فى المواد اللغوية على العكس من ذلك فإن المادة الثنائية الواحدة تستمد منها مواد ثلاثية كثيرة. ولذا أرى أن نصطلح على تسمية المادة الثنائية "الأصل" أو المادة الأصلية أو المادة الأولى الثقيلة أو الخفيفة، وعلى تسمية المادة الثلاثية "المادة الفرعية" وعلى تسمية المادة المشتقة من الثلاثية أو الرباعية مادة مزيدة.

فنقول إن "قط" مثلا مادة أصلية شديدة، و "قد" مادة أصلية مخففة، و "قطع" مادة فرعية، وانقطع مادة مزيدة.

المصطلح الثالث الذى يعن لى أن أعرضه هو "الاشتقاق".

ويبدو مما ذكرته آنفا ومما يذكره الصرفيون أن الاشتقاق بمعناه العام على خمسة أنواع:

الأول: اشتقاق الأصل الخفيف من الأصل الثقيل كاشتقاق جزّ من قص.

والثانى: اشتقاق المادة الفرعية من الأصلية كاشتقاق قصل من قص.

والثالث: الاشتقاق بالقلب الذى سماه ابن جنى ومن تبعه الاشتقاق الكبير كاشتقاق و ق ل، و ق ل و من ق و ل وكاشتقاق جبذ من جذب أو العكس.

والرابع : الاشتقاق بالزيادة كاشتقاق فتح وتفتح وانفتح واستفتح من فتح .

والخامس : اشتقاق الأسماء من الأفعال المجردة أو المزيدة كاشتقاق فاتح ومفتوح ومفتاح من فتح، وكاشتقاق مفتتح من افتتح ، ومستفتح من استفتح .

فماذا نسمي كل نوع من هذه الأنواع ؟

قد يكون من الممكن أن نسمي اشتقاق قد من قط مثلا اشتقاقا أول أو أوليا .

وأن نسمي اشتقاق قطع من قط اشتقاقا أكبر .

وأن نسمي اشتقاق و ق ل من ق و ل اشتقاقا كبيرا كما يرى ابن جني ومن تبعه .

وأن نسمي اشتقاق قطّع مثلا من قطع اشتقاقا صغيرا .

وأن نسمي اشتقاق نحو مقطع من قطع اشتقاقا أصغر .

هذا هو ما أقترحه . والمسألة مسألة اصطلاح لا أقل ولا أكثر .

***

ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المبدإ الأول من مبادئ ثنائية الأصول اللغوية وهو : أن هذه الأصول نشأت في أول أمرها محاكاة لأصوات الإنسان، كالتأفف والتأوه والتنحنح والقهقهة .

أو لأصوات الحيوان كالنعيق والصهيل والرغاء والمواء والوق أو الوقوقة .

أو لأصوات الجمادات أو الكائنات الطبيعية كصلصلة الجرس، وصليل السيف، وصرير القلم، وحفيف الأشجار، وقصف الرياح، وهزيم الرعد .

أو لأصوات الأعمال التي يزاولها الإنسان كالقط والقص والشق والقد والجز والهد [1] .

والواقع أن القول بأن منشأ لغة الإنسان هو محاكاة تلك الأصوات هو أحد آراء ستة في هذا الموضوع . أقدمها رأى المتدينين من اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يرون أن لغة الإنسان وحي أو إلهام من الله تعالى . ويستدلون على ذلك بنصوص من التوراة والقرآن ففي التوراة (تكوين ٢٠ — ١٩ و ٢٠) أن الله بعد أن خلق الحيوانات والطيور والدواب عرضها على آدم ليرى كيف يسميها، فوضع آدم أسماء لهذه المخلوقات . وفي القرآن الكريم : "وعلم آدم الأسماء كلها" [2]

وكان أبو علي الفارسي وأبو الحسين أحمد ابن [3] فارس (٣٩٥هـ) من أصحاب هذا الرأي . وقد ذكره ابن جني (٣٩٢ هـ) ثم نقده ثم عاد فمال إليه ؛ يدل على ذلك قوله :

" واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري ؛ وذلك أنني إذا تأملت

---

(١) راجع : سر الليال ص ٢٣
(٢) الصاحبي ص ٥ — ٧
(٣) الخصائص ص ٣٩

حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده و بعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه. وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله جل وعز، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه وأنها وحى»[1]

هذا هو أقدم الآراء في منشأ لغة الإنسان، أما أحدثها فهو رأى علماء النفس والاجتماع، وخلاصته أن اللغة كغيرها من الظواهر الاجتماعية نشأت ساذجة ثم تطورت بمرور الزمن وتتابع التجارب. وقد أدى اختلاف التجارب والمشاهدات واختلاف الأوساط والبيئات والطبائع إلى اختلاف اللغات.

وفيما بين هذين الرأيين نجد أربعة آراء هي :

١ — رأى التنفيس عن النفس بإصدار أصوات تكونت منها فيما بعد كلمات : كالتأوه والتأفف

٢ — رأى الاستعداد الفطرى، ويتلخص في أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الكلمات أو الألفاظ، وأنه ينطق بهذه الألفاظ عند الحاجة. فمقتضيات الأحوال هي التى تخرج تلك القدرة الفطرية من حيز القوة إلى حيز الفعل، وكأن النفس البشرية في نظر أصحاب هذا الرأى مخزن مملوء بالألفاظ يفتح شيئا فشيئا بمفتاح الزمن ومقتضيات الأحوال.

٣ — رأى الانفعال أو التأثر الفطرى. ويتلخص في أن مشاهدة الإنسان لأخيه الإنسان وهو يزاول عملا من الأعمال الشاقة أو يعانى حالا انفعالية قاسية أثارت أقصى اهتمامه وجعلته يتأثر تأثرا آليا بطريق المشاركة الوجدانية فيحدث أصواتا ساذجة أو يشير إشارات تلقائية يعبر بهذه وتلك عن شدة انفعاله وتأثره بما يعانى أخوه. وبمر الزمن وتكرار التجارب المتشابهة تطورت الأصوات الساذجة وأصبحت ألفاظا أو كلمات، واستغنى عن الإشارات كلها أو بعضها وحلت محلها كلمات أيضا.

٤ — مذهب المحاكاة الذى عرضناه فيما سبق.

ولا يتسع المقام لبسط القول في كل من هذه الآراء، ويكفى أن نقول إن أحدثها هو أقربها إلى الصواب، وإن أقدمها إذا أخذ على ظاهره أبعدها عن الحق، أما الآراء الأخرى فيكمل بعضها بعضا، إذ أن كلا منها يشرح سببا من أسباب نشأة اللغة ويتغاضى عن غيره.

ولا ريب أن هذا ينطبق على مذهب المحاكاة الذى لا ننكر أنه قد أنار الطريق أمام الباحثين وكشف اللثام عن منشأ عدد كبير جدا من الأصول اللغوية، لا في اللغات السامية فحسب بل في جميع لغات الإنسان على تنوعها واختلاف درجاتها في النمو.

(١) الكتاب نفسه ص ٤٥

ويبدو أن هذا الرأى ليس وليد البحوث الحديثة كما يرى بعض علماء اللغات . فقد نقله ابن جنى عمن سبقه وذلك حيث يقول [1] :

" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبى — ونحو ذلك . ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد .

وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل " .

هذه هى عبارة ابن جنى الذى ظهر أمره فى أواخر القرن الرابع الهجرى أو أواخر القرن العاشر الميلادى (٣٣٠ — ٣٩٢ هـ) (٩٤١ — ١٠٠١ م) ذلك القرن الذى انتشرت فيه الثقافة العربية فى الشرق والغرب وكان لعلماء اليهود أثر بارز فى نشرها .

ونقل ابن جنى هذا الرأى عمن سبقه يدل دلالة قاطعة على أنه كان مذهبا مقررا شائعا بين من سبقوه . ولسنا نعرف على وجه اليقين أول من قال به .

ومهما يكن من أمر مبدئه فهو رأى قديم لافضل للمحدثين فى ابتكاره ، وإنما يرجع إليهم الفضل فى توضيحه وتقعيده ، فقد شرحه ماكس مولر وسخر منه إذ سماه مذهب "باو واو" مشيرا بذلك إلى صوت الكلب الذى يقول أصحاب هذا المذهب إنه أحد الأصوات الحاكاة .

وقد شرح هذا المذهب بشئ من التفصيل رينان فى كتابه "التاريخ العام للغات السامية" وأتى بكثير من الأمثلة التى تؤيده وتبين تشابه كثير من أصوات الحاكاة الأساسية فى الفصيلتين السامية والهندية الأوربية .

وقد نحا هذا النحو العلامة أحمد فارس الشدياق فى كتابه "سر الليال فى القلب والإبدال" فاستدل على صحة هذا المذهب بأمثلة لا تكاد تحصى .

وإننا مع تقديرنا لهذا المذهب واعتدادنا بما فيه من مزايا نرى أنه فى الوقت نفسه قاصر لا يبين لنا السبب فى نشأة كثير من الأصول اللغوية ، وبخاصة ما يدل منها على معان مجردة كمعنى التضاد والتناقض ومعنى استحالة اجتماع الضدين فى موضوع واحد فى وقت واحد ، ومعنى استحالة رفع النقيضين عن شئ واحد فى وقت واحد وهكذا .

هذا هو المبدأ الأول . أما المبدأ الثانى وهو أن الأصول اللغوية كانت فى أول أمرها ثنائية الحروف يتكون كل منها من مقطع واحد مغلق — فقد أفاض فى شرحه كثير من المتقدمين والمتأخرين من علماء اللغات الآرية أو الهندية الأوربية وعلماء اللغات السامية .

وفى مقدمة الفريق الثانى من علماء العربية أبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى (٣٩٥ هـ) (١٠٠٤ م) فمن يقرأ معجمه "مقاييس اللغة" يعتقد أنه من أصحاب هذا المذهب على الرغم من أنه لم يشرحه ولم يبد فيه رأيا صريحا .

ومن معتنق هذا المذهب من علماء العبرية مناحم بن يعقوب بن سيروق القرطبى الذى

---

(1) الخصائص ٤٤ — ٤٥ ج ١

ظهر أمره فى القرن العاشر الميلادى ، وعاصر النهضة اللغــوية التى بلغت ذروتها إذ ذاك فى الشرق والغرب .

كان مناحم هذا من أشهر علماء العبرية والعربية من يهود الأندلس الذين كانت بينهم وبين علماء العربية فى الشرق والغرب صلة وثيقة وتأثروا إلى حد بعيد جدا بالثقافة الإسلامية التى كانت لها الزعامة فى العصور الوسطى .

ومما لا شك فيه أن ابن سيروق كان يجيد العربية . يدل على ذلك معجمه الكبير المسمى (סֵפֶר מְנַחֵם كتاب مناحم) أو ספר המחברת (كتاب المعجم) أو ספר אִגָּרוֹן = (كتاب التفسير) وهو معجم عبرى عربى، أى أنه يشرح الألفاظ العبرية بعبارات عربية مكتوبة بالحروف العبرية كما كانت عادة مؤلفى اليهود فى ذلك العصر .

يقول مؤرخو اللغة العبرية إنه قسم معجمه هذا أربعة وعشرين بابا يفعل لكل حرف من حروف العبرية بابا خاصا ، وتحدث فى مقدمة كل باب عن خواص الحرف وعما يدل عليه من المعانى الأساسية،وقرر أن بكل مادة ثلاثية حرفا أساسيا أو حرفين على الأكثر ، وأن هذا الحرف أو هــذين الحرفين يشيران إلى المعنى الأساسى الذى تفيده المــادة ، وأنه ليس لباقى المــادة إلا وظيفــة تكيلية ، وبخاصة أحرف العلة والنون واللام .

وما إن ظهر معجمه الذى يتضمن مبادئه الحديثة حتى تصدى له فريق من علماء العبرية بالنقد والتجريح ، ولم يلبث تلاميذه وأنصاره أن تصدوا للرد على تلك المطاعن . وقامت بين الفريقين حرب شعواء انتهت بتغلب الفريق المعارض لمناحم وأتباعه .

وقد تزعم حركة المعــارضة دوناش بن لبرط اللاوى الفاسى ثم القرطبى (٣٠٨ — ٣٧٠هـ) — (٩٢٠ — ٩٨٠م)من أئمة نحاة العبرية فى ذلك العصر . وكان يهودا بن داود بن حيوج الذى يســميه العرب يهودا أبو زكريا يحيى الفاسى (توفى سنة ٣٩١ هـ — ١٠٠٠ م) من أنصار مناحم فى أول الأمر ، ولكنه انضم فيما بعد إلى المعسكر الآخر وظهر أمره حتى صــار زعيم المعارضين . ويحكى المؤرخون أنه أخذ مبدأ ثلاثية الأصول اللغوية عن علماء العربية،وأنه جاهد فى سبيل تأييده حتى أصبح المبدأ المقرر الذى اعتنقه علماء العبرية من بعده .

وكان نجاح ابن حيوج فى بسط نظريته وما ترتب عليهــا من بحوث سببا فى التنويه بشأنه على ألسنة علمــاء العبرية وأقلامهم فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر بعد الميلاد،فقد قال عنه إبراهيم بن داود المؤرخ فى كتابه " الرواية والتقاليد " أن يهودا بن داود بن حيوج الفاسى أعاد اللغة المقدسة إلى صفائها بعــد أن كانت قد نسيت فى عهد التشتت .

وقال عنه ابن عزرا النحوى فى كتابه عن علماء العبرية إنه أعلم علماء العبرية وزعيم كل من سبقوه وأقدرهم على التعمق فى التفكير "وقال عنه فى كتابه שְׂפַת הַבְּרוּרָה = لغة نقية : اعلم أن جميع القدماء من علماء اللغة قــد ظنوا أن

المادة الأصلية للفعل יָרַד (١) هى רד والفعل יָשַׁב (٢) هى שב والفعل מָשְׁחָה (٣) هى מש لا غير . والفعل נָגַע (٤) هى נג ، وللفعل נָטָה (٥) هى ט وللفعل נָזָה (٦) هى ז .

" كانت هذه هى نظرية ابن قرش وابن سروق وقد استيقظ ابن سروق وحده من غفلة الجهل ثم فتح الله على يهودا ابن داود (ابن حيوج) فرأى أن حروف اللين كانت ناقصة فأضافها "

وقد عده القمحى مؤسس الفيلولوجيا العبرية ، وقال عنه فى مقدمة كتابه " المكلال " : وكان زعيم علماء اللغة هو يهودا المسمى ابن حيوج الذى وجد اللغة العبرية تسلك فى عصره طريقا معوجا .

هذه عبارات تدل فى جملتها على ما كان لابن حيوج من أثر فى إبطال المذهب الثنائى وإقامة صرح المذهب الثلاثى متأثرا فى ذلك — كما يبدو — بعلماء العربية .

وقد بلغ المذهب الثلاثى فى الأصول اللغوية العبرية ذروته على يد أشهر نحاة اليهود فى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، ذلكم هو ابن جناح الذى يسميه العرب : أبا الوليد مروان بن جناح القرطبى ٣٧٥ — ٤٢١ هـ (٩٨٥ — ١٠٣٠ م) .

(١) نزل
(٢) جلس
(٣) مسح
(٤) لمس — ضرب — لطم — وصل
(٥) مد — امتد
(٦) رش

ولم ينقل إلينا التاريخ شيئا عن البحث فى هذا الموضوع خلال الفترة الأخيرة من القرون الوسطى ، والفترة الأولى من العصر الحديث . وجاء القرن التاسع عشر فنهضت البحوث اللغوية متأثرة بالنهضة العلمية العامة ، وأقبل المستشرقون على دراسة اللغات السامية دراسة استيعاب ومقارنة ، وظفر هذا البحث بعناية طائفة من العلماء معظمهم من الألمان مثل : جزينس وفورست وفيلى و بروكلمان ونولدكه .

ومنهم بعض علماء اليهود مثل : جورج ليفنسون ، وسالومن ماندلكرن ، وإسحاق ليفينسون ، وجوشون شتانبرج .

وفريق من الفرنسيين مثل : رينان ، وكازه .

وقد اقتفى آثار هؤلاء بعض الشرقيين المعاصرين . فى مقدمتهم أحمد فارس الشدياق ، وجورج زيدان ، والأب أنستاس الكرملى .

وقد حاول الأب مرمرجى الدومنكى تطبيق هذه النظرية تطبيقا عمليا دون أن يفيض فى شرحها .

يقول جزينس فى شرح هذا المبدإ ما خلاصته بشىء من التصرف :

" إن ثلاثية الأصول اللغوية فى الفعل والاسم تلتزم فى دقة واطراد فى العبرية وفى اللغات السامية

الأخرى بوجه عام . لدرجة أن اللغة في بعض الحالات تصطنع طرائق معينة للاحتفاظ بثلاثية الأصول ذات المقطعين ولو بصفة ظاهرية . وذلك نحو שֶׁבֶת في العبرية وهو مصدر יָשַׁב بمعنى جلس ، ونحو عدة في العربية وهو مصدر وعد ، وصلة مصدر وصل وثقة مصدر وثق . ونرى هذه الظاهرة في بعض الأسماء أيضا وذلك نحو أب אָב وأخ و אָח في العبرية والعربية وكذلك אֵם في العبرية فهذه أسماء يبدو لأول وهلة أنها ثنائية الأحرف أحادية المقاطع ، ولكنها تعد ثلاثية الأحرف حذف حرفها الثالث الذي يرد عند الإضافة إلى الضمائر ما عدا ياء المتكلم كما هو متبع في الأسماء الخمسة أو الستة في العربية أو عند الإضافة إلى أي ضمير كما في كلمة אֵם أم في العبرية .

على أننا نرى من جهة أخرى أن كثيرا من الأصول الثلاثية يمكن ردها إلى أصول ثنائية يمكن أن نسمي جذورا بالمعنى الاصطلاحي في علم النبات ؛ إذ أن كل جذر يعد منشأ لكثير من الجذوع الثلاثية التي تفيد معاني يتحقق في كل منها المعنى الأساسي الذي يفيده الجذر مع تعديل طفيف . ومع أن هذه الجذور الثنائية لا يمكن النطق بها لأن كلا منها يتكون نظريا من حرفين ساكنين فقد جرت العادة بأن يحرك أولهما بالفتحة وبأن توضع فوق الجذر علامة الجذر التي تستعمل في الحساب وهي √‾ وذلك نحو √כר في العبرية الذي يعد جذرا أو أصلا ثنائيا للجذوع : אכר و כור و כָּרָה و כָּרַר التي يفيد كل منها معنى الحفر أو الشق .

ويمكن أن يقال على وجه العموم إن الجذر يعرف على وجه التأكيد إذا كان أحد أحرف الجذع حرفا معتلا . أو كان الجذع مضعف العين . فالجذوع : דָּכָה و דָּכָא و דוּךְ و דָּכַךְ ، يتضمن كل منها معنى الدك أو الكسر ، ومن ثم يبدو أن جذرها أو مادتها الثنائية هي : √דך

ويزيد رينان هذا المبدأ وضوحا إذ يقول ما مؤداه بشيء من التصرف أيضا : " نحن نعلم أن أصول جميع الأفعال من اللغات السامية في أوضاعها الحالية ثلاثية الأحرف . أما العدد القليل من الأصول الرباعية التي نجدها في العربية والعبرية والسريانية فليست أصولا حقيقية ، إنها صيغ مشتقة أو مركبة تعودنا أن نعدها صيغا أصلية غير مركبة .

على أن الأصول الثلاثية الأحرف لا تمثل المرحلة النهائية من مراحل التحليل ، إذ الواقع أن من بين هذه الأصول الثلاثية أنواعا من الأفعال تعد ثنائية ولا تعد ثلاثية إلا لاعتبارات صرفية ، تلك هي الأفعال المضعفة والمعتلة التي لا يكون فيها لتكرار الحرف الثاني أو لإضافة حرف العلة تأثير يذكر في تغيير المعنى الأساسي الذي يفيده الأصل الثنائي ، وذلك نحو ند فإنه أصل ثنائي يفيد معنى الحركة أو الابتعاد ، سواء ضعف ثانية فقيل ندّ أو مد أوله فقيل ناد أي تحرك أو تمايل من النعاس ، ومنه تنادد الغصن أي تحرك . أو مد ثانيه فقيل ندا يقال ندا الشيء بمعنى تفرق . والإبل النوادى "أي الشوارد" .

وإذا نظرنا في الأفعال الثلاثية المركبة من حروف صحيحة وجدنا أن ثلاثيتها قابلة للبحث

فى ضوء التحليل، ذلك أننا نجد فى جميع الحالات تقريبا أن أحد الأحرف الثلاثة أضعف من الآخرين ، وأنه لا يحدث فى المعنى الأساسى إلا تعديلا طفيفا .

ومن ثم يبدو أن الأصل السامى الثلاثى يمكن رجعه (فى الغالب) إلى حرفين أساسيين أضيف إليهما ثالث ليس له فى تغيير المعنى الأساسى إلا تأثير طفيف ، وأن الأصول الثنائية السامية هى العناصر البدائية التى لا تقبل النقص .

" يضاف إلى ذلك أن معظم تلك الأصول الثنائيـــة نطق بها الإنسان فى أول الأمر حاكيا أصوات الحيوان أو أصوات الظواهر الطبيعية أو الأصوات التى تسمع عند مزاولة الأعمال التى تدل عليها الأصول " .

هذه هى خلاصة المبدأ الثانى من مبادئ المذهب الثنائى فى الأصول اللغوية السامية ، وقد طبقه تطبيقا عمليا فورست فى معجمه الكبير العبرى الإنجليزى، وشرحه شرحا وافيا مؤيدا بالأمثلة جزينس فى كتابه: قواعد اللغة العبرية . وكذلك رينان فى كتابه: "التاريخ العام للغات السامية" وقد قلنا فى تلخيص هذا المبدأ : إن سنة التطور والنمو المطرد تعززها التجارب والمشاهدات المتجددة هى العامل الفعال فى تعديل المادة الثنائية من جهة وفى جعلها مركبة من ثلاثة أحرف من جهة أخرى .

ومعنى ذلك أن هذا المبدأ ذو شقين: الأول إن المادة الثنائية الأولى يعتريها شيء من التغيير بطريق الاشتقاق الذى اقترحت أن يسمى : الاشتقاق الأولى . والثانى إضافة حرف ثالث إلى المادة الثنائية لتصير ثلاثية بطريق الاشتقاق، الذى اقترحت أن يطلق عليه اسم الاشتقاق الأكبر.

أما الشق الثانى فسأتحدث عنه بالتفصيل عند الكلام على المبدأ الرابع لشدة اتصاله به .

وأما الشق الأول فأكتفى فى توضيحه بالأصل الثنائى فى العبرية קץ أو قص فى العربية، وهو بدون أدنى شك أصل حكائى أى يحاكى الصوت الذى يحدث عند القص مثلا ويفيد معنى عاما هو القطع أو الفصل .

فإذا قلبنا الصاد طاء نشأ قط ، وإذا قلبناها ضادا ينشأ قض، و بقلبها تاء ينشأ قت ، و بقلبها دالا ينشأ قد ، و بقلبها ذالا ينشأ قذ .

و بتخفيف الحرفين الأساسيين معا ينشأ جث وجد وجذ وجز وكس .

فهذه عشرة أصول ثنائية اشتقت اشتقاقا أوليا من أصل ثنائى واحد هو قص، وكل منها يفيد معنى القطع .

وســـترى فيما يلى أن كلا من هذه الأصول الثنائية المشتقة وكذلك أصلها يشتق منه أصول ثلاثية، كثيرة بطرق مختلفة وأن كل مادة فرعية تفيد المعنى الأساسى مع تعديل طفيف، فالمادة الأصلية قص مثلا تفيد معنى القطع بصوت أعلى مما تفيده المادة قد ، وكذلك المادة قرض[1] مثلا تفيد معنى الفصل بصوت أعلى مما تفيده مادة قرس[2] ، وهكذا .

و بعد ، فهل يسوغ لنا أن نفرض أنه قد أتى على اللغات السامية حين من الدهر كانت

(١) قرض = قطع ، شرق ، شق ، أصاب القريحة ، والقرض أو القراض الحديد يقطع به الحديد أو الفضة .
(٢) قرس القريسة كسر حقها ، وكل قتل قرس ، والقريس = القتيل .

كل منها مكونة من مواد ثنائية لم تتوارد عليها التغيرات الصرفية أو النحوية ، وأن الإسناد أو الوصف مثلا كان يعبر عنه بوضع مادة بجوار أخرى بطريقة معينة ، وأن مكملات الجملة كانت مواد ثنائية تضم إلى ركنيها الأساسيين ؟

وبعبارة أخرى : هل كانت اللغة السامية كاللغة الصينية وغيرها من اللغات الإلصاقية التي يعبر فيها عن المعاني بوضع المواد بعضها بجوار بعض بطرائق معينة ؟

ولتوضيح ذلك أقول : إن الكلمة الصينية تتكون من مقطع واحد مفتوح أو مغلق يدل على معنى عام يحدده السياق ، وذلك نحو كلمة Ta ت فقد تفيد معنى عظيم أو كبير أو يعظم أو عظم . والطريقة التي تتبع في ترتيب الألفاظ تحدد المعنى المراد . فإذا قيل ت كوك ta kuok كان المعنى : الدولة العظيمة ، وإذا عكسنا الترتيب وقلنا كوك تا ، كان المعنى : الدولة عظيمة .

وإذا أريد التعبير عن الجمع أضيفت كلمة أخرى تفيد الكثرة مثل ك ki بمعنى بعض أو صو Su بمعنى عدد ؛ فيقال كوك ك بمعنى بعض دول وكوك صو بمعنى دول متعددة .

والكلمة تسى tsi تفيد معنى طفل أو طفلة : child والكلمة نيو niu تفيد معنى طفلة أو بنت . فإذا قيل : تسى نيو كان المعنى : بنون و بنات . أما إذا عكس الترتيب فقيل : نيو تسى فإن المعنى يتغير و يكون : طفل أنثى أو طفلة .

ويعبر عن الإضافة بكلمة مى ti بمعنى صاحب أو صاحبة وتوضع بين المضاف والمضاف إليه على أن يذكر المضاف إليه أولا . مثال ذلك : الكلمة من min تفيد معنى شعب والكلمة لك lik تفيد معنى قوة أو قوى ؛ فإذا قيل من لك كان المعنى إما الشعب قوى ، وإما قوة الشعب ، فإذا أريد تحديد معنى الإضافة قيل من مى لك .

والكلمة الواحدة قد تستعمل بمعنى الفعل أو بمعنى الاسم مثال ذلك :

الكلمة ونج wang معناها ملك أو حاكم والكلمة پاو pao تفيد معنى يحمى أو حماية . فإذا قيل ونج پاو من كان المعنى الحاكم يحمى الشعب ، أما إذا قيل ونج مى پاو من يو " = تشبه = you " فو (أب = fu) سى پاو تسى فإن المعنى يكون حماية الحاكم الشعب تشبه حماية الأب لأطفاله .

هذه أمثلة تبين بصورة إجمالية الطريقة البدائية التى تتبع فى التعبير عن المعانى المختلفة وأعنى بها الطريقة الإلصاقية أى وضع الأصول اللغوية بعضها بجوار بعض بترتيب معين للدلالة على المعانى . ترى هل كانت اللغة السامية فى بداية أمرها تنهج هذا المنهج أو نحوه ثم انتقلت من مرحلة ثنائية المواد إلى المرحلة الثلاثية بالتدريج خلال آلاف من السنين ؟

إن مبدأ التطور الطبيعى يجعلنا نميل إلى الإجابة عن هذا السؤال بالإثبات ، على الرغم من أنه ليس لدينا من الوثائق التاريخية ما يؤيد هذا الفرض . وقد آمن بهذا التطور معظم الباحثين

فى تاريخ اللغات الهندية الأوربية وفى مقدمتهم بب Bopp من القدماء و ود Wood وهوتنى Whitney و جيرسبيرسين Jerspersen من المتأخرين .

فهؤلاء ومن تبعهم يرجحون أن المواد الأصلية الهندية الأوربية كانت فى عصر ما كلمات مستقلة ، وأنها كانت مواد قليلة محدودة بحدود المعانى البدائية التى أريد التعبير عنها ، وأنها كانت تستعمل بعضها بجوار بعض على نحو ما هو متبع فى اللغة الصينية . أما فيما يختص باللغات السامية فقد بحث رينان فى هذا الموضوع فقال ما خلاصته :

من الممكن أن نقول إن مرحلة التكوين الثنائى لمواد اللغة السامية لابد أن تكون من الوجهة المنطقية سابقة لمرحلة التكوين الثلاثى التى وصلت إليها الآن .

ولكنه يسأل : " هل من الصواب أن نفرض أن هذه الظاهرة حدثت بالفعل ؟ ويجيب : إن العقل يتردد فى الجواب عن هذا السؤال ، إذ كيف يمكن أن نتصور الانتقال من المرحلة الثنائية إلى المرحلة الثلاثية ، وأن نعرف السبب فى هذا التطور أو نحدد العصر الذى تم فيه " ؟

" هل كان ذلك كما يقول بعض الباحثين من قدامى اللغويين حين تعددت المعانى وشعر الإنسان بالحاجة إلى التعبير عن معان أدق وأوضح من المعانى العامة التى تفيدها الأصول الثنائية ؟ أم أن ذلك حدث — كما يقول جزينس فى العصر الذى ظهرت فيه الكتابة ؟

وهل تم الانتقال إلى الأوضاع الخاضعة للقوانين الصرفية والنحوية على سبيل الاتفاق والمصادفة ؟ "

وبعد أن يسهب رينان فى بحثه يقرر أنه لا يستطيع أحد أن يأتى بشاهد واحد على هذا التطور ، ويبدى رأيه فى الموضوع فى إيجاز ، فيقول ما خلاصته : إن المواد الثنائية والثلاثية استعملتا معا جنبا إلى جنب ، وأن المواد الثلاثية ليست إلا المواد الثنائية فى صيغ أخرى دعت الضرورة إلى استعمالها بطريق التدرج الطبيعى المستمر .

وفى الحق إن هذا رأى سديد تطمئن إليه النفس ويتمشى مع طبائع الأشياء ، ومن الممكن أن نفهم فى ضوئه السبب فى نشأة الأفعال والأسماء التى تزيد أصولها على ثلاثة أحرف . وما اللغة إلا ظاهرة اجتماعية . ولسنا نعرف أن ظاهرة اجتماعية ما قد انتقلت طفرة من حالة بدائية ناقصة إلى حالة راقية كاملة .

ننتقل بعد هذا إلى البحث فى المبدإ الثالث وهو :

طبيعة الحرفين اللذين تتكون منهما المادة الثنائية .

يقول جزينس : إن الغالب فى اللغة العربية أن يكون هذان الحرفان معا شديدين أو رخوين أو متوسطين بين الرخاوة والشدة . ومن رأيه ورأى غيره من الفرنجة أن الحروف الشديدة هى : أ — ط — ص — ق — م — ن

وأن الحروف الرخوة هى : ب — ج — د — و — ز — ى .

وأن الحروف المتوسطة هى : ه — ح — ك — ل — س — ع — ف — ر — ش — ت .

فمن المواد المركبة من حرفين شديدين : קץ = قص و קט = قط و נק = نق و מץ = مص .

ومن المواد المركبة من حرفين رخوين בז = بز و גד = جد .

ومن المواد المركبة من حرفين متوسطين כס = كس و כת = كت و פר = فر .

ولذا لايوجد فى العبرية مواد على نمط כץ = كص أو גץ = جص أو גט = جط أو קז = قز ، لأن أحد الحرفين فى كل منها شديد والآخر رخو أو متوسط .

هذا فى العبرية ، أما فى العربية فقد تبين لى بعد البحث أن هذه قاعدة تكاد تكون مطردة قلما يعتريها شذوذ كما فى بط الجرح شقه ومنه : المبط أى المبضع ، وفق الجراب شقه .

وقد يؤيد هـذا الرأى ماذكره الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل [1] فقد قال :

١ — إن الجيم والقاف لم يجتمعا فى كلمة واحدة إلا أن تكون معربة كجردقة أو حكاية صوت كجلنباق لصوت الباب — والجيم من الحروف الرخوة والقاف من الحروف الشديدة

٢ — لاتجتمع الصاد والجيم فى كلام العرب فالجص والصنجة والصولجان معربة والإجاص دخيل والصاد شديدة والجيم رخوة .

٣ — لاتجتمع النون والراء بعدها فنرجس ونورج معربتان . والنون شديدة والراء رخوة .

٤ — لاتجتمع زاى بعد دال فهندز وهندازة معربتان ؛ ولذا قالوا : مهندس والدال من الحروف الشديدة فى رأى مؤلفى العربية [2] والزاى من الحروف المتوسطة بين الرخاوة والشدة فى رأى مؤلفى العربية ومن الحروف الرخوة فى رأى الفرنجة .

٥ — لايركب لفظ عربى من باء وسين وتاء وبست ليلة لفظ أعجمى والباء شديدة عند العرب ومتوسـطة عند الفرنجة والسين رخوة عند العرب متوسطة عند الفرنجة والتاء شديدة عند العرب متوسطة عند الفرنجة .

٦ — لايجتمع فى العربية سين وزاى ولا سين وذال إلا فى كلمة معربة كساذج وسذاب معرب سداب اسم بقلة . والسين متوسطة عند الفرنجة والزاى أو الذال رخوة عندهم .

٧ — لاتجتمع الطاء والجيم فطاجن معربة ، والطاء شديدة باتفاق والجيم رخوة عند الفرنجة .

٨ — لاتجتمع الصاد والطاء فى كلمة عربية فالاصطبة وهى المشاقة معربة أصلى . والمشاقة : ما سقط من الشعر عند المشط .

---

(١) ص ٦ — ٧

(٢) ذكر المرحوم حفنى ناصف أن الحروف الشديدة يجمعها : أجدك قطبت ، وأن المتوسطة يجمعها : لم نرع ، وأن الرخوة ما عدا هذه يجمعها : خذث ظ غش زس حص ضف — يسوخ .
راجع كتابه : حياة اللغة العربية ١ — ٢٦

٩ — تقـــل من الحكم أنه ليس فى كلام العرب شين بعد لام .

ويرى جزينس أن المواد الأصلية المكونة من حروف شديدة هى على وجه العموم أقدم من المكونة من حروف رخوة أومتوسطة، ومن ثم يرجح أن الأخيرة نشأت عن الأولى بتخفيف الحروف الشديدة .

وذلك كما فى פזר = فزر و בזר = بزر وفى צחק = ضحق و שחק = سحق وفى צעק = صعق و זעק = زعق وفى עלץ = علص و עלז علز و עלס = علس وفى רקק = رقق רכך = ركك .

وقياسا على ذلك يمكن أن نقول إن فق بمعنى الفتح فى العربيـــة أصل أخذ منه : بق يقال بق الجراب أى شقه ، و بك بمعنى خرق أو فسخ أو فرق ثم فتق بمعنى شق . وفلق بمعنى فرق ، ومن بك بتك بمعنى قطع كبتك (وليبتكن آذان الأنعام) ومثل ذلك مق — شق يقال مق الطلعة شقها للإبار . فمن الممكن عده أصلا أخذ منه مشق وهو السرعة فى الطعن والضرب ، ثم المشق وهو الكسر ثم البشق وهو الضرب بالعصا .

هذا هو ملخص ماقاله جزينس عن المبدإ الثالث . ومنه نعلم أنه مبدأ عام لاقاعدة مطردة ليس لها شواذ .

ولست أدرى إلى أى شئ استند فى ترجيحه أن المواد المركبة من حروف شديدة أسبق من المركبة من حروف رخوة أومتوسطة ، هل استند فى ذلك إلى دليل تاريخى ؟ أم أنه يرى أن سنة التطور تقضى بالانتقال من الصعب إلى السهل أم أنه يعتقد أن الأصوات القوية هى التى لفتت نظر الإنسان فى أول الأمر فحا كاها بحروف شديدة مثلهـــا ثم حا كى الأصوات الخفيفة التى هى أقل من الأولى شأنا بحروف رخوة أو متوسطة ؟

إنه لو كان لديه دليـــل تاريخى ما تردد فى الإتيان به . وإننا إذا قسنا تطور لغة الإنسان على تطور لغة الأطفال أنكرنا التعليل الثانى ؛ لأننا نلاحظ أن الطفل يحاول النطق بالمقاطع الخفيفة أولا .

فلم يبق لدينا إلا التعليل الثالث . وهو تعليل قد يقبله العقل وتعززه ملاحظتنا للطفل ، فإنه فى بداية تعلمه التكلم يحاول التعبير عما يشتد تأثيره فى نفسه ، فيحاول أن ينطق بكلمة أم أو أب ، ثم يحاول محاكاة أصوات الحيوانات التى تلفت إليهـا ملاحظته كالكلب والقط والغراب .

نشرع بعد ذلك فى الحديث عن المبدإ الرابع وهو فى نظرى أهم المبادئ التى ينطوى عليها المذهب الثنائى فى الأصول اللغوية ذلكم هو المبدأ الخاص بطبيعة الحرف الثالث .

من النتائج القيمة التى وصل إليهـا جزينس أن تنمية المـادة الثنائية وجعلها ثلاثية يتم بواحدة من خمس طرق :

الأولى — تضعيف الحرف الثانى .

الثانية — إضافة حرف علة إلى أول المـادة أو وسطها أو آخرها .

الثالثة — إضافة حرف من حروف الذلاقة إلى المادة الثنائية .

الرابعة — أن يضاف إلى هذه المادة أحد أحرف الحلق .

الخامسة — أن يضاف إليها أحد أحرف الصفير .

أما التضعيف فهو الطريق الطبيعي الأول لتنمية المادة الثنائية ، وقد قال بهذا الرأي أحمد فارس الشدياق في كتابه سر الليال في القلب والإبدال [١] وقد ذكر في تعليل ذلك ستة أسباب :

الأول — أن معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أو صفة ، وأن حكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف نحو : دب — ودق ، وهز وصف — وقر .

الثاني — أن الفعل في الأصل كالاسم في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله ؛ فإذا اتصل بفاعله فتح . وتقرير ذلك أن الواضع لما وضع قد ودق ودف لم يقصد بها في أول الأمر أن تكون فعلا ولا اسما بل مجرد حكاية لصوت توهمه بقطع النظر عن شيء آخر . فلما وصل دق بفاعله قال : دقَّ الرجل ، ولما أراد تخصيصه بأن يكون اسما قال : دقُّ الرجل ولهذا كثيرا ما ترى صيغة الاسم والفعل في هذا الباب واحدة .

الثالث — أن اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شيء منها تاما كاملا من أول وهلة ولكن على التدريج فالأحرى أن تقول إن الفعل السالم جاء آخر الأفعال ، أما الأجوف فإنه غالبا ما يأتي على عقب المضاعف كطب وطاب وضر وضار وصر وصار أي صوت وجب وجاب وصب وصاب وصر وصار . وأما الناقص فإنه صدى غيره من الأفعال وكأنه نزع من القطعة (الترخيم) لغة لبعض العرب نحو همر وهمى ووجب ووجا أي خاف وعق وعا . وشجب وشجا أي حزن وتجع وتجى والأسف والأسى .

الرابع — أن حكم ترتيب المزيد على المضاعف لا يكاد يختلف . فقلما ترى للمضاعف معنى إلا ورأيت في مزيده مثله أو ما يقارب به . والمراد بالمزيد هنا ما يكون الحرف الثالث فيه أو لامه غير عينه ، وذكر لذلك أمثلة كثيرة تبلغ مبلغ وخمسين منها : صر وصرا أي صاح ، وأل وألب أي أسرع وسل وسلب وكف وكفت أي صرف ، وسل وسلت ، ولب ولبث ، وضب وضبث أي قبض ، وكد وكدح ، ومن ومتع ، ونب ونبح ، وشم وشمخ أي تكبر ، وبخ وباخ ، أو بخا أي فتر .

الخامس — أن زيادة حرف على المضاعف اليق بحكمة الواضع في التفنن من نقصه إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والاختصار في الأفعال ليس من مذهب العرب كما يدل على ذلك الأفعال المزيدة . ودليل آخر وهو أنهم يشبعون الفتحة في آخر الفعل فيتولد منها ألف كما في دحب ودحبى وسلق وسلقى ، وقس على ذلك زيادة الهاء في هزع الجبان والنون في ضيفن والراء في بحتر وبطر .

(١) ص ٢٢ — ٢٧

السادس — أننا نجد أفعالا مجهولة الأصل وأصلها من المضاعف معلوم وذلك نحو : امتخر العظم أى استخرج مخه فهو لابد أن يكون من امتخ إذ لم يجىء المخر بمعنى المخ . وقس على ذلك تمخى العظم بمعنى تمخخه .

هذه هى خلاصة الأسباب التى ذكرها أحمد الشدياق فى بيان أن التضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية المادة الثنائية وجعلها ثلاثية . وهى فى نظرى أسباب كافية فى التدليل على صحة رأيه الذى يوافق رأى بعض الفرنجة المستشرقين .

وأما الطريقة الثانية وهى إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو وسطها أو آخرها فقد أشار إليها العلامة الشدياق أيضا حيث قال : "إن الأجوف غالبا ما يأتى على عقب المضاعف كطب وطاب وضر وضار وصر وصار أى صوت وجب وجاب وصب وصاب ومر ومار أى جرى أو تحرك . ومن ذلك :

(أ) فى العبرية דָּךְ יָדֹךְ بمعنى يضرب ونَد יָנוּד أى يتحرك و פָּג יָפוּג أى يتفتت و צָר יָצוּר أى يضيق صدره أو يتضرر .

(ب) وفى العربية قاص من قص : يقال قاصت السن تقيص قيصا أى سقطت من أصلها وانفصلت عنه ، وقاط من قط يقاط : قاطت الغنم أى تفرقت وصارت قطعانا ، ومنه القوط وهو القطيع من الغنم ، وحاس من الحس وهو القتل أو نفض التراب عن الدابة بالمحسة يقال حاس يحوس حوسا وهو الكشط فى سلخ الاهاب أولا فأولا . والجيش الجند أو السائرون لحرب أو غيرها ومثله الجشة (بفتح الجيم وضمها) وهى جماعة الناس يقبلون معا ونهضة القوم . وقاض البناء هدمه كقوضه والقيض الشق والانشقاق وهو قريب فى معناه من قاض الشىء أى دقه . والكسوة قطعة من الثياب كأنها من كس بمعنى قطع كما أن الجبة من جب بمعنى قطع . وغامت السماء كأغمت والغيم والغمام السحاب ، والموس والمس القطع وخاصة بحيث يدق عنقه والخص الشدخ . ولاق عينه ولقها ضربها ، وساح الماء وسح أى سال . وغيره كثير .

ويبدو لى أن السبب فى العدول عن المضاعف الى الأجوف هو الرغبة فى التخلص من تشديد عين الفعل بعد حركة قائمة لتشديد كما يفهم من اسمه — ثقيل ؛ ولذا لا يكاد يوجد فى اللغات الهندية الأوربية . وفى اللغة العبرية وغيرها من اللغات السامية الأخرى لا تشدد أحرف الحلق ولا الراء ويعوض عن ذلك بمد الحركة السابقة فيقال مثلا בָּרֵךְ أى بارك بدلا من בָּרֵּךְ و רָעִים أى أشرار بدلا من רַעִּים .

وقد يكون التخلص من التشديد هو السبب فى مد الحرف الذى بدلا من تشديده فيتأتى الناقص ، ونجد هذه الظاهرة أحيانا فى اللغة الفارسية وذلك كما فى الحابى بدلا من الحاج .

ويذكر أحمد الشدياق سببا آخر لنشأة الناقص وذلك حيث يقول :

وأما الناقص فإنه صدى غيره من الأفعال وكأنه نوع من القطعة (الترخيم) لغة لبعض العرب كما في همر وهمى ورجب ورجا أى خاف وعق وعا وتجب وتجا أى حزن وتجم وتجى .

ولكن هذا لا يبين السبب في العدول عن المضاعف إلى الناقص في المادة الواحدة، وإنما يبين السبب في استعمال الناقص بدلا من الصحيح الآخر كما يظهر من الأمثلة التى ذكرها الشدياق وتجاوز مائتين[1] .

وتمثل التقارب الشديد بين معنى المضاعف والناقص بما يأتى :

(ا) فى العبرية קץ — קָצָה أى قطع و נד — נָדָה أى تحرك و בר — בָּרָה أى اختار و דק — דָּקָה أى ضرب .

(ب) فى العربية : قصا عنه قصوا أى بعد وانفصل كقص ، وقصى منه أى كسرها ومنه قصّى الأظفار أى قصها . وقل الجبال بمعنى قلاها وكبا بمعنى انكب ، وندا الشيء تفرق كند، ومدى البصر يفيد معنى المد أو الامتداد، وقضى فى الأمر أى حكم فيه برأى قاطع يفيد معنى القض ، وقضى بمعنى هلك أى انقطعت صلته بالحياة، وحمى الحديد كحم وطحا بمعنى طحّ أى بسط وبخا غضبه سكن كبخ وغمى عليه الخبر غم . وكى قطى مثل كم ، وكما جبن مثل كع وزفت الريح تزيف كزفت أى هبت ، ومطا ومط بمعنى ، ونطا يفيد معنى نط . وغذى وغذ أى سال ، وشظى وشظ فرق . ومحا ومح بمعنى .

وأما التقارب فى المعنى بين المضاعف والمثال أى ما فاؤه حرف علة فنمثل له بما يأتى :

الوقص القطع وهو قريب من القص ، والوهس الكسر كالهس ، وولق فلانا بالسيف طعنه به مثل لقه . والوخز الطعن بالرمح كالخز ووبط الجرح فتحه كبطه ، والأبد أصله الوبد وهو الزمن البعيد . ويفيد معنى البد أى البعد ، ولهذه المادة صلة بمادة مد فالباء والميم أختان لأنهما من أحرف الشفة .

ولقلب الواو ألفا أو العكس أمثلة كثيرة كالوكاف والإكاف ، والوكاء والإكاء ، ووامى وآمى ، وولف وألف ، وورخ وأرخ ، ورحد وأحد وو بد وأبد ، بمعنى غضب ، وتوخى وتأخى ، وواخى وآخى ، والوقية والأقية ، والوسادة والإسادة . والقاعدة العامة التى اتبعت فى تعريب الأسماء العبرية أن يستبدل بالياء التى فى أول الاسم همزة وذلك نحو اسرائيل بدلا من يسرءيل و إسحق

(١) ص ٢٨ — ٣١ من الكتاب نفسه

بدلا من يصحاق وإسماعيل بدلا من يشماعيل أما يعقوب فأبقيت فيه الياء تخلصا من اجتماع حرف حلق .

وأما الطريقة الثالثة فى تثليث المادة الثنائية وهى إضافة أحد أحرف الذلاقة إليها فتتبع فى حالات كثيرة جدا .

وأحرف الذلاقة خمسة يجمعها (مربنفل) (أو فر من لب) وهى كما يقول الشهاب الخفاجى[1] : أخف الحروف. ولذا لايخلو الرباعى والخماسى منها إلا عسجد . فإذا وردت كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها شئ من حروف الذلاقة فاعلم أنها غير أصيلة فى العربية .

ويقول العلامة الشدياق[2] ومما يقضى بالعجب أنى وجدت باب النون معظمه فى باب اللام والميم وأنت خبير بما للعرب من إيثارها هذا الحرف (النون) حيث جعلته علامة للاعراب . ولتوكيد الأفعال ، وعلامة المثنى والجمع فيها وفى الأسماء ، وركنا من الضميرين أنا وأنت وأخواتهما . وأمرق الحروف وأصلها الراء ولذا كانت مواده من أغزر المواد وجاءت معانيها متنوعة . والباء والميم صنوان .

والباء والفاء والميم إخوة فهى من أحرف الشفة ومن خواص النون — بالإضافة إلى ما ذكره الشدياق — أنها تستعمل وحدها أومع غيرها أداة للنفى فى اللغات الهندية الأوربية وكذلك فى بعض اللغات السامية مثل إن النافية فى العربية و אין فى العبرية . وفى الفارسية تستعمل الميم مفتوحة للنهى ومكسورة ممدودة الدلالة على الاستمرار فى الماضى أو الحال .

وكل من اللام والميم ركن أساسى فى أدوات النفى فى العربية وهى : لا ولم ولما . وتنفى الأفعال فى العبرية بالحرف לא .

وتستعمل الباء فى الفارسية للدلالة على المستقبل القريب ولتوكيد الماضى والأمر .

وتوجد الميم فى الاسم الدال على الأم فى معظم اللغات ، وكذلك الباء أوما يقرب منها فى الاسم الدال على الأب ، ولسهولة النطق بهذين الحرفين كانا فى مقدمة ما ينطق به الطفل كأن يقول بابا وماما ونحوهما .

فلا عجب إذن أن نجد المادة الثنائية تثلث فى كثير من الحالات بأن يضاف اليها أحد هذه الأحرف الخمسة العظيمة الشأن . ومن الممكن التمثيل لذلك بشتى الأمثلة .

فمن قص ورد : قصم وقصر وقصب (ومنه القَصّابُ) وقصف وقصل (ومنه المقصلة) .

ومن قض : قضب وقضم .

ومن قط : قطم وقطر الماء والدمع نزل متقطعا . وقطر فلانا صرعه صرعة شديدة ، وقطب وقطف وقطل أى قطع .

ومن كس : كسم الشئ فته باليد وكسر . وكسب لذيره القوت كأنه يقتطعه له ، وكسف الشئ قطعه وكسل أى انقطع عن النشاط والجلد .

ومن جز : جزم وجزر وجزل ، ومنه الجزلة أى القطعة .

---

(١) ص ٧ من كتاب " شفاء الغليل "

(٢) ص ٢٧ من الكتاب نفسه

ومن قص : قصم وفصل ومن هد : هدم وهدر أى سقط . ومنه الهادر أى الساقط من الناس، وإهدار الدم إسقاطه من المحاسبة عليه. وهدب يهدب أى قطع وهدن يهدن قتل يقتل .

ومن أل : ألب أى أسرع ،ومن بت : بتر ومن جم : جمل، ومن رص رصف ومن سل : سلب ، ومن صد: صدم ، وصدف ومن لز : لزم ، ومن مط : مطل.

وأما الطريقة الرابعة وهى تثليث المادة الثنائية بإضافة واحد من أحرف الحلق إليها فلا تقل أثرا عن الطريقة الثالثة .

ويلوح لى أن أصل أحرف الحلق هو الهمزة، وأنها تنشأ من الوقف الفجائى على آخر الناقص وذلك بقطع النفس بغتة : وبذلك يصير المقطع المفتوح فى آخر الكلمة مقطعا مغلقا آخره همزة. ولعل هذا هو السر فى تسمية الهمزة قطعة .

وبيان ذلك أننا إذا حاولنا أن نقف وقفا فجائيا عند النطق بالفعل بذا أو خنا مثلا نقول : بذأ أو خنأ أى كف .

وكذلك عند الوقف عند آخر الاسم حشا فإننا نقول حشأ وهذا فى رأيى هو السبب فى أن كثيرا من الأفعال والأسماء الناقصة يساوى كل منها المهموز اللام فى معناه؛ وذلك كما فى بذا وبذأ، وخنا وخنأ ،وحسا وحسأ أى صلب، وجفا وجفأ أى صرع ،وحبى به وحبىء أولع ،وحكا العقدة وحكأها . وحجى وتحجىء أى تحجل ،وخنى الجذع وخناه أى قطعه ،وحى وحىء وضاهى وضاهأ وقرا

الشىء ، وقرأه جمعه ، ولكى به ولكأ لزم ، وطسى أتخم ،واستدفى، واستدفأ ، ورداه بحجر وردأه أى رماه ، وبرا الله الكون وبرأه خلقه وكذلك حشا المرأة وحشؤها، وحمها وحمؤها . والحفاية والحفاء السفينة الفارغة ، والضنو والضنء الولد والبكا والبكء نوع من النبات .

وعن الهمزة تنشأ العين كما فى بدأ وبدع وتتأ وتتع أى خرج أو برز ،وفقأ وفقع وجزأ وجزع.

وقد تحل الحاء محل العين كما فى تقع ونقح وبعض العامة يقولون يوم الأربح بدلا من يوم الأربع. ويقولون بتاحتى بدلا من بتاعتى .

والغين فى العربية قد تقابل العين فى غيرها من اللغات السامية كما فى غرب وעָרַב وغراب وעֹרֵב .

ومن القواعد المقررة فى اللغات السامية أن أحرف الحلق يحل بعضها محل بعض . ولا يتسع المقام لتمثيل لهذه القاعدة، وإنما يعنينا هنا أن نقول إنه مما لاشك فيه أن كثيرا من الأصول الثنائية تثلث بإضافة حرف من أحرف الحلق إليها . وذلك نحو :

الأصل الثنائى فق وهو يفيد معنى التفريق أو الفتح بصورة ما . يقال فق ماله أى فرقه ليفقه ، وفق الجراب شقه .

ومنه فقأ العين والبثرة ونحوهما بمعنى قلعها أو شقها أو خرقها والفقء نقر فى حجر . وفقح بمعنى فتح . يقال فقح الجرو أى فتح عينه أول

مايفتحها وهو صغير والتفقيح التفتيح وفى العبرية פָּקַח بمعنى مبصر . وفقع شق وانفقع انشق .

والأصل الثانى فل يفيد الثلم أو الشق بصورة ما يقال سيف مفلول أى مثلوم .

ومنه فلأ الشىء أفسده ، وفلمه شقه ، وفلح الأرض شقها وأعدها للزرع ، وفلغ رأسه شدخه كثلغ وثدغ .

أما فلق فيمكن أن يكون صورة أخرى لفلغ لما بين الغين والقاف من تقارب فى المخرج . ويمكن أن يكون من فق بزيادة حرف ذلاق فى الوسط . مثل فرق .

ومن فص فصع الرطبة أخرجها من قشرها أو عصرها . ويتصل بهذه المادة البصع وهو الخرق الضيق ثم البضع وهو القطع والشق .

ومن بك بمعنى قطع كبتك وبتّك : بكع أى قطع وبكأت الناقة انقطع لبنها أو كاد . ومن لك بمعنى ضرب لكأ ضرب أو صرع ولكع لسع .

وتوجد أزواج كثيرة من الأفعال يفيد كل منها معنى واحدا ، وأحد الفعلين فى كل زوج مضاعف والآخر حلق اللام نحو : بص وبصع سال ، وجم وجمع ، ورب وربع أقام ، ورد وردع ، وثم وثمغ تكبر . وصد وصدغ ، وصر وصرأ أى صرخ ، وقط وقطع ، وكد وكدح ، ومن ومنح وتب وتبح ، ونس ونسع أى ذهب .

وقد يكون من هذا الباب خزطعن وخزع قطع . ويقرب من خزع خرع أى شق . وكذلك جز وجزأ وجزع .

وأما أحرف الصفير فهى : السين والزاى والصاد . وهى على هذا الترتيب فى الخفة فأخفها أولها .

ويلحق بالسين الثاء وبالزاى الذال ، وكثيرا ماتحل الصاد فى العبرية محل الضاد أو الظاء فى العربية كما فى אֶרֶץ أرض و צֵל ـــ ظل .

وتضخم الزاى فينشأ الحرف "ژ" أحد الحروف الفارسية ويقرب منها الجيم المعطشة ثم الشين . وفى العامية تحل السين أو التاء محل الثاء ، والزاى أو الدال محل الذال كما فى : سابت ـــ ثابت وتوب ـــ ثوب ـــ وزهب أو دهب ـــ ذهب ودا ـــ ذا .

ويمكن تثليث المادة الثنائيـــة بإضافة أحد أحرف الصفير إليها . وذلك نحو :

(١) الأصل الثنائى : فر الذى يدل على الفصل أو التفريق أو القشر بصورة ما .

ومنه : فرس فريسته أى كسر عنقها ، وفرز وفرد وفرش وفرص بمعنى قطع أومزق أوشق ، ويتصل بفرص : فرض بمعنى حز ومنه المفرض وهو حديدة يحز بها والفرضة من النهر ثلمة يستقى منها .

وبقلب الفاء باء تنشأ المادة الثنائية بر ومنها برس والتبريس تليين الأرض بكحثها مثلا ، وبرز ؛ فالبروز يتضمن معنى من الانفصال ، وبرص ومنه التبريص وهو حلق الرأس ، وتبرص الأرض أى لم يدع فيها رعيا إلا رعاه .

وتفيد مادة פרש فى العبرية معنى قطع ومعنى فرش .

ولعل لكلمتى برش و برص بمعناهما المعروف علاقة بهذا الأصل الثانى لإفادتهما معنى الانتشار أو التخالف .

ويتصل بما سبق : برد الحديد يبرده ، وبرت أى قطع وفى العبرية בָּרַת أى قطع ، ومنه בְּרִית أى الميثاق أو العهد الذى يقطعه أو يأخذه الإنسان على نفسه ويسمى العهد القديم הַבְּרִית הַקְּדוּמָה والعهد الحديث בְּרִית חֲדָשָׁה .

(٢) الأصل الثانى : جر وهو يفيد معنى الكشط أو المحو بصورة ما .

ومنه جرد وجرز والأرض الجرز هى الجرداء التى لانبات فيها ، وجرس أى لحس بلسانه ، وجرش الفول أو القمح نزع قشره .

وتوجد أزواج من الألفاظ يتحد كل منها أو يتقارب فى المعنى وأحدهما مضاعف والآخر ثالثه أحد أحرف الصفير أو ما يلحق بها . وذلك نحو : بك الخصم رد نخوته ، و بكسه غلبه ، وحم وحمس ومنه الحميس وهو التنور ، ودم ودمس يقال دم الأرض أى أصلحها وسواها ودمس بينهم أى أصلح ، وزم وزمج أى ملأ ، وضب وضبث أى أمسك ، وغم وغمس ، وطم وطمس أى أخفى أو غطى . وفل وفلذ فالفل الثلم والفلذ القطع والتفليذ التقطيع ومنه الفَلذة وهى القطعة من الكبد أو من الذهب . والقُر والقَرس البرد وكفه عن الشىء وكفته أى صرفه عنه ، وكن وكنز أى أخفى ، ولب ولبد أى أقام ، وهب وهبص أى نشط ، وهب وهبذ أى أسرع .

وأختم البحث بذكر مادة ثنائية حكائية . وبيان المواد الثلاثية التى اشتقت منها بشتى الطرق وهى مادة :

— قع —

وهى فى الأصل — على ما يظهر — حكاية لصوت الرعد المزعج ومنها القعقعة وتقعقع أى اضطرب . ولما يترتب على سماع هذا الصوت من خوف أو اضطراب نرى أن المواد الفرعية المتصلة بهذه المادة تفيد معنى الخوف أو الانكماش أو الاسترخاء بصورة ما .

فمن ذلك : قبع بإضافة حرف ذلاقى فى الوسط ، يقال قبع الرجل قبعا أى انبهر ، وقبع القنفذ قبوعا أدخل رأسه فى جلده ، والرجل أدخل رأسه فى قميصه .

ومنه : قنع بإضافة حرف ذلاقى آخر فى الوسط أيضا . ومنه القنوع أى التذلل ، ومن دعائهم نسأل الله القناعة ونعوذ به من القنوع . و بإبدال القاف كافا ينشأ : كع . يقال كع الرجل يكع ويكع كعوعا أى جبن وضعف فهو كعّ وكاعّ .

و بإضافة الواو أحد حروف العلة فى الأول ينشأ وكع ومنه وكع البعير أى سقط من الضعف أو الوجع ، والدجاجة خضعت للسفاد . و بإضافة حرف علة فى الوسط ينشأ كاع يقال كعت عنه أكيع أو أكاع : اذا هبته وجبنت عنه .

و بإضافة حرف علة فى الآخر ينشأ كما يكمو أى جبن والأكعاء الجبناء . والكاعى المنهزم كالكائع .

و بإضافة الباء الذلاقية فى الوسط ينشأ كبع أى ذل والكبوع الذل والخضوع ، وكذلك كنع كنوعا أى انقبض .

و بإضافة التاء في الوسط ينشأ كتع ومنه كتعت الابل أى استرخت بطونها . و بإبدال التاء تاء ينشأ كتع كتع بمعنى هرب أو انقبض .

و بإبدال الكاف خاء تنشأ المواد : خبع الصبي أى لحم وأسكته البكاء ، وختع السراب أى اضمحل وخرع الرجل أى ضعف وخشع وخضع وخنع ، ونخع الرجل أى استرخى جسمه .

***

وبعد : فإنى لا أدعى أنه من الممكن رد جميع الأصول الثلاثية إلى أصول ثنائية ، وإنما أقرر أن عددا عظيما جدا من الأصول الثلاثية تعد تمية لأصول ثنائية معظمها حكائى ، وأن هذه التمية قد تمت فى معظم الحالات بطريقة أو أكثر من الطرق التى شرحتها .

ومعذرة إن كنت قد أطلت أو قصرت ، فالموضوع متشعب الأطراف متعدد النواحى .
والله ولى التوفيق .

ج - فى المصطلحات العلمية

القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية

للدكتور محمد كامل حسين
عضو المجمع

لاتزال المصطلحات العلمية أهم أعمال مجمعنا وأدقها وأعظمها خطرا . ويتوقف الكثير من مستقبل الحياة العلمية فى البلاد العربية على توفيقنا فى هذا العمل الشاق . وقد بدأ المجمع بوضع قواعد عامة يسير العمل عليها فى وضع المصطلحات العربية ، وقضى بعد ذلك نيفا وعشرين عاما فى بحوث دقيقة طويلة أكسبته خبرة لم تكن له يوم بدأ دراسته لهذه المشكلة ، ودلته هذه الخبرة على أن هناك صعوبات جمة لم تكن واضحة لعلمائنا الأولين.

ومن الحكمة أن يقف المجمع قليلا ليعيد النظر فى القواعد التى سبق أن وضعها ، والقرارات التى اتخذها ، ليتبين : هل هذه القواعد كفيلة بتحقيق ما أردناه من خلق لغة علمية قابلة للحياة؟

وهناك أمور جديرة بالدرس لم تكن واضحة تماما فى أول عهدنا بهذه المصطلحات : من ذلك أنه أصبح واضحا أن المشكلة أعظم كثيرا جدا مما كان العلماء يظنون أول الأمر ، حين نميل إلى الكثيرين أن المسألة لاتعدو البحث عن مئات من الكلمات تعد أصولا ثابتة ، ثم تشتق منها بضع مئات أخرى . وظن علماؤنا أنه لاجديد تحت الشمس ، وأن المؤلفين القدماء عرفوا أكثر أصول المصطلحات ، وأن من السهل أن نبحث عن هذه الأصول فتصبح المشكلة سهلة قريبة الحل . والواقع أن المشكلة أكبر من ذلك كثيرا ، وأن ماتضمه من المصطلحات فى بعض العلوم أقل مما يستحدث فيها ، وأن المصطلحات قد تبدو مئات الآلاف ، وأن ما كان منها معروفا عند القدماء لايفيدنا كثيرا لقلته ، ولأن أكثر المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاما خاصا ، ولأن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية يجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالا .

ولم يتبين علماؤنا الأولون أن مشكلة المصطلحات ليست مجرد بحث عن ألفاظ ، وفاتهم أن طبيعة المصطلحات تجعلها صورة حية لتطور العلوم ، وهى تدل على ماق تاريخ العلم من صواب أو خطأ ، وهى جزء لا يتجزأ من أساليب التفكير العلمية . وتاريخ المصطلحات هو تاريخ العلوم ، وكل علم جديد يحتاج إلى مصطلحات جديدة ، وكل تصور جديد يدعو صاحبه إلى خلق مصطلحات جديدة . ومن صفات العلوم الطبيعية أنها دائمة النمو ، وأنها دقيقة منظمة ، قابلة للامتداد البعيد المدى . لذلك كان من الضرورى أن تكون فى المصطلحات هذه الصفات نفسها ، فيجب أن تكون دقيقة ، وأن تكون منظمة ، وأن تكون قابلة للنمو ؛ ولعله قد ثبت لنا أن القواعد التى وضعها المجمع ربما لا تكون دائما مما يحقق هذه الصفات .

وغلب على علمائنا الأولين عنايتهم بسلامة اللغة العلمية . وكانوا يفهمون سلامة اللغة على أن لها مظهرا واحدا ، هو قربها من اللغة العربية من حيث الأصول ومن حيث انطباقها على الأوزان العربية المعروفة والقواعد المألوفة في الاشتقاق . ثم دلت التجربة على أن للغة العلمية سلامة تتعلق بدقتها وتبويبها وسهولة نموها ، وأن هذه السلامة لا تتعلق بقربها أو بعدها عن الصيغ العربية التى تستسيغها أذواقنا ، وأنه كثيرا ما ينشأ تعارض بين سلامة اللغة علميا ، وسلامتها من حيث مطابقتها لقواعد اللغة الأدبية . وكثيرا ما توجد كلمتان تدلان على معنى واحد ، إحداهما أقرب إلى العربية ، والأخرى أشبه باللغة العلمية لاتصالها بنظائرها من المصطلحات الأخرى ، وقد جرى المجمع على تفضيل أقربهما إلى الذوق العربى مع ما قد يكون فى هذا اللفظ من شذوذ حين يوضع بين المصطلحات الأخرى فى العلم الواحد . من ذلك كلمة " البرسام " للالتهاب السحائى فى المخ . كلمة جميلة قديمة لا غبار عليها . ولكنها شاذة حين توضع بين مئات الأمراض الأخرى للمخ مما لا يمكن رده إلى " البرسام " . وقد وصفت ذلك مرة بأن اختيار أحد اللفظين خدمة للغة ، واختيار الآخر خدمة للعلم . ولم تتبين قبل الخبرة الطويلة — أن هذا التعارض كثير إلى حد يحتاج إلى البحث . والصفات التى تدل على قوة اللغة العلمية تختلف تماما عن الصفات التى تدل على قوة اللغة عموما ولا تتصل بحال من الأحوال بقربها أو بعدها من اللغة الأدبية .

ويظهر ذلك واضحا فى علم كالكيميا ، فقد توجد كلمة جميلة لمادة بعينها تدل عليها تماما ، ولكنها لا تتسق مع جملة النظام العام للمركبات الكيمائية التى تليها ، فيكون وجودها عقبة فى سبيل اتساق التصنيف : مثال ذلك ، حمض " النمليك " و " الخليك " كلمتان لا غبار عليهما لحمض " الفورميك " و " الاسيتيك " لو اقتصر الأمر عليهما . ولكن هناك سلسلة من المواد " كالفورمول " و " الفورمالدهيد " وغيرها تحتاج كلها إلى تغيير تبعا لوضع كلمة النمل فى حمض " النمليك " بدلا من " الفورميك " وتكون كلمة " النملة " هنا عقبة فى سبيل استمرار التصنيف وكلمة النملة فى الإنجليزية Ant لم توضع فى اسم الحمض ، ولم يسمه الإنجليز حمض " الأنتيك " ، ومن محض المصادفة أن كلمة النملة فى الفرنسية هى الكلمة اللاتينية .

وأحسب أن المصطلحات العلمية العربية التى عرفها القدماء والتى يجدها الباحثون فى بطون الكتب القديمة قد عرفت كلها تقريبا ، ولم يعد هناك أمل فى العثور على كنوز جديدة لم تعرف بعد . ولا خلاف فى أن عددها قليل جدا بالنسبة للمصطلحات الحديثة ، وأن أكثرها لا يتسق مع التصنيفات العلمية الحديثة ، والإصرار عليها عقبة فى سبيل التنسيق العام لكل علم ، ولا أرى أن التمسك بها يؤدى خدمة للعلم أو اللغة .

والعناية بالتصنيف أو التبويب أمر ضرورى لحياة المصطلحات ، وخاصة فى النبات والحيوان والكيمياء وغيرها . فالأجناس والأنواع تجعل الأسماء العلمية خاضعة لنظام لا مفر منه . ولكل

نبات اسم علمي فيه الجنس والنوع ، وهو يختلف تماما عن الاسم المألوف الذي يعرفه الناس عامة ، ولا داعي لخلط بينهما . ولا نزاع أنه من المفيد جدا أن تحقق الأسماء العربية القديمة للنباتات ، وهو أمر هام في تاريخ العلوم ، ولكن ذلك يجب ألا يدعونا إلى إدخال هذه الأسماء العامة في أبواب التصنيف ، ولا داعي لتضحية ضرورات هذا التصنيف في سبيل إحياء الأسماء القديمة . والإنسان سيظل في كل اللغات : " الإنسان " ولكن ذلك يجب ألا يؤثر على تسميته العلمية البحتة Homo sapiens فالمصطلح العلمي لا شأن له بالاسم العادي وإن اشتق من أصوله .

وعلينا ألا نخلط بين ضرورات المصطلحات العلمية ووجود كلمات مألوفة تدل على الشيء إذا كان شائعا ، مثال ذلك القصبة والظنبوب ، هذه تقابل Shin Bone ولكن اسمها العلمي الـ Tibia يختلف عنهما . ووجود كلمة القصبة لايمنع مطلقا من الاحتفاظ بالتيبيا كاسم علمي ، وربما لا يكون هذا واضحا في هذا الشاهد بالذات لذيوع كلمة "التيبيا" ، ولكن كلمة كالسفينويد يمكن أن تسمى الجنحة أو ذات الجناح ، ويكون ذلك عقبة في سبيل كل ما هو مشتق منها في التشريح .

من ذلك يتبين أنه لابد من الفصل بين اللغة العلمية والأدبية ، وأن تحدد سلامة اللغة العلمية بمقدار مطابقتها للصفات العلمية واتساقها مع التصنيف العلمي ، وألا يكون أحد معايير صلاحيتها أنها قريبة من اللغة الأدبية ، إلا إذا كان ذلك لا يتعارض مطلقا مع المعايير العلمية الخالصة .

وزميلنا العلامة — الأمير مصطفى الشهابي في رسالته العظيمة عن المصطلحات العلمية رأى يخالف هذا ، والمثل الذي ضرب به لنا هو "الكوكب" "والفندوليا" فهو يرى أن "الكوكب" اسم عربي يطابق تماما " الفندوليا " فلا داعي لتسميتها الاسم العلمي المنسوب إلى عالم غربي . وعندي أن هذا صحيح في اللغة العادية ، أما في اللغة العلمية فلا أرى فضلا للكوكب على الفندوليا ، كلاهما غريب ، وأحدهما يتسق مع التصنيف العلمي ومعروف للعلماء كلهم ، والآخر شاذ يقف وحده وسط أسماء كلها متسقة على نظام واحد . وتحقيق المطابقة بين "الكوكب" "والفندوليا" أمر واجب ومفيد جدا ، ولكنه لا يدعو إلى نبذ الكلمة الثانية وتفضيل الأولى في اللغة العلمية . ومن المفيد تحقيق النبات المسمى " لسان الثور " ولكن هذا التحقيق يجب ألا يكون له أثر في الاسم العلمي . ولا أرى داعيا لترجمة الأسماء العلمية التي من هذا الطراز ، ولو أدى ذلك إلى سهولة فهمها . مثال ذلك النبات المسمى Campaniola barbata فلا داعي لترجمة كلمة " بار باتا " بالملتحي . إن كان المراد جعلها مفهومة ، فذلك يكون بتدريس الأصول اللاتينية للطالب العربي كتدريس للطالب الأوربي . والإنجليزي لا يسمي هذا Bearded Campaniola ، بل يبقي على اللفظ اللاتيني . و" البار باتا " يجب أن تشرح للإنجليزي ، ولا داعي لتغييرها بجعلها أسهل فهما على العربي .

وقد يعترض على هذا بأن هناك سببا تاريخيا لغلبة الأصول اللاتينية واليونانية على اللغة العلمية ؛

ذلك أن اللغة اللاتينية كانت لغة العلوم وأن العلماء كانوا يريدون الغموض فى العصور الوسطى كل هذا حق . ولكن ماحيلتنا وقد قام بناء المصطلحات الشاهق على هذه الأصول، وأصبح من المستحيل أن تغيرها مهما يكن السبب فى وجودها . المهم أنها موجودة فعلا ، وأنها جزء من نظام عام وأنها تطبعت بطابع التفكير العلمى فأصبحت جزءا من العلوم . وإيجاد أسس جديدة محال وعبث ، ويحتاج إلى أربعة قرون على الأقل لإيجاد مصطلحات تحل محل الذى نعرفه منها الآن . وقد اعترض أحد زملائنا الأفاضل على هذا بأن قرب اللغات الأوروبية من الأصول الكلاسيكية يجعل التقريب بينها سهلا وقد يكون هذا حقا، ولكن لاحل لهذا الإشكال إلا بقبول الواقع .

وليس علينا أن نقرب اللغة العلمية من اللغة العادية . وإذا كان كثير من المثقفين يستعملون المصطلحات العلمية فى كلامهم العادى فذلك يرجع إلى اتساع علمهم لا إلى سهولة فهم هذه المصطلحات، من ذلك داء الكلب فهو فى اللغة Rabies وفى العلم Hydrophobia . واستعمال الرجل المثقف للاسم العلمى يرجع إلى زيادة علمه بهذا المرض، ولا يتعلق مطلقا بسهولة هذا اللفظ عليه . ومن الخير أن يكون اللفظ العلمى مفهوما بكل إنسان ، ولكن ذلك يجب ألا يكون اعتبارا هاما فى تفضيل مصطلح على آخر . وتحضرنى فقرة شهيرة لأحد كبار الأطباء الفرنسيين القدماء يهزأ فيها من نفسه ومن حذلقة الأطباء يقول فيها : إن الأم تأتى بابنها فتقول : إن ابنى فى عنه ماءا هز رأسى وانقاس علمى، وأقول لها : ابنك عنده Hydrocephale . وهى نفس الكلمة، ولكن باللاتينية . على كل حال ليس هناك مايمنع من وجود اسمين للشىء الواحد : أحدهما يستعمل فى اللغة والآخر فى المجال العلمى ، وليس هناك مايدعو إلى الاقتصار على الاسم اللغوى عندما يوجد .

وقد نشأت علوم حديثة فى حياتنا ولها مصطلحات جمة ، ومنها نتبين كثيرا من طبيعة المصطلحات والحاجة إليها، من ذلك علم التحليل النفسى فكله مصطلحات ، وأكثرها يونانى أولاتينى . مع أن السوب التاريخى وهو شيوع اللاتينية فى لغة العلوم ليس موجودا ، وحب الغموض لم يكن أصلا لاختيار هذه المصطلحات، وكل مصطلح إنما وضع لبروز فكرة خاصة به . ومن هذه المصطلحات ماهو استعمال خاص لكلمة لغوية معروفة كالتعويض Compensation والتصعيد Sublimation والكبت Refoulement وهذه أخذت معانى خاصة . ومنها ماهو من أصل كلاسيكى كالايجو والليبدو، ولا يكفى فى هذه أن تترجم فتصبح " الشخصية " أو " اللذة " . فإن ذلك يذهب بكل قيمتها من حيث إنها مصطلح علمى .

وأذكر أننا سمعنا هنا كلمة عن " ميتافيزيقا اللغة " ورأى أحد زملائنا أنه كان يصح أن نسمى ذلك " ماوراء طبيعة اللغة " أو " ما وراء اللغة " . وأظن أن هذه لاتقوم مقام " ميتافيزيقا اللغة " بحال من الأحوال .

وعلى المجمع أن يحدد أغراضه من وضع

المصطلحات، فإن كان يريد لغة علمية حية تمثل

حياة العلوم الحديثة وتنمو بنموها وتسير معها جنبا إلى جنب فلذلك سبيل ، وإن كان المجمع يريد أن يثبت سعة اللغة العربية وقدرتها وأنها لا تضيق اليوم عن وصف الآلات وتنسيق أسماء المخترعات فلذلك سبيل آخر. وأحسب أن الغرض الأخير لا يليق بالمجمع والجهود التي يبذلها . وإذا كانت الأمم العربية في أول نهضتها الحديثة تشعر بحاجتها إلى التفاخر بالقديم وإثبات المجد فإنها اليوم في غير حاجة إلى ذلك . وكثرة الحديث عن مفاخرها القديمة قد تكون من بقايا مركبات النقص التي أرجو أن نكون قد تخلصنا منها تماما .

وليس هناك مايدعو إلى تفضيل الكلمة القديمة لقدمها أو لسابق استعمالها عند القدماء ، والمصطلحات القديمة مثل الحديثة تمثل تصورات علمية قديمة ولا يمكن نقلها إلى التصورات المدنية ، من ذلك مصطلحات الكيمياء القديمة حيث كانوا يتحدثون عن روح المادة وأنها تأبق فتصبح المادة ميتة ومادية . هذا مما لا يمكن الانتفاع به الآن . وعلينا أن ننظر إلى مشكلة المصطلحات من جهة أعم من هذه ، وألا نلق بالا إلى ما هو قديم وما هو حديث وما هو معرب أو منحوت أو مشتق ، إنما المهم الاتساق العام ومطابقة اللفظ لهذا الاتساق .

لهذا أرى أنه قد آن أن تعدل القواعد التي وضعها المجمع في أولى دوراته . والقواعد الجديدة التي أدعو إليها تتلخص فيما يأتي :

(١) كل مصطلح علمي خلق خلقا جديدا خاصا ويكون من أصل كلاسيكي ويكون دالا على عين من الأعيان يجب تعريبه كالهيدروجين . وإذا وجدت كلمة عادية تدل على هذا العين فلا تستعمل مصطلحا علميا بل تبقى جزءا من اللغة العامة .

(٢) كل مصطلح علمي خلق خلقا جديدا خاصا ويكون من أصل كلاسيكي ويكون دالا على تصور علمي خاص يجب تعريبه . مثال ذلك الإنزيم والأيون والإلكترون . هذه لا تترجم لأن ترجمتها تذهب بقيمتها من حيث هي مصطلح علمي .

(٣) كل مصطلح يتبين أنه جزء من تصنيف عام يجب تعريبه ، ومن هذا أسماء الأجناس والأنواع في الحيوان والنبات وسلسلة المواد المتشابهة كيمايا .

(٤) كل مصطلح اخترع من اللغة العامة ليدل على معنى علمي خاص يترجم . مثال ذلك الكبت Refoulement. والمناعة Immunity. لأن الحاجة لم توجد لجعلها اسم عين أو اسم تصور خاص ، ولأنه لابد من فهم أصلها قبل الوصول إلى فهم مدلولها . وليس ذلك الشأن في أسماء الأعيان حيث يمكن دراسة الأوكسجين دون معرفة أصل اشتقاقها .

(٥) لا يكاد يوجد للنحت محل في المصطلحات فهو أثقل على الأذن من التعريب ولا داعي له أبدا . من ذلك كلمة " كُلُوِيد " هي بهذا الوصف أخف (على ثقلها في كل اللغات) من " الشبغروى " ثم هي ليست غروية ولا شبه غروية في الواقع . فنكون قد اخترنا بالنحت كلمة ثقيلة ظنا أنها أسهل فهما

وفى سبيل هذا الوضوح المزعوم أصبحت خطأ. والكلُّوية من أسماء التصورات العلمية الخاصة التى يجب أن تعرب حتما .

(٦) يحتاج الأمر إلى وضع قواعد للتعريب تجعله وافيا بأغراضه :

(ا) مشكلة البدء بالساكن : حلت هذه المشكلة فى الأعلام بإضافة ألف فى أول الكلمة ، ولا يجوز ذلك فى المصطلحات العلمية ، ولا أرى أن يسمى الجلوكوز "اجلوكوزا" وإنما يكسر الحرف الأول كسرة خفيفة على ألا يتبع ذلك ياء ، وإنما يكون ذلك من باب التخفيف كما عمل العلماء فى النطق بالأسماء الهيروغليفية .

(ب) لابد من تقسيم المصطلح المعرب إلى أصوله فى الكتابة إذا كان طويلا وإلا أصبح النطق مستحيلا .

(ج) لامفر من استبدال الحروف بالحركات ، والاعتماد على الشكل فى المصطلحات العلمية فيه القضاء على هذه المصطلحات لأن أحدا من العلماء لن يشكل هذه المصطلحات عند كتابتها ، وهى أكثر من أن يحفظها القارئ مشكلة . أما تركها دون شكل فهو الفوضى بعينها . وإذا كان المجمع قد قرر كتابتها كما تكتب الألفاظ العامة العربية فأرجو أن يعدل عن هذا القرار ولن يستطيع أحد قراءة "المنجنيت" ولكن التعود يجعل من الممكن قراءة "ميانجيت" ، ولا يعترض على ذلك بأن هذه قد تقرأ ميانجيت ، ذلك لأنها لو كانت كذلك لكتبت "ماينانجيت" . وهنا يجدر أن نلاحظ أن النطق الفرنسى أقل إبهاما وصعوبة فى أكثر المصطلحات من الإنجليزى لأنه ليست فيه هذه الصيغة "ماينانجيت" و"أنزيم" بل هى "ميانجيت" و"أنزيم" .

(٧) قد يكون التمسك بطريقة العرب فى التعريب محبوبا ، ولكنى لا أرى ما يدعو إلى جعلها قاعدة ، فكثرة الطاءات كانت مقبولة فى الذوق العربى القديم ، وربما لاتكون ضرورية فى ذوقنا .

هذه بعض ملاحظاتى على القواعد التى وضعها المجمع ، ورأيى هو وجوب وضع قواعد جديدة حتى لا يضيع جهدنا عبثا . وأرجو أن يتفضل المجمع ببحثها علّه يجد فيها مايستحق عنايته ما

مدى حق العلماء فى التصرف فى اللغة

للدكتور إبراهيم بيومى مدكور
عضو المجمع

سيدى الرئيس سادتى[1] :

أنا شاكر كل الشكر على تلك الكلمات الطيبة التى تفضل السيد رئيس الجلسة ووجهها إلىّ ، وأرى واجبا علىّ قبل أن أبدأ الحديث أن أتقدم بوافر الشكر باسم مجمع اللغة العربية إلى جمعية الاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع التى قدمت هذه القاعة لجلستين من جلسات المجمع العلنية ، وشاءت بذلك — مشكورة — أن تيسر للمجمع اتصاله بجمهور المعنيين بدراسة اللغة العربية ، وتلك سنة شاء المجمع أن يسنها هذا العام ، ولعل مما أخذ بيده فى سبيل ذلك الزميل والرئيس الدكتور عبد الحميد بدوى ، فقد ضم إلى رياسة هذه الجمعية عضوية المجمع فكان هذا منه تعاونا وتشجيعا كريما .

والواقع أنه انقضى على إنشاء المجمع اللغوى ما يقرب من ربع قرن آثر فيه أن يعمل فى صومعته ، وربما كانت طبيعة عمله تقضى بذلك ، ولكنه فى الحقيقة إنما يعمل باسم اللغة والمشتغلين بها وأى ثمرة ينتهى إليها إنما يعدها لهم . وقد شاء المجمع أن يعقد هذا العام جلستين علنيتين فى مؤتمره : أولاهما فى الأسبوع الماضى وقد عرض فيها الأستاذ الدكتور طه حسين "مشكلة الإعراب فى اللغة العربية" وثانيتهما جلسة الليلة ، ويراد بى أن أعالج فيها "مدى حق العلماء فى التصرف فى وضع المصطلحات العلمية" .

وشاء المجمع أن يدعو المشتغلين بهذه النواحى ليدلوا بآرائهم ، وكأنى بهذه السنة وهى جديدة لم تؤت ثمارها بعد فلم تحقق تلك المساهمة المرجوة على النحو الذى قصدناه .
غير أنى أرجو ألا يحول هذا دون متابعة هذه السنة فى مؤتمرات المجمع القادمة .

ولست أدرى لماذا أراد المجمع أو أردت لنفسى أن أتحدث عن حق العلماء فى وضع المصطلحات العلمية ، وأنا ليس لى من هذا الحق شىء وليس لى أن أتكلم باسم العلم والعلماء اللهم إلا أنى شغلت زمنا ببعض الدراسات المنهجية والفلسفية وهى وثيقة الصلة بالمصطلحات العلمية .

ولست فى حاجة أن أشير إلى أن الدراسات الإنسانية كانت متشابكة ومتصلة ، وجاء عليها وقت التقت فيه كلها تحت عنوان الحكمة والفلسفة . فكانت الفلسفة فى التاريخ القديم والمتوسط تجمع تحت

---

(1) ألقى هذا البحث فى جلسة علنية عقدها المجمع بدار جمعية الاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، وذلك مساء الخميس ١٣ من يناير سنة ١٩٥٥ م .

وقد دعى إلى شهود هذه الجلسة — مع أعضاء المجمع — طائفة من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات .
وبعد الانتهاء من إلقاء البحث عقب عليه بعض الحاضرين ورد عليهم ، وقد ألحقت التعقيبات بالبحث .

كنفها كل الدراسات العقلية المختلفة فكانت العلوم من طبيعة وكيمياء وطب ورياضة وفلك جزءا من الفلسفة . إلا أن النزعة الاستقلالية — فى بيئة العلم — كبيئة الإنسان تغلبت وأخذت تلك الدراسات التى كانت مجتمعة تحت اسم الفلسفة تستقل الواحدة منها تلو الأخرى وتكون لها مسرحا خاصا بها . ومن هنا نشأت حياة العلوم .

١ — العلم

دون أن نعرض لخصائص البحث العلمى المختلفة نكتفى بأن نشير إلى ثلاث منها رئيسية وهى : موضوع محدد يراد بحثه ، وطريقة واضحة يعالج بها ، ونتيجة ينتهى إليها . فلا يسمو بحث إلى مرتبة العلم إلا إذا انصب على مسائل معينة ، والدراسات غير المحدودة الموضوع ليست من العلم فى شىء . وهكذا كان شأن الدراسات الإنسانية فى بدايتها : اختلطت فيها مسائل متنوعة وموضوعات مختلفة . ونشأة العلم وتكونه تتلخص فى تحديد موضوعه وحصر مسائله . والمتتبع لتاريخ العلوم يدرك هذا التطور بوضوح .

والموضوع المحدود ينبغى أن يعالج على نحو خاص ، وهـذا النحو هو ما يسمى الطريقة أو المنهج . والمناهج العلمية بوجه عام استقرائية ينتقل فيها من الجزئى إلى الكلى ، وقياسية تسير من الكلى إلى الجزئى ، ومن هنا كانت العلوم ضربين : علوم استقرائية دعامتها المشاهدة والتجربة والملاحظة كالطبيعة والكيمياء ، وأخرى قياسية تقوم على طائفة من المبادئ والفروض المسلمة كالحساب والهندسة . وإلى جانب هذه المناهج العامة هناك مناهج خاصة ، فالعلوم التجريبية وإن التقت كلها فى المنهج الاستقرائى يتميز كل واحد منها بمنهجه الخاص ، فلعلم الحيوان منهج يميزه عن علم النبات وهكذا .

وأخيرا من الموضوع المحدد وبالمنهج الخاص ينتهى البحث إلى طائفة من النتائج هى ثمرة العلم وغايته . وكلما كانت هـذه النتائج أعم وأشمل كان البحث أدق وأكمل . والعلوم الكاملة هى تلك التى انتهت إلى طائفة من القواعد العامة والقضايا الكلية التى تصدق اليوم صدقها بالأمس وفى الغد . وهذه هى القوانين العلمية التى من أخص خصائصها العموم والشمول . وإذا كان العلم قد حارب الخرافة والعرافة من ناحية فإنه فتح من ناحية أخرى بابا يبيح للعالم أن يتوقع ويتنبأ فى ضوء قوانينه التى تسمو على الزمان والمكان .

٢ — المصطلح والعلم

ولا شك فى أن المصطلحات العلمية جزء وجزء هام من المنهج العلمى ، ولن يستقيم منهج إلا إن قام على مصطلحات خاصة يؤدى بها العالم الحقائق التى يعالجها ، وقديما قالوا : العلم لغة أحكم وضعها .

فالمصطلحات العلمية ضرورة من ضرورات العلم لأنها تستحضر المعنى بأيسر وسيلة ، وإذا كانت اللغة أداة من الأدوات البشرية المتقنة المحكمة التى تربط بنى البشر بعضهم ببعض ربطا سريعا وثيقا ، فإن هذا يبدو أوضح ما يبدو فى اللغة العلمية ، ويكفى حرفان مربوطان "يد" — "كم" ليستحضر العلماء حقائق ونظريات واسعة طويلة ، قد يطول شرحها لو حاولوا معرفة

مدلولاتها ، ويوفر عليهم ذلك أن يتخيروا لفظا معينا هو المصطلح العلمي .

وكلما كان المصطلح دقيقا محكما كانت الصلة بين العلماء أوثق وأقرب ، وكان مجال الخلاف أقل ، ولذلك يقول «ليبنتز» الفيلسوف الألماني المشهور : إن معظم الخلافات العلمية يرجع إلى خلاف على معنى الألفاظ ودلالاتها ، ويوم يصطلح العلماء على دوال معينة تضيق مساحات الخلف كثيرا . وليست قيمة المصطلح العلمي مقصورة على العلماء وحدهم بل تتعداهم إلى المتعلمين فإن المصطلح العلمي وسيلة إلى من يريدون التعلم فيستعان به على تقديم الأفكار للمتعلمين . وإذا كان هذا شأن المتعلمين فإنه أولى بمن يرغبون في دراسة علمية معينة ، إذ يعز عليهم تتبع هذه الدراسات إلا إذا ألموا — ولو بقدر ما — بما اصطلح عليه العلماء أنفسهم في لغتهم .

ولعل هذا هو السبب في تلك النزعة العامة التي تدفع بعض العلماء والمختصين اليوم أن يقدموا العلم في لغة يسطت فيها هذه المصطلحات ما أمكن ، كي يجد المثقف العادي سبيلا إليه .

وعلى هذا النحو جاءت «السلطة العلمية»[1] التي اضطلع بها عالم فاضل وعجمي قديم .

وواضح أن المصطلحات العلمية تنمو بنمو العلم : تبدأ — أولا — محدودة قليلة ومترددة ، إذ يوضع لفظ لمعنى ما ، ولا يلبث أن يعدل عنه إلى لفظ آخر ، ومع الزمن ومع نمو العلم واكتماله أخذت هذه الاصطلاحات في التنوع والتعدد والاستقرار . وتاريخ العلوم تاريخ لمصطلحاتها ، والمتتبع لتاريخها يلاحظ هذا التطور في المصطلحات وحلولها محل أخرى ثم توسعها بعد ذلك .

٣ — المصطلح واللغة

إذا كانت المصطلحات لغة العلماء فلا ننسى أن هذه اللغة جزء من اللغة العامة ، ومن هنا كانت المصطلحات وثيقة الصلة باللغة . وأظنكم تعرفون ذلك الخلاف المشهور من صلة اللغة بالمجتمع أو صلتها بالتفكير الفردي . ففريق يقول : إن اللغة مجرد آراء وأفكار أو عواطف ووجدانات ، وفريق آخر يرى أنها ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمجتمع وتخضع لحكمه ، وليس العامل الجوهري فيها تلك العواطف والوجدانات ، وإنما هو المجتمع وسلطانه وحكمه وقيوده وتقاليده .

وأظننا نكون أقرب إلى الصواب إن قلنا إن اللغة في حقيقتها تعبير عن أفكار وآراء أو انفعالات ووجدانات بواسطة دوال وأصوات أقرها المجتمع وأخذ بها ، فاللغة صنع الفرد والمجتمع معا ، ولا قيمة لأصوات لا دلالة لها ، وقيمة هذه الدلالة في أن يفهمها مستمعو هذه الأصوات ويتفقوا عليها .

وإذا ما تركنا اللغة الوجدانية والعاطفية جانبا ، وعرضنا لناحية الفكر في اللغة ، وهي وثيقة الصلة بالبحث والدراسة والعلم وجدنا أن التفكير لا يكاد ينفصل عن اللغة ، ولا سيما إذا صعد إلى درجاته العليا وأخص ما يسمونه التفكير المنطقي ، ولذا قيل : التفكير كلام نفسي وقال الشاعر العربي :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

[1] اسم كتاب فيه مقالات علمية مبسطة ، كتبها الدكتور أحمد زكي .

فعلاقة الفكر باللغة وثيقة ، والمفكر نفسه يعز عليه أن يطمئن إلى فكرته إلا إن وجد اللفظ الذى يؤديها أداء يريحه . وكثيرا ما بقيت الفكرة حائرة لأن صاحبها لم يجد بعد الوعاء اللفظى المناسب لها ، وقد نلجأ إلى أيدينا فنشير بها و إلى رؤوسنا فنحركها حين نحس بأن الألفاظ لا تعبر تماما عما نريد .

والمعنى الدقيق يحتاج عادة إلى لفظ دقيق ، ولم لا تجددت المعانى ما تجددت الألفاظ ولا تباينت التراكيب . وازدهار الآداب المختلفة مقترن عادة بازدهار العلوم ، ففى " أثينا " فى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ازدهرت اللغة اليونانية يوم أن ازدهرت العلوم اليونانية ، وفى بغداد فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة كان الأدب العباسى متشعبا ذا ألوان عدة وصور مختلفة ، لأنه كان هناك علم ودرس واسع متشعب متعدد . وأخيرا فى باريس فى القرنين السادس عشر والسابع عشر وصل الأدب الفرنسى إلى قمته يوم أن اتسعت آفاق البحث والدراسة العلمية ، ولا يزال الأدب الفرنسى سائرا فى طريقه لأن باب البحث العلمى مستمر فى سيره إلى اليوم .

ويقولون : إن الجماعات البدائية لا تعرف كثيرا عن الألفاظ التى تؤدى المعانى الكلية أو المجردة . وما زال إلى الآن عالمها أقرب إلى المحسوسات ولذا اقتصرت ألفاظها تقريبا على الدلالة على جزئيات . و باختصار ، اللغة مدلول ودال ، ولا وجود لأحدهما بدون الآخر ، والمدلول الذى لا لفظ يدل عليه سر خفى كامن فى صدر صاحبه ، والدال الذى لا يحمل فى ثناياه معنى ، صوت فارغ ولا قيمة له . وتبادل العلوم والأفكار بين الناس لا يتم لو لم تكن هناك ألفاظ يؤدونها . ومن أهم مزايا اللغة قدرتها على أداء المعانى المتباينة ، واللغة الحية هى تلك التى تجارى العصر وتقدم لكل معنى جديد وسائل الدلالة عليه .

٤ — المصطلح والعلماء

قد يلجأ العلماء إلى وسائل أخرى للتعبير عن أفكارهم ، ولكن هذه الوسائل نفسها لغة ، فالرموز والأرقام التى يستعملها العالم لغة وإن تكن لغة خاصة به . ومهما حاول العلماء أن يخصصوا بلغتهم فهم مضطرون أن يربطوها باللغة العامة ، ولا يلجأ العلماء عادة إلى هذه الوسائل إلا رغبة فى التحديد والاختصار وأداء المعنى العلمى على أدق الوجوه وأسرعها ، ومن هنالك كانت رموز الجبر والكيمياء والهندسة ، إلا أن هذه الرموز قد اشتقت من اللغة العادية .

٥ — حق العلماء فى وضع المصطلح

والعالم وهو الباحث عن الفكرة لا بد له أن يبحث أيضا عن الوعاء الذى يؤديها فيه وإذا كنا ندعو إلى حرية الفكر والبحث العلمى فمن مستلزمات ذلك أن ندعو أيضا إلى حرية التعبير عن هذا الفكر ، فيكون العالم حرا طليقا فى أداء المعنى على النحو الذى يروقه ، ولا يستطيع أحد أن يعبر عنه تعبيرا أصدق منه ، وإذا كان عنوان حديث الليلة " مدى حق العلماء فى وضع المصطلحات العلمية " فإنكم تتفقون معى على أن هذا الحق فى أساسه مطلق ، والعالم حر فى اختيار اللفظ الذى يؤدى المعنى المراد .

والذى حدث فعلا قديما وحديثا هو أن العلماء لم يكتشفوا الحقائق وحدها بل قدموا لها ما استطاعوا وسائل التعبير عنها . وقد لا يجد المخترع الأول اللفظ الملائم فيأتى تلاميذه من بعده ويتداركون مافاته . وهكذا يسير العلماء الواحد منهم تلو الآخر فى ضبط المعانى وتحديد الألفاظ المعبرة عنها . وتطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر ما هو تطور لآرائه ونظرياته . وفى تاريخ العلوم ما يوضح هذا التطور تمام التوضيح .

وكثيرا ما شكا العلماء من قصور الألفاظ عن أداء الحقائق العلمية ، فقد تعجز عن أدائها أو تؤديها على وجه غير دقيق . ولذا لجئوا إلى الرموز كما صنع الكيميائيون والمناطقة فى المنطق الرياضى (اللوجستيك) . وذهب "ليبنتز" إلى أنه يمكن أن تحصر الأفكار جميعا فيما يسميه ألف باء الفكر الإنسانى ، ثم يوضع لكل فكرة رمز خاص ، وبذا تتكون اللغة العالمية . وليس بغريب أن يقول "ليبنتز" بهذا ، وقد عاش فى بيئة كانت اللاتينية فيها لغة العلماء .

ومحاولته هذه دون نزاع أساس لكل المحاولات التالية التى ترمى إلى تكوين لغة تجتمع عليها الإنسانية كالاسبرنتو . ولست أدرى إن كان هذا ممكنا أم لا ، لأن الأفكار الإنسانية أشبه ما يكون بنهر جار يتجدد ماؤه فى كل لحظة ودون انقطاع ، ولا سبيل إلى حصرها هذا الحصر المنشود .

ومهما يكن من أمر هذه المحاولة التى لا تخلو من خيال وجرأة فإن المصطلحات العلمية كانت ولا تزال وثيقة الصلة باللغة التى وضعت فيها . ولكل علم مصطلحاته بل ولكل مدرسة ، وكل عالم بالأمر الذى دفع إلى وضع المعاجم فى مصطلحات العلوم المختلفة . ودون أن أعرض لأمثلة من المعاجم الأجنبية أكتفى بأن أشير إلى معاجمنا العربية القديمة كمفاتيح العلوم للخوارزمى ، وتعريفات الجرجانى ، وكشاف اصطلاحات العلوم للتهانوى .

ولا أكتمكم أن متن اللغة عزيز دائما على اللغويين فيغفرون خطأ نحويا ويتسامحون فى أسلوب غير صاف ، أما أن يستعمل لفظ دخيل فهذا ما لا يقبل بحال ، وكم ثاروا من أجل ذلك وبالغوا فى الثورة أحيانا . غير أن مبدأ الحرية العلمية الذى قررناه من قبل يحملنا على أن نسلم بأن قداسة متن اللغة لا يصح أن تقف عثرة فى سبيل البحث والتقدم العلمى .

ومن حسن حظ الباحثين أن اللغات فصائل ومن الممكن أن يعاون أفراد الفصيلة الواحدة بعضها بعضا . فاللغات الأوربية التى ترجع إلى اللاتينية تستطيع أن تستعين بها فيما تحتاج إلى وضعه من ألفاظ جديدة ، بل وباليونانية أيضا التى غذت اللاتينية من قبل . وكلنا يعرف الصدور والكواسع اليونانية وما أعانت عليه من وضع مصطلحات علمية فى اللغات الأوربية .

ولم يفت المعنيين بالمصطلحات العلمية فى الإسلام أن يستعيروا من اللغات السامية كالسوريانية والعبرية ألفاظا يؤدون بها المعانى الجديدة . والمعنى المنقول يحمل معه أحيانا اللفظ الذى كان يؤدى به فى الأصل المنقول عنه . ولعل فى هذا ما يفسر الألفاظ الفارسية التى أخذ

بها المسلمون فى النواحى الإدارية ونظم الدواوين وبعض مظاهر الحضارة، وما يفسر أيضا شيوع الألفاظ اليونانية فى الفلسفة والعلوم الإسلامية. وفى " مفاتيح العلوم " للخوارزمى ما يوضح ذلك تمام التوضيح .

والعالم - قد تحرر - وينبغى أن يكون كذلك - يستمد مصطلحاته من الفصحى كما يستمدها من اللغة الدارجة . وفى أخذه عن الفصحى يشتق وينحت ويلجأ إلى المجاز فيستعير الكلمة من دلالتها اللغوية العامة ليستعملها فى دلالة علمية خاصة . وكل تلك وسائل لجأ إليها علماء الإسلام إبان ازدهار العلم والثقافة . وله أيضا أن يأخذ عن اللغة العامية إن كان أداؤها للمعنى أدق وأكمل، ولست فى حاجة أن أشير إلى أن الصلة بين العامية والفصحى أكيدة ، وأن قواميسنا اللغوية لم تستوعب كل المفردات العربية ، وربما كان الفارق بين العامية والفصحى مجرد اللهجة ونطق الحروف .

والمفردات العامية التى لا ترجع إلى أصل عربى أولى من غيرها فى الاستعارة لأنها أقامت بيننا زمنا وألفنا استعمالها طويلا . وللعالم أن يأخذ أيضا عن لغة أجنبية فيعرب إن دعا الأمر إلى التعريب . وقد عربت ألفاظ أعجمية فى الجاهلية والإسلام ، ولم ير العرب أى غضاضة فى أن يضموها إلى ألفاظهم . وليس بلازم أن يكون التعريب على أبنية العرب ، وعربت فعلا ألفاظ على نحو ما كانت تنطق به فى اللغة الأصلية . والعلم وهو تراث الإنسانية جمعاء يجب أن يفسح مجال التبادل فيه ، وأن تيسر سبله . ومن وسائل التيسير أن يسمح بتبادل الألفاظ كما تتبادل الأفكار والمعانى .

وللعالم أخيرا أن يخترع بعض الألفاظ اختراعا ويخلقها خلقا ، فيبتكر اللفظ كما يبتكر المعنى أو الحقيقة التى يكشفها بتجربته وملاحظته . والألفاظ الجديدة غريبة وغير مألوفة ، ولكن الزمن كفيل باستساغتها ، وسينتهى بها الأمر متى استقرت بأن تضاف إلى الثروة اللغوية .

٦ - مدى هذا الحق

فى كل هـذا ما يكفل حق حرية البحث المقدسة، ولكن ليس ثمة حق إلا ويقابله واجب . والحرية الصحيحة هى التى تعرف لنفسها حدودا تقف عندها دون أن يعدو عليها عاد أو يرغمها أحد، ولذا ينبغى أن تقيد حرية العالم فى وضع المصطلحات بقيود أخصها :

(أ) الحرص ما أمكن على أن يؤدى المعنى الواحد بلفظ واحد . لأن فى تعدد الألفاظ إسرافا وارتباكا وبلبلة . فيه إسراف ما أغنانا عنه خصوصا والأفكار والحقائق العلمية كثيرة ومتجددة، ونعجز أحيانا أن نجد لكل واحد منها لفظا يلائمه . وفيه ارتباك لأنه يؤذن بعدم الدقة فى أداء المعنى الواحد . وفيـه بلبلة لأن الترادف المطلق لا يكاد يوجد ، واللفظان وإن أديا معنى واحدا يتفاوتان من بعض النواحى .

(ب) يجدر بالعالم أن يعرف جيدا لغته وما اشتملت عليه من مصطلحات قديمة وحديثة ويتمكن منها كل التمكن ، وبذا يستطيع أن يلجأ إليها أولا ويستمد منها ما هو فى حاجة

إليه من ألفاظ قبل أن يلجأ إلى لغة أجنبية ، وفى وسعه أن يشتق من لغته ويفحت ويضمن ويلجأ إلى المجاز — وبابه فسيح — كى يؤدى المعنى العلمى الجديد فلا يلجأ إلى التعريب إلا فى حالات خاصة وعند الضرورة القصوى . والتعريب نفسه كلما أخذ عن الأصل اليونانى أو اللاتينى كان أولى .

(ح) لا تترك المصطلحات العلمية لهوى المصطلح وحده بل لابد أن يقره عليها أهل العلم والمختصون ، وإذا كانت المصطلحات هى لغة العلماء فمن حقهم أن يقولوا كلمتهم فيها . وهنا تبدو أهمية الجماعات والهيئات العلمية فى تكوين المصطلحات واستقرارها .

ومما يؤسف له أن المصطلحات العلمية ليست من وضع العالم وحده بل يشاركه فيها أحياناً الناقل والمترجم . ومن المترجمين من لم يتخصص فيما يترجمه ويكتفى بمعرفته للغة المنقول عنها والمنقول إليها . وقد تكون هذه المعرفة نفسها محدودة فيسيء إلى العلم والترجمة معاً . وواجب العلماء أن يرعوا هذه الترجمات ويتداركوا أخطاءها .

٧ — المجمع والمصطلحات العلمية

هذه هى المصطلحات وهذا هو حق العالم فى وضعها . ولا يفوتنى قبل نهاية هذه الكلمة أن أشير إلى موقف المجمع اللغوى منها ، وقد نص مرسوم إنشائه صراحة على أن من أغراضه " المحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وتقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر " .

وكان طبيعياً أن يعنى المجمع بالمصطلحات العلمية ، وفى أضابيره ألوف من المصطلحات فى الطب والأحياء والقانون والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضة والإحصاء والكيمياء والطبيعة والفلسفة والاجتماع ، وألوف من ألفاظ الحضارة الحديثة . وقد حاول نشر قسط منها فأخرج منذ بضع سنين مجموعة خاصة تضم نحو أربعة آلاف مصطلح . ويحاول من طريق مجلته ومحاضره أن ينشر أجزاء أخرى ، ولا يزال لديه قسم كبير لم ينشر بعد .

ومنهج المجمع فى معالجة المصطلحات واضح ويسير ، فهو يستمدها من المختصين أنفسهم ويحرص على أن يسجل ما استقر عليه رأيهم . وسبيله إلى ذلك لجانه التى تعول على الخبراء من أساتذة الجامعة وغيرهم ، ولهؤلاء أن يقترحوا اللفظ الذى يرونه عن طريق البحث والاشتقاق أو النقل والتعريب ، وما ترتضيه اللجان يعرض على مجلس المجمع ثم مؤتمره ، فإذا ما أقر بلغ للهيئات العلمية المختلفة لينال حظه من النقد والملاحظة أو التأييد والموافقة .

ولكى ييسر المجمع على العلماء مهمتهم أقر طائفة من المبادئ فيها كثير من التسامح والتجديد ولا أظنها ذاعت بين الناس بدرجة وافية ، وأكتفى بأن أشير إلى أمثلة منها :

١ — فأجاز المجمع الاشتقاق من أسماء الأعيان وفتح بذلك باباً أريد به أن يغلق يوم أن قررت تلك القاعدة المشهورة من أنه لا يشتق من لفظ جامد .

٢ — وقبل المصدر الصناعى ورسم السبيل لتكوينه ، وهو أن يزاد على الكلمة ياء النسب

والتاء . والمشتغلون بوضع المصطلحات يدركون ما لهذا المصدر من شأن فى أداء بعض الحقائق العلمية والفلسفية وخاصة أسماء النظريات والمذاهب المنتهية بـ ism .

٣ — سمح بالتعريب واستعمال الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب وتعريبهم، وقد أقر فيما عرض عليه من مصطلحات عددا غير قليل من الألفاظ المعربة . وعن طريق التعريب يجيء المولد ولا يرى المجمع ما يمنع من قبوله سواء أجاء على أقيسة العرب أم خرج عليها .

٤ — حاول أيضا أن يقيس فيما لم يقل بالقياس فيه، فصاغ اسم الآلة من الثلاثى قياسا على وزن مفعل ومفعال ومفعلة ، واتخذ وزن فعالة للدلالة على الحرفة وما أشبهها من أى باب من أبواب الثلاثى، ووافق على النسب بالألف والنون والياء إلا إن تجافى مع الذوق العربى كروحانى ونفسانى ، وعلى دخول « أل » على حرف النفى كاللاهوائى واللامائى .

٥ — ولم يفته أن يرسم طريقا لكتابة الأعلام الأجنبية مقررا أنه ينبغى أن تكون بوجه عام على حسب ما تنطق به فى اللغة الأصلية ، اللهم إلا إن كان قد نطقها العرب قديما على نحو خاص ، فيلتزم هذا النطق .

ولست فى حاجة أن أشير إلى أن هذه المبادئ تيسر كثيرا من أمر المصطلحات ووضعها ، وأخشى ما أخشاه أنها غير معروفة معرفة تامة لأن نشرها لا يزال محدودا حتى اليوم . وعسى أن ينشر المجمع قراراته العلمية كلها فى استقلال فيتيح للباحثين مراجعتها والإفادة منها .

***

شغل المجمع اللغوى إذن بالمصطلحات العلمية تسجيلا وضبطا ، إن كان قد أصابه منها بعض العنت فكانت أحيانا مثار التندر والفكاهة ، وليس حديث الأرزيز " والشاطر والمشطور وبينهما طازج " عنكم ببعيد وقد حاولت جهدا أن أعثر لها على أصل فى مجلات المجمع ، ويظهر أن واضعى بعض المصطلحات وألفاظ الحضارة يحاولون أن يعزوها إلى الخالدين رجاء أن يكسبوها شيئا من التأييد والقداسة .

ومع هذا لم يتردد المجمع فى أن يعيد النظر فى مصطلحات سبق له أن أقرها لأن العلم فى حركة مستمرة . وحرص على أن يقرن المصطلح بتعريف يوضحه ويحدد معناه ما أمكن، ولا يتردد فى أن يرسل إلى الهيئات العلمية فى الداخل والخارج ما يقره من مصطلحات ويرحب بما تبديه من ملاحظات . وفى توفر هذه الهيئات ونشاطها ما يعينه على أداء رسالته .

وإذا كانت المجامع اللغوية فى بلاد أخرى لم تشعر بعبء المصطلحات العلمية شعور مجمعكم فذلك إلا لأنه قامت بجانبها مجامع علمية تستعرض المصطلحات وتمحصها بحيث لا يبقى لرجل اللغة إزاءها إلا تحكيم ذوقه ثم تسجيلها . وهذا نقص لمسناه من قديم، وفى أضابير وزارة التربية والتعليم مشروع قانون بتكوين المجامع العلمية إلى جانب المجمع اللغوى ، وقد يأخذ طريقه يوما إلى عالم النور . وإذا كانت المصطلحات الطبية تكون قسطا كبيرا مما أقره

المجمع فإن فضل هذا يرجع خاصة إلى جهود الجمعية الطبية التى تعد نواة صالحة لمجمع العلوم الطبيـــة .

قد يقال : وما قيمة مصطلحات يقرها المجمع ثم تبقى فى أضابيره أو تنشر فى مجلته ومحاضره ؟ ألا يصح أن نفكر فى طريقة للإلزام وأخذ الناس بها؟! ولا أخفى عنكم أن هذه المسألة أثيرت من قبل، ومن حسن الحظ أنه لم يؤخذ بها لا داخل المجمع ولا خارجه ، وعندى أن من يؤمن بالحرية يفضلها على كل نجاح يستطيع أن يحرزه من طريق غير طريقها ، وهو على كل حال نجاح مؤقت وسريع الزوال .

ويكفى المجمع أن يفتح الباب للدارسين وأن يسجل ما يقرون، فهم الذين يأخذون بيد العلم وهم الذين يستطيعون أن يعدلوا مصطلحاته أو يضيفوا إليها الجديد .

التعقيب على المحاضرة

ثم دعا الدكتور عبد الحميد العبادى الرئيس النائب الحاضرين للاشتراك فى المناقشة فطلب كثيرون الكلمة وأعطيت للآتية أسماؤهم على التوالى.

١ — الأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية :

أحب أن نتدبر قليلا فى هذا التفصيل الدقيق الذى عرضه علينا الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور عن الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة. وإنه ليخيل إلى أننا نقف دائما بيننا وبين أنفسنا لندرك هذا المبدأ كل الإدراك، فاللغة لا يمكن أن تنمو مستقلة عن فكر أهلها، لكننا — لسوء الحظ — فى موقفنا من لغتنا العربية لا نزال نهمل إنماءها وإحياءها فى جانب العلم وخاصة فى مرحلتنا المعاصرة التى نعيش فيها، وهنا أرجو أن أمس الموضوع برفق.

فلا تزال دراساتنا العلمية فى مختلف العلوم من طبيعة وكيمياء وطب وهندسة ورياضة، تدرس عمدا وعن قصد بغير اللغة العربية. وظاهر أننا نلجأ إلى اللغات الأجنبية ندرس بها مختلف العلوم لا عن عجز فحسب — وإنما لأننا لسنا مؤمنين بعد بتلك الصلة بين الفكر واللغة حتى تكون الدراسات العلمية بلغتنا العربية. فتاريخ هذه العلوم مجهول كل الجهل لشبابنا الذين ندرس لهم هذه العلوم، والشاب العربى المصرى والعراقى — مثلا — باستثناء السورى يدرس بلغة أجنبية، والنتيجة الحتمية أن هذا الشاب العربى ينمو وتنمو بداخله شخصيتان: إحداهما شخصية عربية لغير العلم، والأخرى شخصية علمية غير عربية.

ومن العجيب أن مصر عالجت هذا الموضوع فى النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ جيء بالعالم الأجنبى ليدرس، وجيء معه بعالم أزهرى، وبين الاثنين مترجم ينقل عن الأجنبى إلى الأزهرى وعن الأزهرى إلى الأجنبى، وبذلك بدئ فعلا بوضع المصطلحات العلمية الأجنبية بلغة عربية.

وإنى لأتكلم عما يساورنى من قلق شديد بعد أن ناقشت فى هذا الموضوع كثيرا من المشتغلين بالعلم فى جامعاتنا المصرية فلم أجد منهم استجابة أو تنبها لخطر الدراسات باللغة الأجنبية فى نمو الفكر ونمو اللغة.

هذا ما جال بفكرى وأنا أستمع للتفصيل البديع الذى قام بعرضه الزميل الحاضر.

٢ — الدكتور عبد الحليم منتصر عميد كلية العلوم بعين شمس :

أحب أن أسجل عظيم شكرى للزميل الأستاذ خلف الله على غيرته على اللغة العربية، فهى أمانة فى أعناقنا، وأؤكد له أننا لم نغفل العلاقة الوثيقة بين العلم واللغة، وأن اللغة العربية التى هى تراث الأجيال الماضية أمانة فى أعناقنا وعلينا أن نسلمها الأجيال الآتية بعدنا، وأن نزيد ثروتها العلمية. وإننا نعمل فى سبيل ذلك منذ خمسة عشر عاما، فالتدريس فى كليات العلوم — فى كثير من المواد — هو باللغة العربية، وإننا نؤلف فى العلوم باللغة العربية ولولا أننا فى حاجة إلى الاستفادة من ترجمة المصطلحات والمراجع لدرسنا المواد جميعها فى الفرق عامتها باللغة العربية.

هذا و إننا فى أمس الحاجة لمسايرة العلوم ومتابعة البحث العلمى فى الدول الغربية حتى لا نتخلف عن ركب التقدم العلمى فلا تقطع الصلة بيننا و بين متابعة العلوم المستحدثة .

٣ — الأستاذ الساعى بيومى وكيل كلية دار العلوم سابقاً :

إننا لنقدر الأستاذ المحاضر حق قدره فيما بسطه علينا من إيضاح وتفصيل فى محاضرته القيمة ، والذى ألاحظه هو ما أشار إليه سيادته فى آخر المحاضرة من أن رجال المجمع آثروا أن يتركوا جهودهم فى بطون مادونوا دون أن يمدوا إلى إخراجها ونشرها على المجتمع . و إن كان هناك لون لا نرضى عنه من ألوان الحرية فهو هـذا اللون ، فليس كل إنسان قادرا على أن يذهب إلى المجمع اللغوى ليحصل على ما يريد ، فالأساتذة والمدرسون يودون من صميم قلوبهم أن يعمد المجمع إلى نشر قراراته و إبحاثه على الناس ، فإن التدريس الحديث فى أمس الحاجة إلى هـذا النشر .

لا يمكن أن نقول : إن جميع المشتغلين بالتدريس العام فى نواحى المصطلحات العلمية يستعملون فى تدريسهم ما قرره المجمع . إننا الآن فى سبيل التقرب للعربية و إثباتها و إحلالها محل اللغات الأجنبية ، ولا سيما أن الدعوة إلى القومية العربية التى تشمل مجموعة الدول العربية التى تنشد الاتحاد تطالب المجمع أن يتخذ السبيل الصريحة ، وأن تعمل الحكومة على إصدار قوانين تفرض على الناس ما يقرره المجمع . و بهذه الوسيلة وحدها تحقق هـذه الوحدة العلمية الاصطلاحية التى تريدها مصر لنفسها وللعرب أجمعين .

٤ — الدكتور كامل منصور الأستاذ بكلية العلوم :

إشارة وجيزة أود تسجيلها فيما يختص بالترجمة . فالترجمة العلمية ليست كلها فى أيد غريبة عن العلم ، بل قامت منذ سنوات عدة حركات مباركة فى وزارة التربية والتعليم كان الفضل فى إقامتها إلى المشتغلين بالعلم . وفى مقدورى أن أقول : إن وزارة التربية والتعليم أنفقت أكثر من عشرين ألف جنيه لترجمة بعض الكتب العلمية التى اختيرت بوساطة المشتغلين بالعلم والتى تشغل مناهج متعددة فى العلوم .

وكم يحزننى أن تبق هذه الترجمات فى خزائن الوزارة ، و يغلب على ظنى أنها لن توصل إلى المطبعة . وكم كنت أود أن تتم هذه النعمة التى بدأتها مصر من عشرات السنين فتخرج هذه الترجمات عن طريق الطبع وتصبح مادة طيبة بين يدى المشتغلين بالتدريس فى ميدان المصطلحات العلمية .

والمصطلحات العلميـة لن تستقر إلا عن طريق النشر والاستعمال ، ولن يستطيع المجمع إقرار مصطلح ما لم يقره المشتغلون بالعلم .

نحن نقدر ما قام به المجمع نحو المصطلحات العلمية المختلفة ، ونحاول دائما أن نرجع إلى مصطلحاته رغم الصعوبات التى تعترض سبيلنا ، لكن ما يحزننا حقا هو ألا يتوافر لنا نشر الكتب المترجمة المودعة خزائن وزارة التربية والتعليم

٥ — الدكتور عبد المنعم الشافعى المدير العام لمصلحة الجمارك :

رداً على كلام الأستاذ محمد خلف الله فيما يختص باستخدام اللغة العربية فى ترجمة العلوم المختلفة ، أقرر أن العلماء المصريين لا تنقصهم الرغبة فى إحلال الألفاظ العربية السليمة محل الألفاظ الأجنبية . ولى خبرة فى هذا الموضوع أوضحت لى أنه يعترض سبيلنا فى الاصطلاح باللغة العربية عقبتان :

الأولى — عقبة شخصية هى فقر العلماء المصريين فى ثروة اللغة العربية . وهذا الفقر ناتج عن جهلهم بالألفاظ العربية العديدة التى تضمها معاجم اللغة العربية .

وقد أمكن لى التغلب على هذه العقبة بالاجتهاد ، فتيسر لى الوصول إلى ألفاظ عربية سليمة تؤدى المعنى المراد للمصطلح الأجنبى .

العقبة الثانية : هى عدم اتصال العلماء المصريين بعضهم ببعض فى وضع هذه المصطلحات مما أدى إلى البطء فى ترجمة العلوم المختلفة ، فقد لاحظت أنى حينما أحاول الترجمة منفرداً يتابنى شىء من التردد فى اختيار اللفظ العربى المناسب ، وحينما اجتمع بغيرى من العلماء نجد الشجاعة فى ترديد أفكارنا والوصول إلى مصطلح سليم مستساغ نتفق عليه فى سرعة ، ويصبح دستوراً بيننا ، ثم يشيع استعماله فى المحيط العلمى بعد ذلك شيوعاً سريعاً .

وإنى لأؤكد فكرة السيد الحاضر فيما أدلى به من وجوب وجود هيئات علمية بجانب المجمع تمده بالمصطلحات المختلفة فى العلوم المتنوعة ، وعلى الجمعيات العلمية القائمة ألا تغفل واجبها فى إنفاق شىء من الجهد والوقت فى سبيل المعاونة فى وضع المصطلحات العلمية .

٦ — الأستاذ عباس حسن الأستاذ بكلية دار العلوم :

أحسن المجمع إلى نفسه وأحسن إلينا حين فتح باب المناقشة العامة ، إذ كنا نعتقد أن عضو المجمع إذا دخل دار المجمع قال : من دخل داره وأغلق بابه فقد أراح واستراح . ونحن قد أمضينا على باب المجمع اثنين وعشرين عاماً لم نطلع خلالها على قليل أو كثير مما عمله المجمع . وقد سمعت من المحاضر — الآن — فى محاضرته الخطيرة مسائل استرعت انتباهى ، وأعتذر للسيد الرائد عما بدا لى وعذرى واضح إلى أنى لم أطلع على ما عمله المجمع .

السيد المحاضر يقول : إن الاصطلاح العلمى قد يدفع العالم إلى أن يأخذ من اللغة العامية . ولست أفهم أبداً كيف أن اللفظ يكون اصطلاحاً وهو مأخوذ من اللغة العامية ، فقد كنا نسأل فى فجر حياتنا : ما هو الاصطلاح ؟ فنجاب بأنه لفظ تتفق عليه طائفة من أهل العلم ويعبر به عن معنى خاص ، فكيف يتأتى هذا باللجوء إلى اللغة العامية ؟ هذا وقد استرعى انتباهى شىء آخر هو ما قاله السيد المحاضر من أن طائفة من العلماء قد يعجزون عن إيجاد اللفظ العربى المناسب لمقابله الافرنجى فيلجئون إلى الاختراع ، أى يأخذون أى لفظ ويصطلحون عليه مع أن المخترعات المستحدثة وقف على الذى استحدثها أو وقف عليه وعلى زملائه أهل الفن أو العلم ، ومن هنا لا يصح الاصطلاح إلا باتفاق أهل الطبقة من المتخصصين .

أما قرار المجمع فى التعريب ولست أعرفه فأقول : قضى المجمع اثنين وعشرين عاما وهو يضع المصطلحات . فلكن هذه المصطلحات قد جاوزت عشرات الألوف، ولكنى أنظر يمينا ويسارا فلا أجد شيئا ما اصطلح عليه المجمع من أسماء أدوات هذه الحجرة . ومما أذكره أن الترام قد كاد عهده ينقضى وستحل محله آلة جديدة قبل أن يضع المجمع لأجزائه أسماء، وقد تنقرض السيارة أيضا قبل أن تعرف أسماء أجزائها الرئيسية ، وهكذا أرى أننا لو وكلنا إلى المجمع وضع أسماء لكل مظاهر الحضارة فلا شك أننا نكلف أعضاءه عسرا ، وأن بعض المخترعات تتغير قبل أن يصطلحوا على أسماء لها بالعربية .

وإنى لأرى ألا نقف أمام المخترعات الحديثة ونكلف المجمع وضع ألفاظ عربية لها . وأنا لا أرى داعيا لهذا التزمت من ضرورة اختيار ألفاظ عربية، فالقرآن الكريم فيه آية جمعت سبعة ألفاظ أعجمية، ومعلقة امرئ القيس بها ثلاث كلمات أجنبية فى ثلاثة أبيات متوالية . والمجمع فى مجلده الأول أو الثانى يقول إن شعر الجاهليين قبل الإسلام جمع ما يزيد على ألف كلمة من سريانية وحبشية ، فإلى متى ننتظر ؟

هذا ما استرعى انتباهى قد عبرت عنه بصراحة .

٧ – الدكتور فؤاد الأهوانى : الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة :

أرى عرض اقتراحين عمليين فى الموضوع :

الأول أن كل من يترجم كتابا أجنبيا إلى اللغة العربية عليه أن يضع فى آخره ثبتا بالمصطلحات فيسر لنا وللمجمع أن يجد الثروة التى يأخذ منها .

الاقتراح الثانى أن يقوم المجمع بطبع ما لديه من مصطلحات ويضعها بين أيدى الجمهور ويتقبل ملاحظاتهم عليها ويدرسها .

وبذلك يساير تطور الحضارة الحديثة .

٨ – الدكتور إبراهيم بيومى مدكور : المحاضر :

أشكر السادة المعقبين ملاحظاتهم التى يمكن أن ترد إلى بابين :

الباب الأول : مساجلة بين رجال العلم والأدب . وقد سرنى أن عميد العلوم التقى مع عميد الآداب فى ضرورة تدريس العلوم باللغة العربية .

حقا لقد فات الوقت الذى كنا نزعم فيه أنه لا يمكن تدريس العلوم باللغة العربية، وأشهد بأن رجال العلم خطوا فى سبيل ذلك خطوات لا بأس بها . ولكنى ألاحظ – متفقا مع الدكتور الشافعى – أنه تنقصهم أحيانا الثروة اللغوية اللازمة، وما ذاك إلا لأنهم لم يعدوا فى مراحل التعليم الأولى إعدادا لغويا كافيا، وحتى الآن لا يشعر التلميذ فى المدرسة الابتدائية والثانوية شعورا كافيا بأن العربية هى لغته الوطنية . وما أجدرنا أن نيسر عليه من أمر هذه اللغة ما استطعنا، وأن نزود شباب الجامعة منها بزاد واف كى يستطيعوا أن يبحثوا ويؤلفوا فى يسر باللغة العربية .

وإلى جانب هذه الدعامة نحن فى حاجة إلى دعامة أخرى وهى تزويد المكتبة العربية بكتب علمية يجد الباحث فيها غناء عن الرجوع إلى المصادر الأجنبية . وقد ظهرت فى ربع القرن الماضى كتب علمية باللغة العربية تأليفا أو ترجمة ولكنها لا تزال دون الكفاية . وإنى لأضم

صوتي إلى صوت الدكتور كامل منصور مناديا بضرورة نشر ما سبق للإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم أن دعت إلى ترجمته من كتب علمية. ومن العبث أن تترك مترجمات كهذه دون أن تنشر ويستفيد منها الباحثون والقراء. وإلى جانب هذا أرجو أن نتفق مع الدكتور كامل على أن هناك أشخاصا تعرضوا لترجمة بعض الكتب العلمية دون أن تتوفر لديهم كل الوسائل اللازمة فأساءوا إلى العلم والمصطلحات العلمية.

الباب الثاني: عتب على المجمع أرحب به. ولعل ما أخذ به المجمع نفسه من عقد هذه الجلسات العلنية إنما هو للاستماع إلى تلك الملاحظات التي أبديت الآن.

إلا إن هناك أمورا إن استبانت زال كثير من هذا العتب. فالأستاذ السباعي فهم من كلامي ما لم أرده، ولعلها غلطتي، والمهم هو أن المجمع لا يعارض مطلقا في نشر ما لديه، بل يسعى إلى نشره بما توفر لديه من وسائل في مجلته ومحاضره، وهو يشعر بأن هذا النشر غير كاف. وقد قرر في مؤتمره هذا أن ينشر مصطلحاته وقراراته في مطبوعات صغيرة يسهل تداولها، ونرجو ألا يحول نقص الاعتمادات دون ذلك.

أما موضوع الحرية الذي أشرت إليه فيتلخص في أن المجمع يقدس حرية البحث والباحثين ولا يحاول مطلقا أن يفرض مصطلحات على الناس، وإنما يتصل بالأساتذة الجامعيين اتصالا وثيقا ويندبهم للمشاركة في وضع المصطلحات. ولا يقر واحدا منها إلا بعد استشارة الفنيين منهم.

أما ما لاحظه أحد المعقبين على قولي بالجوء إلى العامية في الوقت الذي لا تسعفنا فيه العربية فأقول: إن العالم في بحثه عن اللفظ الذي يلائم المعنى يتجه أولا نحو الفصحى ليأخذ عنها لفظا عربيا أصيلا، فإن عز عليه لجأ إلى النحت أو الاشتقاق أو التضمين أو المجاز، فإن تعذر ذلك لجأ إلى اللغة الدارجة يأخذ ما يشاء لأداء المعنى الذي يريده ويصقله ويهذبه ويكسوه ثوب الفصحى. ومن الخطأ الشائع أن نعتقد أن كل ما يجرى على ألسنة العامة خطأ، والحقيقة أن كثيرا من ألفاظ العامة عربي فصيح، ولو عدلت اللهجة والنطق لبدأ اللفظ عربيا فصيحا.

أما التعريب فمعناه استعارة لفظ أجنبي ووضعه في قالب عربي، وهذا موجود في كل اللغات الحية. فمثلا كلمة أيدروجين وأكسوجين لم نجد لهما مقابلا عربيا، فأخذنا اللفظين وعربناهما واشتققنا من الأيدروجين فعلا هو أدرج أودرجن، والزمن كفيل بالحكم على اللفظ الجديد من حياة أو موت.

ومهمة المجمع أمام ألفاظ الحضارة الحديثة هي أيضا تسجيل ما اصطلح عليه الناس وارتضوه بعد صقله بالذوق العربي. فالمجمع يسجل ما يجده اليوم، وإذا جاءت غدا مخترعات ومستحدثات جاء مجمعيون آخرون يغيرون ويبدلون، وتلك سنة النشوء والارتقاء. وما سمي المجمعيون خالدين لخلود أشخاصهم بل لخلود اللغة التي يخدمونها. فهي خالدة يموت المشتغلون بها وتبقى هي حية نامية.

* *

وبذا انتهت الجلسة الثانية العلنية، وأعلن السيد رئيس الجلسة انتهاءها.

توحيد المصطلحات العلمية فى البلاد العربية

للأستاذ الأمير مصطفى الشهابى
عضو المجمع

هذا رأى أعرضه على زملائى المجمع الأفاضل، لا أدعى أنه أصلح الآراء، ولا أنى فيه معصوم من الزلل.

لقد قلت فى حديث سابق إن اختلاف المصطلحات العلمية أصبح داء من أدواء لغتنا الضادية، وإن هذا الداء ينمو ويستشرى كلما اتسعت الثقافة فى البلاد العربية وازداد فيها عدد نقلة العلوم الحديثة وعدد المؤلفين فى تلك العلوم.

ومن العبث أن أذكر لكم أمثلة على اختلاف المصطلحات فى مختلف العلوم، فكلكم يعرف منها الشىء الكثير.

منذ انفصال الشام والعراق عن الدولة العثمانية عقب الحرب الكبرى الأولى (١٩١٤-١٩١٨ م) اتخذ الشام والعراق اللغة العربية لغة رسمية للتدريس فى المدارس الحكومية. ومنذ ذلك الزمن بدأ المدرسون والأساتذة يشعرون بالحاجة إلى توحيد المصطلحات العلمية فى الكتب المدرسية.

وأنشأ العراق مدارس عديدة فى عهد فيصل ابن الحسين طيب الله ثراه. واحتاج إلى الكثير من المدرسين، فاستدعى معظمهم من مصر وسورية ولبنان. وهناك بدأ احتكاك بعضهم ببعض وبدءوا يشعرون جميعا باختلاف المصطلحات العلمية. فالذين أتوا من سورية كان عددمنهم قد تعلم فى المدارس التركية وحفظ المصطلحات العربية التى ضمها الترك إلى لغتهم، ومعظم اللبنانيين وبعض السوريين كانوا من الذين تعلموا فى مدارس فرنسية أو أمريكية أو إنكليزية. فرجعوا نقل المصطلحات عن كتب فنديك وبسط وورتبات وغيرهم من الأساتذ الأول فى الكلية الأمريكية. وكان للمدرسين المصريين مصطلحات وضع كثير منها فى نهضة القرن الماضى. وهكذا ولد هذا الاتصال شعورا بضرورة جعل المصطلحات العلمية واحدة فى الكتب المدرسية.

ولكن كيف السبيل إلى ذلك عند ما يكون معظم هؤلاء المتصدين إلى التعليم غير قادرين على وضع المصطلحات ولا على تمييز الراجح منها عن المرجوح؟

وازدادت بعدها وسائل الاتصال بين الشعوب العربية، وجعل طلاب الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية يتزاورون ويتباحثون فى شتى العلوم المدرسية، فلمسوا هم وأساتيذهم فى أحاديثهم اختلاف الألفاظ العلمية فى مختلف أقطارهم. ولقد سمعت بعضهم غير مرة يتناقشون فى رجحان هذه اللفظة أو تلك.

وعندما جلا الفرنسيون عن سورية فى سنة ١٩٤٦ وأغلقوا بعض مدارسهم، أنشأت وزارة المعارف السورية مدارس حكومية بدلا منها، واحتاجت إلى مدرسين، فطلبتهم من القطر المصرى

وأتذكر أن بعض المدرسين السوريين كانوا يختلفون هم وزمـــلاؤهم المصريون على بعض المصطلحات ويسألونني عن رأيي فيها ، وكل من الفريقين يتعصب لمصطلحاته ، لأنها هي التي تعلمها في مدارس قطره .

وفى الاجتماعات التى كان يعقـــدها مجلس جامعة الدول العربيـــة ولجانه المختلفة كان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات الحكومية يزداد فى اطراد . وما من اجتماع حضرته ممثلا فيه لحكومتى إلا وتطرقنا فيه إلى هذا الحديث عرضا .

وفى لجنة المواصلات الدائمة التابعة للأمانة العامة لجامعة الدول العربية كنا قررنا أن يأتى مندوبو الدول العربية بقوائم لمصطلحات البريد والبرق والهاتف التى تستعمل فى أقطارهم ، وأن تنظر لجنة فرعية فى توحيدها ، وأن تقدم المصطلحات المتفق عليها إلى مجمع اللغة العربية ؛ حتى إذا أقر الصالح منها التزمته اللجنة الدائمة ، وطلب مندوبو كل حكومة عربية من حكومتهم أن تلتزمه . ولما كان هؤلاء المندوبون هم فى الغالب رؤساء دوائر البريد والبرق والهاتف وكبار موظفيها فى بلادهم كان من المتوقع أن يكون لهم تأثير كبير فى تلك الدوائر فتقتصر على استعمال المصطلحات المتفق عليها .

والمحامون العرب مؤتمرات يعقدونها ويدخلون المصطلحات القانونية وتوحيدها فى جملة بحوثهم وذلك لما يشعرون به من ضرر ينتج عن اختلاف تلك المصطلحات فى شتى الأقطار العربية .

وكل من له صلة بالشؤون الطبية يعرف أن فى مصر جمعية اسمها . الجمعية الطبية المصرية تأسست سنة ١٩١٩م وراحت تعقد مؤتمرات سنوية فى مختلف البلاد العربيـــة يشترك فيها الأطباء العرب ويتداولون فى شؤون مهنتهم . ونعرف كلنا أن هـــذه الجمعية قد أخذت على عاتقها فى كل مؤتمر تعقده البحث فى المصطلحات الطبية العربية وفى ضرورة توحيدها . وأتذكر أنها عقدت مؤتمرها السنوى الثامن سنة ١٩٣٥ فى دمشق وكان رئيسه المرحوم الدكتور على إبراهيم الجراح الشهير ، فألقيت فيه على المؤتمرين والمستمعين حديثا عنوانه " طرائق نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية " . وألقى غيرى أحاديث تناولوا فيها بعض المصطلحات الطبية .

ثم عقد مؤتمر آخر سنة ١٩٤٦ فى حلب ، وكنت يومئذ متوليا أعمال تلك المحافظة ، ومما أذكره أن رئيس المؤتمر (وكان الفقيد الدكتور محمد خليل عبد الخالق) ناقشنى فى المصطلحات الطبية والنباتية، فكان من رأيه فتح باب التعريب على مصراعيه حتى فيما يمكن ترجمته بسهولة وبألفاظ عربية سائغة .

وكان من رأى الزميل المحترم الدكتور منصور فهمى ورأيى السير بتؤدة فى أمور التعريب ، وضربنا على صحة رأينا أمثالا عديدة .

وفى صيف السنة الماضية عقد مؤتمر هذه الجمعية فى دمشق ، فلم أر فائدة فى هـــذه المرة فى إدلاء دلوى بين الدلاء ، لأن موضوع المصطلحات الطبية وتوحيدها يتكرر فى مؤتمر

كل سنة من دون أن يحصل فيه عمل جدى ، وتظل مدارس الطب فى مصر وفى بغداد تدرس بالإنكليزية ، وهكذا تذهب محاولات المؤتمرين عبثا .

وقد اتصل بى أن الجمعية الطبية قررت فى مؤتمرها العشرين أن تدرّس العلوم الطبية باللغة العربية . ولكن التقرير شىء والتنفيذ شىء آخر . وما فائدة القرارات إذا كان واضعوها لا يملكون سلطة تنفيذها ؟

وللإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية أيضا محاولات لحل هذه القضية المعقدة آخرها على ما أعلم إدراج موضوع المصطلحات وتوحيدها فى جملة أعمال المؤتمر العلمى العربى الأول الذى عقد بالإسكندرية فى أيلول " سبتمبر " من سنة ١٩٥٣ . وفى كراس اشتمل على خلاصة أعمال المؤتمر آراء لبعض الأساتيذ والجمعيات فى وسائل وضع المصطلحات العلمية ووسائل توحيدها . وعلمت منذ بضعة أيام أن الإدارة الثقافية المذكورة آنفا بعثت تطلب من الدول العربية ما اعتمدها من مصطلحات فى كتب التعليم الابتدائى والثانوى لكى تعالج موضوع توحيد تلك المصطلحات .

والخلاصة أن الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح فى البلاد العربية شعورا عاما . والآراء متضاربة فى الوسائل التى يجب أن نتوسل بها لبلوغ هذه الغاية .

ولا بد قبل البحث عن تلك الوسائل من القول بأن وضع المصطلحات نفسه سيظل مدة من الزمن عملا من أعمال الأفراد لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها . ومتى كان الأمر على ما ذكرت يكون من المحتم حصول اختلاف على الألفاظ العربية الدالة على معنى علمى واحد . لأن لكل عالم من علمائنا القادرين على وضع المصطلحات رأيا خاصا فى معالجة كل لفظة علمية أعجمية كالعدول فى نقلها إلى العربية إلى الترجمة أو الاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التعريب . ثم إن أذواق هؤلاء العلماء تختلف أيضا فكلمة (Amibe) مثلا سميتها النقاضة والمتمورة فى معجمى . وسماها الأب أنستاس المتمورة . وقبل هذا الجمع الكلمة الأخيرة ونشرها فى مجلته . فإذا بى أقرأ فى كراس رأيا لأحد الأساتيذ يقول فيه إن اصطلاح المتمورة مخالف للذوق اللغوى ومن الوحشى ، والأميبة تفضله . فما هو الذوق اللغوى هذا على الضبط ؟ ومن هو الذى يستطيع تفضيل ذوق زيد على ذوق عمرو فى موضوعات كهذه ؟ وماهى شروط التحلى بهذا الذوق ؟ وهل يكفى الذوق وحده للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية ؟

كل ذلك يحتاج إلى أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها ، وتخضع الحكومات العربية والأفراد من العلماء والأساتيذ لحكمها . فما هى أداة الترجيح هذه ياترى ؟ وماهى الطرائق التى يجب أن نتبعها لكى تحصل لنا فى مدة وجيزة على جملة كافية من المصطلحات العربية فى مختلف العلوم العصرية ولكى تحمل الأقطار العربية كافة على استعمال تلك المصطلحات دون غيرها .

إن أول الأسماء التى تتبادر إلى ذهننا اسم مجمع اللغة العربية فى مصر . فهذا المجمع قد تفرد منذ سنين بمعالجة شؤون اللغة العربية ومصطلحاتها . ثم إن مقره فى عاصمة أكبر قطر عربى حيث يوجد أكبر عدد من العلماء باللغة العربيـــة و بالمصطلحات العلمية وحيث تكثر المراجع التى يستعان بها .

ولكن الغرض الذى ننشده هو عمل قومى كبير لا تكفى فى تحقيقه فى مدة وجيزة وسائل المجمع المتيسرة له .

وقبل أن أبحث عن الوسائل التى أراها ناجعة فى تحقيق غرضنا لابد من تحديد هذا الغرض على وجه الضبط ، فنحن نريد :

١ — أن يكون فى الأقطار العربية معجم فرنسى عربى ، ومعجم إنكليزى عربى ، للمصطلحات العلمية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة يشتمل على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها مما يحتاج إليه فى التعليم الثانوى وفى قسم من التعليم العالى على الأقل ، شريطة أن تعرف ألفاظ المعجم بالعربية تعريفا علميا مختصرا دقيقا يناسب حجمه .

٢ — ونريد أن تلتزم الحكومات العربية استعمال ألفاظ المعجم العربية دون غيرها فى دوائرها وعاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

٣ — ونريد أخيرا أن يتم وضع المعجم فى بضع سنين أى فى مدة قصيرة .

فهناك إذن ثلاثة عوامل لابد من توفرها فى الأداة التى يطلب منها تحقيق هذه الرغبات وهى :

١ — إمكان الحصول على أموال كافية .

٢ — الاستعانة بأكبر عدد من الاختصاصيين بالمصطلحات العلمية لقاء تعويضات عادلة .

٣ — التأثير فى الحكومات العربية .

فالمجمع لا تتوفر فيه جميع هذه العوامل فى أيامنا هذه ، لأن موازنته محدودة ، ولأنه لا يجـوز أن تتحمل الحكومة المصرية وحدها نفقات هذا العمل الكبير .

ولابد لنا إذن من النظر إلى المشروع نظرة قومية شاملة ، فيظل هذا المجمع الموقر هو الأداة التى تسعى لتحقيقه على أن تمده الدول العربية كافة بالمـال ، وعلى أن يستعين على إتمام العمل فى مدة قصيرة بجهود أكبر عدد من علماء الأقطار العربية الصالحين لهـــذا العمل .

ومجلس جامعة الدول العربية هو فى نظرى أصلح أداة تضـــمن إشراك دول الجامعة بالنفقات اللازمة لتنفيذ المشروع ، ويتوقف تنفيذه إذن على قيام تآزر وثيق بين مجمع اللغة العربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ورهط الاختصاصين بالعلوم ومصطلحاتها . والطرق التى أرى أن تسلك هى :

(١) تؤلف لجنة مشتركة من المجمع ومن الأمانة العامة للجامعة (الإدارة الثقافية) فتضع تقريرا محكما فى ضرورة تصنيف المعجم وفى الطرق التى يجب سلوكها لإتمامه فى بضع سنين وفى مقدار المـال اللازم لهذا العمل .

(٢) تعرض الأمانة العامة لجامعة هـذا التقرير على مجلس الجامعة . وفى عقيدتى أن المجلس سيقر المشروع ويقر تخصيص المال الضرورى له ، لأن جميع الدول العربية تقدر أهميته ، ولا تحجم عن الاشتراك فى نفقاته .

وقد لمست ذلك مرات فى أحاديثى مع كثيرين من ممثلى الدول العربية فى مجلس الجامعة .

(٣) عندما يحصل المال فى صندوق الأمانة العامة لجامعة يحول دفعة واحدة إلى صندوق المجمع على أن يفتح له حساب خاص مستقل غير تابع لقيود وزارة المالية "ولوائحها" .

(٤) تؤلف فى المجمع لجنة تسمى " لجنة معجم المصطلحات العلمية " أو " لجنة المعجم الأعجمى العربى " يكون لها شخصية معنوية واستقلال مالى . وهـذه اللجنة هى التى تنظر فى شؤون تصنيف المعجم وفى الإنفاق على هذا العمل، على أن يشرف عليها رئيس المجمع وكاتب سره، وعلى أن يكون لأمين الجامعة العـام حق الإشراف على نفقاتها .

(٥) تعمد اللجنة إلى معجم أعجمى كمعجم لاروس مثلا فتجرد ألفاظه وتستخرج منها المهم من الألفاظ العلمية وتفصل بعضها عن بعض على حسب العلوم، وهذا العمل صعب . وهو من أهم أعمال اللجنة .

(٦) توزع اللجنة المواد الأعجمية المذكورة بين علماء الأمة العربيـة فى مختلف أقطارها سواء أكانوا من أعضاء المجامع اللغوية والعلمية، أم من أساتيذ الجامعات القادرين على وضع المصطلحات العربية أم من الأفراد الذين اشتهروا بالتخصص بعلم من العـلوم وبمصطلحاته . وتطلب اللجنة إليهم وضع أصلح ما عندهم من ألفاظ عربية مقابل تلك الألفاظ الأعجمية مع تعريف كل لفظة بالعربية تعريفا علميا موجزا .

ويتم هـذا العمل بموجب عقد بين المجمع والأفراد الاختصاصيين لقاء تعويض عادل على حسب أهمية كل عمل من حيث الكمية ومن حيث السهولة أو الصعوبة ، ويجب أن تحدد اللجنة مهلة معلومة ينهى فيها كل اختصاصى عمله .

(٧) كلما أنهى أحد الاختصاصيين عمله يبعث المجمع بنسخ منه إلى حكومات دول الجامعة العربية طالبا منها عرض المصطلحات على علماء تلك الدول ليبدوا ملاحظاتهم عليهـا فى مدة محددة .

(٨) وبعد انتهاء تلك المدة تستدعى لجنة المعجم واضعى المصطلحات العربية وتناقشهم هى وخبراء المجمع فى كل لفظة حتى يستقر الجميع على أصلح الألفاظ العربية .

(٩) تعرض نتائج الأعمال كلها على مجلس المجمع فيقر الألفاظ العربية وتعريفاتها العلمية بعد المناقشة فيها بحضرة الاختصاصيين واضعى الألفاظ وخبراء لجان المجمع .

(١٠) يعرض المعجم كاملا على مؤتمر المجمع لإقراره ، ولا يناقش أعضاء المؤتمر إلا فى ألفاظ مهمة اختلف عليهـا الفنيون وأعضاء المجمع .

(١١) المجمع هو الذى يطبع المعجم وينشره فى الأقطار العربيـة بثمن بخس أو يبعث إلى كل دولة من دول الجامعة نسخا كافية بالمجان. وهى تتولى بيعه بثمن زهيـد لقاء مشاركتها فى نفقات تصنيفه .

والحكومات العربيـة التى ترى أنها قد شاركت ماليا وعلميا فى وضع المعجم تكون ميالة طبيعيا إلى فرض ألفاظه على مؤلفى الكتب المدرسيـة وعلى دوائر الحكومة وعلى المحاكم وعلى كل ما لها سلطة عليه من المؤسسات العـامة . أما الأدباء والصحافيون فإنهم يستعملون ألفاظ المعجم عند مالايجدون ما هو أصلح منها .

ومع هـذا وربما مست الحاجة إلى طبع المعجم طبعة منقحة ومزيدا فيها فى كل بضع سنوات .

(١٢) لابد لإتمام المعجم بدقة وبسرعة من منح العـاملين فى تصنيفه عوضا عن أتعابهم سواء فى ذلك أعضاء لجنة المعجم أو الاختصاصيون واضعو الألفـاظ أو محققوها أو خبراء المجمع أو أعضاء مجلس المجمع أو غيرهم ممن يستعان بهم ويتفق رئيس المجمع والأمين العام للجامعة على أسس منح التعويضات المذكورة .

هـذا هو رأيى فى أسرع طريقة وانجعها لتصنيف معجم أعجمى عربى فى المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة . وفى فرضه حكوميا أو أدبيا على البلاد العربية .

وآمل ألا أكون فى بيـان هـذا الرأى بشىء من الإسهـاب كصاحب جرة الزيت أو كالذى يسلخ الدب ويلبس فروته قبل أن يقتله ، فأنا أريد من صميم قلبى أن أكون متفائلا وأن أقول مع القائل :

متى إن تكن حقا تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا !

أو أقول مع الآخر :

اكذب النفس إذا حدثتها
إن صدق النفس يزرى بالأمل

القسم الثاني

بحوث غير رسمية

تطور البنية في الكلمات العربية

للدكتور إبراهيم أنيس

استرعت بنية الكلمات أنظار العلماء من العرب حين بدأوا التفكير في وضع المعاجم العربية ، وتنظيمها على حسب الحروف والصيغ . ولعل الخليل بن أحمد هو أول من تنبه لهـذا حين قام بتصنيف كتاب "العين" أو وضع هيكله . إذ رأى حصر الكلمات العربية التي يمكن أن تتكون من حروف الهجاء الثمانية والعشرين بطريقة حسابية حتى لا تند عنه كلمة ، فوجد أنها في حدود ١٢ مليونا .

وبنى إحصاءه أو حصره على أساس أن الكلمة قد تكون ثنائية الأصول (وأدخل في هـذا الأفعال التي مثل مد وشد) ، أو ثلاثية الأصول ، أو رباعية الأصول ، وأخيرا قد يكون الاسم وحده خماسي الأصول . وتبين لصاحب كتاب "العين" أن معظم تلك الصور التي يمكن عقلا أن تتكون من حروفنا الهجائية مهمل أوغير مستعمل في اللغة، بل وجد أن المستعمل منها هو نسبة ضئيلة من ذلك العدد الضخم . وسلك مسلك الخليل تلاميذه ومن جاءوا بعده من أصحاب المعاجم ، حتى استقر الأمر بين المتأخرين من النحاة في وضع الميزان الصرفي وتحديد الأوزان للكلمات العربية . غير أن هؤلاء المتأخرين قد جروا على اعتبار الفعل المضعف مثل "شد ومد" من الأوزان الثلاثية .

وهكذا رأينا معظم علماء العربية منذ القرن الثاني الهجري ينظرون إلى بنية الكلمات على أنها قد تكون ثنائية الأصول أو ثلاثيتها أو رباعيتها ... الخ وأن كل صنف منها مستقل بذاته وضع هكذا أو خلق هكذا . غير أن قلة من هؤلاء العلماء كانوا يعتبرون الرباعي ثلاثيا زيد عليه حرف والخماسي ثلاثيا زيد عليه حرفان . فيقول الرضى في شرح الشافية[1]" مذهب سيبويه وجمهور النحاة أن الرباعي والخماسي صنفان غير الثلاثي ، وقال الفراء والكسائي بل أصلهما الثلاثي . قال الفراء الزائد في الرباعي حرفه الأخير . وقال الكسائي الزائد في الرباعي الحرف الذي قبل آخره"!!

ولم يكد ينتصف القرن الرابع الهجري حتى وجدنا بين علماء العربية من يؤكد لنا أن معظم الرباعي والخماسي منحوت من كلمات ثلاثية مثل : رجل ضبطر أي شديد منحوت من (ضبط ، ضبر) [2] ، صهصلق [3] منحوت من (صهل وصلق) [4] واشتهر بهـذا المذهب ابن فارس

---

(1) ج ١ ص ٤٧

(2) الضبر الشديد .

(3) البارز الصخابة .

(4) صوت الشديد .

فى كتابه " مقاييس اللغة " . ومع هذا فلم يدع ابن فارس أن كل الرباعى والخماسى مما أصله الثلاثى ، بل اعترف كثير من العلماء أن بعض الرباعى والخماسى صنف مستقل بذاته وجد هكذا أو خلق هكذا أى أن الواضع الأول لكل هذه الكلمات جعلها على هذه الصورة ، سواء كان هذا الواضع هو الله سبحانه وتعالى كما هو الرأى بين أصحاب المذهب التوقيفى ، أو جماعة من الحكماء كما يقول أصحاب الاصطلاح . ولسنا نعرف أحدا بين علماء العربية الأول حاول البحث فى تطور البنية لتلك الكلمات أو إرجاعها جميعا إلى أصل أحادى أو ثنائى ، كما حدث بعد ذلك فى القرن التاسع عشر . فهم حتى فى بحثهم لنشأة اللغة قد اكتفوا عادة بالفكرة التوقيفية أو الفكرة الاصطلاحية دون البحث فى تفاصيل هذه النشأة أو تدرجها .

فلما كان القرن التاسع عشر وظهر مذهب (داروين) فى تطور الأجناس ، ترك هذا المذهب أثرا قويا فى مناهج البحث لكل العلوم ومن بينها اللغة . فرأينا اللغويين يصولون ويجولون فى بحث النشأة اللغوية لعلهم يهتدون إلى كيف تكلم الإنسان الأول ، وعلى أى صورة كان كلامه .

وظهرت للغويين الأوروبيين حينئذ نظريات أو اقتراحات متعددة بشأن تلك النشأة اللغوية ، لا ضرورة لذكرها هنا . وكان مما يحتوه فكرة الجذر أو الأصل الذى تشتق منه الكلمات . فنادى "فرانز بوب" أحد علماء الألمان بأن الجذر الأصل لكل الكلمات القديمة فى نشأتها كان أحادى المقطع ، وأنه تطور بتوالى العصور إلى ثنائى المقطع وثلاثى المقطع حتى صارت الكلمات على النحو المألوف لدينا الآن . ويبدو أن "بوب" ومن نهجوا نهجه قد أخذوا فكرة الجذر الأحادى المقطع عن الهنود القدماء الذين كانوا يرون هذا الرأى فى بحوثهم اللغوية . وكان هؤلاء وهؤلاء يؤمنون أن اللغة الصينية تمثل تلك المرحلة القديمة الأصلية فى نشأة الجذر ، لأنهم رأوا معظم كلماتها أحادية المقطع . ولم يدر بخلدهم كما برهنت البحوث بعد ذلك أن اللغة الصينية كانت كلماتها متعددة المقاطع ، وأنها تطورت مع الزمن فاختصرت مقاطعها ، وأنها تعتمد الآن فى التمييز بين دلالات الصيغ على النغمة الموسيقية التى تختلف فى نطق الكلمة الواحدة ، ويستغنى بها عن تعدد الصور والصيغ فى الكلمات .

وهؤلاء المنادون بفكرة الجذر الأصل وأنه كان أحادى المقطع قد تأثروا بمذهب التطور فى نظرية (داروين) ، فتصوروا من أجل هذا أن الكلمات نشأت صغيرة الصورة ثم نمت صورتها حتى صارت إلى ما نشهده الآن . ومثل الكلمات فى رأيهم مثل الكائنات فى نموها وارتقائها .

وكان لرأى هؤلاء الباحثين من الأوروبيين صدى بين بعض علمائنا الشرقيين ممن تأثروا بثقافتهم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أمثال : (أحمد الشدياق) فى كتابه "سر الليال" ومثل (جورجى زيدان) فى كتابه "الفلسفة اللغوية" .

فيؤكد لنا (جورجي زيدان) في إحدى قضاياه التي عرض لها في الفلسفة اللغوية أن الأصول الرباعية يمكن أن ترد إلى أصول ثلاثية ، أي أنه في هذا يذهب مذهب ابن فارس وأمثاله من العلماء القدماء . ثم يضيف قوله " إن الثلاثي أيضا مزيد والأصل فيه ثنائي غالبا " ! و يحاول البرهنة على ذلك بقوله إن (قط ، قطب ، قطف ، قطع ، قطم ، قطل) جميعها يتضمن معنى القطع ، إلا أن كل واحدة منها استعملت لنوع من تنوعاته [1] . وينتهي من عرض أمثلته التي لم تخل من التكلف والتعسف بقوله "والخلاصة أننا نستدل من إمكان تجريد قسم عظيم من الأصول الثلاثية إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتا طبيعية ومن كون ألفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظا ومعنى على أن الألفاظ القائمة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها إلى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتا طبيعية" .

فصاحب الفلسفة اللغوية كما ترى متأثر بأمرين : الأمر الأول فكرة التطور لدى " دارون" وأن الكائن الحي ينشأ صغيرا ثم ينمو ويكبر ، والأمر الثاني أنه فيما يبدو كان يؤمن بالنظرية القائلة أن كلام الإنسان الأول قد نشأ عن أصوات الطبيعة وأصوات الحيوانات وهي أحادية المقطع في غالب الأحيان .

ولايزال بعض الدارسين عندنا حتى الآن يؤمنون بهذا الرأي و ينادون به ، فقد كتب الأب مرمرجي الدومنكي الأستاذ بالمعهد الفرنسي بالقدس كتابا سماه " المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية " ، وحاول في هذا الكتاب الصغير أن يبرهن على صحة نظريته من أن الأصل السامي القديم كان ثنائيا . وقد عرض لعدة كلمات من بينها كلمة " الفصح "وهو العيد الإسرائيلي المعروف فافترض أن الأصل السامي لهذه الكلمة كان يتكون من الحرفين الأولين ، أي الفاء والصاد ، أو ما يشبههما كالباء والسين أو الشين . وساق لنا كلمات من اللغات السامية المختلفة كالعبرية والآرامية والحبشية ، وقد تكون كل منها من حرفين : الأول شفوي والثاني من حروف الصفير ، وكل هذه الكلمات يعبر عن معنى الخروج أو الانتشار أو الانفصال . . الخ ثم افترض أن الأصل السامي الثنائي قد زاد مبناه باتصال الصوت الحلقي وهو الحاء . وتخصص المعنى الأصلي وأصبح مقصورا على الاجتياز والعبور . وهكذا نشأت كلمة " الفصح " الشائعة في العبرية بمعنى العيد المعروف . ويرى المؤلف أن الكلمة في صورتها الثلاثية ومعناها الخاص قد انتقلت من العبرية إلى شقيقاتها السامية ، وأنه لولا رجوعنا إلى الأصل الثنائي ما استطعنا الربط بين هذه اللغات في اشتقاق هذه الكلمات ، لأن المعنى يكاد يتحد بين هذه اللغات حين تقتصر على الأصل الثنائي .

(١) ص ٨٢ (٢) ص ٩٦

وليس يكفى لتدعيم هذا الرأى أن يسوق المرء عدة ألفاظ من بين كل كلمات اللغات السامية التى تعد بعشرات الآلاف . فالأمثلة التى ساقها المؤلف ليست فى الحقيقة إلا وليدة المصادفة ، هذا إلى ما فى علاجه لها من تأويل وتخريج لا يخلو من التكلف والتعسف .

ومن الواضح أن السر فى مثل هذه الآراء هو أن أصحابها قد تأثروا بنظرية (دارون) فى النشوء والارتقاء ، ولذا حلا لهم أن يتصوروا أن الكلمات بدأت ثنائية الحروف أو أحادية المقطع . كذلك يبدو أن خلطهم بين البحث فى النشأة الأولى للكلمات ، وبين تطور بنيتها فى العصور التاريخية قد أدى إلى بعض الاضطراب والتناقض فى علاجهم لها .

ويتجه المحدثون الآن بعد أن يئسوا من الاهتداء إلى رأى يطمئنون إليه بصدد النشأة الأولى للكلمات ، إلى الاكتفاء ببحث تطورها فى العصور التاريخية التى رويت لها نصوص لغوية معروفة لنا . فاللغويون الآن قد انصرفوا عن البحث فى كيف تكلم الإنسان الأول ، وأصبحوا يؤمنون أن هذا النوع من البحث يدخل فى نطاق ماوراء الطبيعة أو الميتافيزيكا . وقنعوا بمقارنة النصوص التاريخية جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر ، فوجدوا أن الاتجاه فى تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التضخيم . أى أنهم شاهدوا أن اللغات فى أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتضمن كلمات كثيرة الحروف طويلة البنية متعددة المقاطع ، وأن هذه الكلمات بتوالى العصور قد أصبحت قصيرة البنية قليلة المقاطع ، وقد تم هذا نتيجة الميل العام لدى الإنسان — فى كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة — نحو أيسر السبل وبذل أقل مجهود . فيقول "جسبرسن" : " ليس هناك أدنى شك فى أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات (1) " . وقد برهن على صحة قوله بمقارنة صيغ الكلمات فى اللغات الهندية الأوربية القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية ، بنظائرها فى اللغات الأوربية الحديثة . ومع هذا فقد اعترف بأن نسبة ضئيلة جدا من الكلمات قد زادت بنيتها بتوالى السنين ، ولكنها فى رأيه لا تعد شيئا يذكر بجانب الكثرة الغالبة من كلمات اللغات فى العالم .

بل تبين لهؤلاء المحدثين أمثال "جسبرسن" أن عملية التيسير فى ظواهر اللغة غير مقصورة على بنية الكلمات ، بل تناول أمورا كثيرة بعضها يرجع إلى الأصوات وبعضها إلى القواعد وطرق الإسناد . فالأفعال تتجه فى تطورها نحو التخلص من علامات التعبير عن الشخص (كالمتكلم والمخاطب والغائب) ومن علامات تشير إلى الإفراد أو التثنية أو الجمع ، ومن علامة التأنيث والتذكير ، أى أنهم يعتبرون ما صار إليه الفعل فى اللغة الإنجليزية المرحلة الأخيرة لتطور الإسناد فى الأفعال .

(1) Language, its nature, development and origin. p. 330.

وقد استأنسوا فى الاستدلال على صحة آرائهم بما لاحظوه فى لغات الأمم البدائية من أن أكثر كلماتها متعدد المقاطع ، وأن ظواهرها معقدة كل التعقيد . وهذه اللغات تمثل فى رأيهم مرحلة قديمة من مراحل التطور اللغوى فى العالم .

ومن الوسائل الاستقرائية التى لجأوا إليها فى البرهنة على أن الكلمات فى تطورها تتجه نحو اختصار المقاطع ، أنهم رجعوا إلى إنجيل " متى " فوجدوا أنه فى اللغة التى كتب بها هذا الإنجيل وهى الإغريقية يشتمل على ٣٩ ألف مقطع فى حين أنه لما ترجم فى العصور الحديثة إلى السويدية تضمن ٣٥ ألف مقطع فقط ، وفى الألمانية ٣٣ ألف مقطع ، وفى الدنيمركية ٣٢ ألف مقطع ، وفى الإنجليزية ٢٩ ألف مقطع ، وفى الصينية ١٧ ألف مقطع ، رغم أن الترجمة تحتاج عادة إلى شىء من الإسهاب فى اللغة المترجم إليها . ومعنى هذا فى رأيهم أن لغات أوربا الحديثة تتضمن عددا أقل من المقاطع إذا قيست بأصولها القديمة كالإغريقية مثلا .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن معظم الحروف والأدوات فى اللغات كانت فى الأصل كلمات مستقلة ذات دلالات متميزة ، ثم اختصرت بنيتها أو اختزلت وأصبحت على الصورة القصيرة المألوفة لنا . « فالياء » التى تدخل على المضارع فى لهجات الكلام وتفيد معه الدلالة على الزمن الحال كانت فى الأصل كلمة مستقلة سواء كانت تلك الكلمة (يودى ، أو ذاهب ، أو باقى) أو غير ذلك من فروض أخرى يفترضها الدارسون ، هذه الياء تعد من الأمثلة التى يمكن أن تلتمس لتوضيح ذلك الميل العام فى التطور ، بل يرجح بعض الباحثين أن الباء الجارة التى تدخل على الأسماء هى بقايا كلمة " بيت " .

ويبدو أن إرجاع الحروف والأدوات إلى أصول مستقلة أيسر فى اللغات الأوربية منها فى اللغات السامية . فاللاحقة الإنجليزية ly فى مثل Generously عبارة عن مختصر الكلمة like وحرف الشرط if مختصر لكلمة give إلى غير ذلك من افتراضات قد تبدو بعيدة لأول وهلة ولكن اللغويين المحدثين يؤكدونها ويعتمدون عليها .

ولسنا على كل حال بحاجة إلى التماس الدليل من تلك الحروف والأدوات التى غمض علينا أصلها الأصيل ، بل يكفى أن نتذكر ظاهرة النحت والدور الذى لعبته فى لهجات كلامنا وفى اللغة العربية الفصيحة لنتبين بوضوح أن الاتجاه فى تطور البنية هو حقا نحو الاختصار .

ففى الشامية " شلون " نلحظ أنها مختصر لعبارة مثل " أى شىء لون ؟ " ، وكلمة " لسه " العامية مختصر " للساعة " وهى عند بعض اللبنانيين " أسا " أو " هسع " وفى السودان " حسع " وحرف الحاء المعبر عن الاستقبال فى لهجات الخطاب هى دون شك مختصر " رايح " .

أما في العربية الفصيحة فقد رويت لنا كلمات كثيرة وقيل لنا إنها مما يسمى بالنحت أمثال : جعفل ، حيعل ، بسمل ، حوقل ، سبحل ، طلبق ، حدفل ، دمعز ، حمدل ، المشلوز ، عبشمى ، عبدلى ، تعبشم ، تحضرم ...... الخ .

وقد روى هذا النحت عن الخليل وذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق وذكره الجوهرى في الصحاح وابن فارس في المجمل والثعالبي في فقه اللغة والسيوطي في المزهر . وبلغ من اعتزاز بعض القدماء من العلماء بهـذا النحت أن اعتبروه قياسيا كابن فارس في المجمل وابن مالك في التسهيل .

وهذا النحت -في كل صوره- ليس في الحقيقة إلا مظهرا من مظاهر الاختزال في مقاطع الكلام ، أى أنه يؤيد بوضوح ما يدعو إليه المحدثون من اللغويين . فهم يسمون هذا النحت haplology ويفسرونه على أنه حذف بعض الأصوات أو المقاطع من كلمة أو أكثر تسهيلا لنطقها واختصارا لبنيتها . ومن أمثلة هذا في الإنجليزية :

Cab = Cabriolet, photo = photograph, Pram = pramiolater, Lab = Laboratory

ليس النحت إذن عملية تمييـــة لبنية الكلمة كما يرى بعض الباحثين من المعاصرين وإنما هو في الحقيقة عملية اختصار واختزال[1] .

بقى بعد هـذا أن نشير إلى تلك التجربة التى أجريناها في كلية دار العلوم حين طلبنا من عدد كبير من طلبة الليسانس أن يجمعوا من النصوص الجاهلية ونصوص صدر الإسلام كل الكلمات الكبيرة البنية ، أو بعبارة أخرى تلك الكلمات الرباعية الأصول فأكثر وقد توفروا على جمعها من معظم الدواوين الشعرية المنسوبة إلى العصر الجاهلى ومن كثير من تلك المنسوبة إلى صـدر الإسلام يجمعوها من دواوين :

(طرفة بن العبد ، حاتم الطائى ، طفيل الغنوى ، المسيب بن علس ، زهير ، امرئ القيس ، عمرو بن قميئة ، السموءل ، أوس بن حجر ، علقمة بن عبدة ، أمية بن أبي الصلت ، الأفوه الأودى ، قيس بن الخطيم ، عبيد بن الأبرص ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، الشنفرى الأزدى ، عنترة ، النابغة الذبيـانى ، لبيد ، الأعشى ، حسان بن ثابت ، كعب بن زهير ، الخنساء ، المفضليات ، حماسة أبي تمام ، حماسة البحترى ، جمهرة أشعار العرب) .

وغير ذلك من دواوين بلغ مجموعها أكثر من أربعين ديوانا ، جمعوا منها نحو ١٢٩٢ كلمة . ثم قورنت تلك الكلمات المجموعة بما ورد في الجزء الثالث من معجم الجمهرة لابن دريد حين تحدث عن الكلمات الرباعية والخماسية فوجد أن ما جاء في هذا المعجم في حدود ٢٦٠١ منها نحو

(١) انظر البحث القيم الذى ألقاه الدكتور رمسيس جرجس في مؤتمر المجمع اللغوى سنة ١٩٥٧ ، تحت عنوان النحت في العربية .

... ؛ فقط هى التى اشتركت مع الكلمات التى جمعها الطلبة ، أى أن معظم ما جاء فى معجم ابن دريد لم يرد فى نصوص الدواوين التى جمعنا منها . ولم تكن تلك الكلمات المجموعة ذات نسبة واحدة فى شيوعها فى تلك النصوص المختلفة ، بل وجد أن كثيرا منها لم يرد إلا فى نص واحد من تلك النصوص ، أما التى وردت منها بلفظها ومعناها فى أكثر من خمسة نصوص فلا تكاد تجاوز مائة وخمسين كلمة كلها فى النصوص الجاهلية فيا عدا نحو سبع عشرة كلمة كثر شيوعها أيضا فى شعر صدر الإسلام .

واتضح لنا بعد البحث أن الكثرة الغالبة من تلك الكلمات قد أهمل استعماله فى شعر العصر العباسى وماجاء بعده ، لا لأن دلالاتها لم تعد تناسب البيئات الجديدة فحسب ، بل لأنها كبيرة البنية كثيرة المقاطع . فكلمة "الخبربخ" بمعنى التام من الأجسام كلمة مناسبة جدا للبيئة الحضرية ، وليس فى اجتماع حروفها ما يسمى بتنافر الحروف ، وهى مع هذا مما أهمل استعماله فى العصور المتأخرة للغة العربية لا لشىء سوى أن الاتجاه العام فى تطور البنية كان نحو البنية القصيرة . وكذلك يمكن أن يقال فى كلمة "الشرنبث" بمعنى الرجل الغليظ الرجلين والكفين فهى – مع شدة حاجتنا دائما لتصوير هذا المعنى بدقة – قد أهملت وأصبحت فى المعاجم كقطعة متحفية ، نمر بها – وقد نعجب بدلالتها – ولكننا نراها مما مضى عصره وانتهى . ومعظم تلك الأوزان التى مثل (ابذعر ، ابجر ، اجلوذ ، اجرهد ، واحرنجم ، اخرمس ، اخروط ، اقلعب ، ارمعل ، ارفان ، اسمعد ، اشمعل ، اشفتر ، اقنعل) قد اندثرت أو كادت .

وليس من المقبول أن نفترض أن مثل هذه الكلمات كانت قصيرة البنية وأن زيادة قد لحقتها فأصبحت على الصورة التى وردت لنا . فمع استحالة البرهنة على هذا الفرض بجهلنا التام بتاريخ هذه الكلمات ، لانكاد نجد من بينها ما يشترك فى دلالته مع كلمة صغيرة البنية إلا بنسبة قليلة جدا ، بل حتى حين نجد فى النادر من الأمثلة أن للكلمات الكبيرة البنية صورة أخرى قصيرة وبنفس الدلالة نشعر – بعد الرجوع إلى ماروى عن كل من الصورتين فى معاجمنا العربية – أن المعقول أن تكون الصورة الكبيرة هى الأصل . انظر مثلا إلى ماجاء فى قاموس الفيروز بادى :

(الجمس الرجيع مولد) ثم يقول (الجعموس كعصفور الرجيع ، وجعمس وضعه بمرة واحدة وهو جعامس بالضم ... ... والجعاميس النخل هذلية والجعموسة ماء ليلى ضبة) .

ويتضح من هـذا النص أن الكلمة الكبيرة هى الأصل وذلك لورودها مع مشتقاتها فى عدة استعمالات ، ولأنها كانت علما قديما لمكان فى الجاهلية ، هذا إلى اعتراف صاحب القاموس أن "الجمس" مولدة أى حديثة النشأة . فليس من التجنى إذن أن نقول إن الكلمة الكبيرة قد اختصرت أو اختزلت بمرور الأيام وأخذت تلك الصورة القصيرة .

وهناك مثل آخر يشبه ما تقدم هو ماجاء في قاموس الفيروزبادى (اله مفوق اللثيم وقرية باليمامة .... والصعافقة قوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال، فإذا اشترى التجار شيئا دخلوا معهم، الواحد صعفق وصعفق وصعفوق) ثم يقول في مادة صفق (وصفقة رابحة أو خاسرة بيعة وكشداد الكثير الأسفار والتصرف في التجارات).

أى أننا في كل الأمثلة القليلة التي رويت لنا ولكل منها صورتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة من نفس المادة وبنفس المعنى تشعر أن الصورة الكبيرة هي الأصل لسبب مقبول معقول، في حين أن افتراض الصورة الصغيرة هي الأصل يوقعنا دائما في مشاكل وصعوبات فلا نكاد ندرى العلة في زيادة حرف عليها أو العلة في كون الحرف الزائد هو كذا بالذات وفي ذلك الموضع من الكلمة بالذات.

وإذا صح بعد هذا ما يقول به بعض الدارسين من أن الإنسان الأول بدأ كلامه بألفاظ ثنائية الحروف ثم تطورت إلى ثلاثية الحروف ... الخ. فقد كنا نتوقع بعد مرور تلك الملايين من السنين على النطق الإنساني أن تصبح كلماته الآن معظمها من رباعيات الأصول أو خماسياتها، أو على الأقل كان يجب أن يكون عدد الكلمات الرباعية الأصول في لغتنا العربية أكثر من عدد الكلمات الثلاثية الأصول أو مساوية لها !!

وننتهى من هذا البحث بتلك الحقيقة العلمية التي يجمع عليها المحدثون من علماء اللغات في العالم وهي: أننا لانكاد ندرى شيئا محققا عن صور الكلمات التي نطق بها الإنسان الأول، وإنما الذى ندريه ونجزم به هو أن مقارنة صور الكلمات في العصور التاريخية المختلفة قد برهن لنا على أن الميل العام في تطور كل اللغات نحو اختزال البنية في الكلمات.

دراسة اللغة فى العصر الحديث

للدكتورة سهير القلماوى

لم تعد دراسة اللغة فى عصرنا الحديث وقفا على طبقة خاصة من العلماء الذين يتدارسون نصوصها ويشتغلون بتعليمها والتأليف حولها ، وإنما أصبح مجال دراستها أعم من هذا وأشمل ، عنى بها علماء الفلسفة ، وعلم النفس ، والاجتماع ، بل إنها قد تعدتهم إلى علماء الاقتصاد والسياسة ، وقد تتعدى طبقة العلماء فتصل إلى رجال المال والحكم والمعنيين بأحوال المجتمع من مختلف نواحيه المادية والمعنوية . وليس هذا حدثا جديدا فى عالم الدراسة ، فقديما كان الفلاسفة كعلماء الكلام وعلماء الاجتماع العرب كابن خلدون يكتبون ويؤلفون حول موضوعات اللغة ، بل إن العناية باللغة نشأت أصلا فى بيئات تعنى بشؤون الدين وما يمليه الدين من نظم لحياة الأفراد والجماعات فى بيئة الفقهاء مثلا .

لذلك ليس عجبا أن تعود اليوم إلى الحق ، فاذا مشاكل اللغة اليوم تشغل بال المفكرين فى الوطن ومستقبله ، بل تشغل بال المفكرين فى العالم كله وفى مستقبل الإنسانية . ذلك أن عوامل عنيفة منها العالمى ومنها المحلى قد دخلت على حياة الناس من زاوية اللغة فخلقت مايسميه بعض الباحثين " الثورة اللغوية " . بل إن منهم من جعل لهذه الثورة اللغوية من الأثر فى مستقبل الإنسانية ما للثورة السياسية الفرنسية من الأثر فى نظم الحكم فى أوربا وأمريكا .

وكما أن الثورة الفرنسية لم تطلع علينا نحن العرب بجديد فى عالم الفكر السياسى ، بل تمثل هذا الجديد فى محيط الواقع السياسى فكذلك تلك الثورة الجديدة لا تأتينا بجديد فى محيط الفكر وإنما تأتينا بجديد فى محيط الواقع . فالإسلام ، كنظام حكم ، نظام شورى وعدل وإخاء ومساواة . وكانت مبادئه تلك مطبقة فى فترة من الزمن ، فى مكان معلوم ، ولكن واقع المسلمين ، بعيد الثورة الفرنسية ، لم يكن يطبق نظام الإسلام كما هو معروف فى عالم الفكر . لذلك تأثر المسلمون بتلك الثورة ومازالوا يتأثرون . كذلك الشأن فى أمر اللغة . فالإسلام دين يمجد العلم ويحث عليه ، ويقسم بالقلم وما يسطرون ، وينزل على الرسول (ص) أول آية من آياته " اقرأ " ، اعترافا منه بأن مصير الإنسان لن يسيطر عليه إلا العلم والمعرفة والقراءة . ولكن واقعنا — مرة أخرى — يختلف ، فبالرغم من أن الإسلام يدعو إلى هذه الحقيقة الكبرى ويحض عليها فإننا لم نبن مجتمعنا على دعائمها ، ولذلك تأتينا هذه الثورة العربية اللغوية فنفيد منها مرة أخرى ، لا فى أن نقلد ، ولكن فى أن نلتفت إلى حقيقتنا نحن فاذا بنا نهتم بدراسة اللغة ، اهتمام من يؤمن أنها الوسيلة إلى العلم والمعرفة ، وقد بوأهما الإسلام — كما تبوئهما اليوم السياسة — أرفع منزلة فى المجتمع وجعلهما

حقا لجميع ، وهدفا يسعى إليهما الناس . وفى سعيهم هذا تحقيق لرسالة الإسلام ورسالة الإنسانية اليوم . لقد مهد للثورة فى دراسة اللغة فى أوروبا وأمريكا عاملان : عامل يأتى من محيط العلم والآخر يأتى من محيط السياسة . وهما يتكاملان ويتعاونان فى سبيل جعل اللغة وسيلة إلى مجتمع أفضل .

أما فى محيط العلم فقد شهد العالم فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ألوانا من الاختراع تتابعت فى سرعة عجيبة وكلها تهدف إلى الاتصال القريب بين شعوب العالم كما لم يكن اتصال من قبل ، مما يجعل مشاكل اللغة — وهى الوسيلة لهذا الاتصال — تتطلب معالجة فى أضواء جديدة . ففى سنة ١٨٧٦ اخترع " بل Bell " التليفون . وفى سنة ١٨٧٧ اخترع " أديسون Edison " : " الجرامفون " . وفى سنة ١٩٠٧ اخترع " الفيلم " الناطق . وبهذا أصبح العالم كله ، أفرادا وجماعات ، على اتصال لم يكن يحلم به إلا أصحاب الأساطير . وظلت التجارب فى أوائل القرن الحالى تسير فى سرعة حتى استطاع الغرب سنة ١٩٣٠ أن يذيعوا أول برنامج عن طريق الإذاعة اللاسلكية . ومرة أخرى أصبح العالم كله على صلة ليس فى سبيل نقل رسالة أو خبر هام فحسب وإنما فى سبيل تبادل المعارف ، ووجهات النظر فى بساطة وفى يسر ، هذا إلى عامل آخر ، وإن كان لا يعتمد على اللغة وهو انتشار الطيران وسهولته مما أدى إلى تلاقى الناس واضطرارهم إلى أن يتحدثوا وأن يتعارفوا .

وبانتشار الإذاعة انتعشت الخطابة التى كانت تؤدى دورها فى الجماهير الصغيرة والمجتمعات القليلة قديما فى شئون السياسة والحكم ، فإذا بها اليوم تجد لنفسها مجالات أخرى لتؤدى دورها على النحو الحديث فى عالم السياسة وفيما يتصل بشئون الحكم أو الثقافة أو التوجيه بعامة . وكان انتعاش هذا الفن نفسه ، فن الخطابة ، قديما مدعاة لتفجير دراسات لغوية كثيرة فى هذا الزمان ، بل إنه أينما كان هذا الفن كان هذا الانتعاش ، فقد ألفت طائفة من الرسائل والكتب عند اليونان ، ومن بعدهم من العرب حول هذا الفن ، واللغة أداته ، حتى إن البلاد العربية لم تجد تيارا يغذيها فى نشأتها أقوى من تيار المعنيين بشئون الخطابة والخطباء . وليس الجاحظ ولا بيانه مما يحتاجان إلى تعريف . ولكن اليوم ينتعش هذا الفن على نحو جديد وفى ظروف مختلفة تملى ألوانا جديدة من الدرس الكثير المتشعب فى كل ميدان . لذلك أخذ نقاد الغرب وعلماؤه يدرسون اللغة فى هذا الضوء الجديد ، إنها أداة الاتصال بين الأفراد والجماعات والأمم . وهنالك عوامل مختلفة تدعو إلى ضرورة هذا الاتصال وأن يكون على الوجه الأكمل أيضا . فماذا سيكون من آثار ، أو ماذا كان أيضا من آثار فى اللغة بعد أن دعيت للقيام بهذا الدور الخطير الذى بدأت تقوم به منذ ثلاثين عاما أو أكثر ؟

لما سيكون من آثار فى قواعدها واتجاهاتها وتراكيبها وقد دعيت لتقوم بدور عالمى فى التفاهم بين الشعوب لصالح الإنسانية كلها، تلك الإنسانية التى تتحدث لغات مختلفة ولهجات أكثر عددا، بل إن المتحدثين فيها بلغة واحدة ولهجة واحدة قلما يتفقون فى دقة دقيقة على فهم ما ينقل بواسطتها.

وأما العامل الثانى الذى أدى إلى هذه الثورة والذى قلت إنه يأتى من محيط السياسة فإنه يمكن أن يسمى بنظام حكم الشعب. فلقد أدت الثورة الفرنسية فى الغرب فعلا إلى أن يؤول حكم البلاد إلى يد الشعب نفسه، وإن اختلفت مسميات هذه النظم من بلد إلى بلد، وإن اختلفت سبل هذا الاشتراك وحقيقته ومداه. ومعنى هذا أن الرجل العادى أصبح اليوم مطالبا بأن يعرف أشياء كثيرة، وأن يستطيع تناول ما يعرف مع غيره من الناس. لم يعد الرجل العادى يكتفى بأن يحل رموز الخط وأن يكتب أو يعبر عن حاجاته اليومية، وإنما هو يشعر أنه لابد له من تعبير راق قوى مبنى على معرفة ودراسة فى درجة ما من درجاتهما. لم يعد الرجل العادى يكتفى بكتابة خطاب لصديق أو ضبط حساب تجارته، وإنما هو اليوم يحس الحاجة الماسة لأن يفهم عن السياسيين خطبهم، وعن الصحفيين أقوالهم، وعن الأدباء والعلماء كتاباتهم فى شتى الموضوعات، ليستطيع أن يقول هو بدوره شيئا، وأن يشارك فعلا فى النشاط السياسى والاجتماعى فى وطنه. ومعنى ذلك أن الفرد اليوم يحس أنه جزء لا يتجزأ من جماعته التى يعيش فيها، وهو حريص على أن يظل مترابطا مع الجماعة، ويعلم أن وسيلته إلى هذا كله هى اللغة التى يستطيع أن يتفاهم بها.

لقد صاح النائب الانجليزى "لوى" (Lowe) فى البرلمان الإنجليزى سنة ١٨٦٧ أثناء المناقشة فى قانون منح الانتخاب لعدد كان محروما منه فى المجتمع، فقال: "إننا مادمنا قد توسعنا فى حق الانتخاب فلا بد لنا – أيها السادة – من أن نعلم سادتنا وحكامنا الذين سيحكموننا فى المستقبل". وما زالت هذه الصيحة مستمرة مطالبة دائما أبدا بالمزيد من مدارس وبالمزيد من نشر العلم حتى يكون هذا الحاكم الجديد – الشعب – عارفا بهذا الذى يستفتى فيه أو يدبر أمره وهو حياة المجتمع ومستقبله. ومثل هذه المطالب الجديدة تطور كثيرا فى ألوان النشاط الإنسانى كله، ولكننا فى شأن اللغة – وهذا ما يعنينا الآن – نطالب بتطورات بل ثورات حتى تصبح هذه الأداة التى يراد لها أن تقوم بهذه المهمة الضخمة صالحة للقيام بدورها الجديد. إنها اليوم لا تنقل العلم لطبقة معينة تعيش مع أمثالها فى شبه عزلة محدودة قد يستعان بها فى إدارة شئون الحكم الفردى المطلق. ولكن العلم اليوم للشعب كله بحيث يؤدى إلى الهدف الأكبر وهو التساند والترابط، بل هدفه الأكبر أن يوفق بين مصلحة الفرد ومصالح الجماعة من طريق الدرس والمناقشة. وقد يتصدى لتمثيل الشعب أفراد ولكنهم أفراد مراقبون يحاسبون من أى من الشعب يتعرض لحسابهم أو لمراقبتهم وليقوم أفراد الشعب جميعا بهذه المهمة أو على الأقل ليعرفوا ماذا يجرى فى أمرها لا بد من العلم والإعلام. وهنا تأتى أداة جديدة: قديمة، أداة الصحافة لتكون الصلة بين الشعب الكبير العدد الذى لا يمكن أن يكون كله تحت قبة

البرلمان أو فى المصالح الحكومية و بين من يمثله فيها . و يأتى دور " المطبعة " وما دخل عليها من تحسينات ، والإذاعة وما دخل عليها من تحسينات وتيسير ، فإذا الحاجة إلى تلك الأداة — أداة اللغة — تشتد ، و إذا مشاكلها تطفو ، لتصبح كما لم تكن من قبل مشاكل هامة تعنى الناس جميعا . والحاجة ماسة إلى الوصول فيها إلى حلول .

ولكن معنى هذا أن اللغة قد أصبحت فى المجتمع الحديث ضرورة كالماء والهواء . لغة لا للتفاهم المادى ، و إنما لغة المناقشة وتبادل المعلومات وتبيان النتائج والآراء والتعبير عن العقل والشعور معا ، الا بالنسبة للصفوة الممتازة التى مارست هذا العمل قديما ، وانفردت به ، و إنما بالنسبة لأكبر عدد من أفراد الشعب كله . و بذلك تصبح الهيئة المسيطرة على الحكم فعلا فى كل الأمم اليوم بصفة أخص ما تتعامل به هو اللغة . إن المدرسة هى التى تتحكم فى تسيير دفة الحكم فى حياة الشعوب اليوم . ومن الطريف — فى هذا الصدد — قول لويس "ممفورد" (L. Mumford) فى كتابه ثقافة المدن (ص ٤٧٢) " كان المكان الذى يتحكم فى مصير الجماعة قديما هو الحصن ثم ورثته الكنيسة ثم القصر ثم الدكان ثم المصنع . واليوم هو المدرسة" .

كل هذه العوامل من تغير فى طبيعة الحكم وتغير فى عالم الاختراع والآلة قد أدت إلى ثورة فى دراسة اللغة ، و إذا دائرة الدرس فيها تتفتح لقوم لم يكونوا أصلا يعنون بها ، و إذا نتائج هذا الدرس تدخل فى نطاق نشاط الدولة كله من شتى النواحى . و إذا هؤلاء العلماء الجدد الذين دخلوا ميدان الدرس قد غيروا وجهه ، فإذا هو يختلف كل الاختلاف عن سابق العهد به . كانت دراسة اللغة منذ قديم — و إلى عهد قريب — محددة بوظيفتها التى كانت تقوم بها قبل اتصال العالم هذا الاتصال المتدانى ، وقبل أن يدخل أفراد الشعب فى عالم السياسة والحكم . كانت الدراسة تدور حول أصوات الحروف وصفاتها وخواصها ، وترتيبها وصلتها مقارنا بسائر اللغات التى تكون مع اللغات المدروسة فصيلة واحدة ، أو فصائل متقاربة . أو كانت دراسات حول طبيعة التراكيب النحوية والصرفية من حيث الدلالة على المعنى القريب العادى . وظلت دراسة اللغة تدور بين هذين الفرعين علم التراكيب أو اللغويات Linguistics أو علم الأصوات Phonetics حتى دخل الميدان نقاد الأدب فأثاروا أهم المشاكل التى فتحت الباب فيما بعد للعلماء الذين لا يدرسون اللغة كأصل فى دراساتهم . أثار النقاد حديثا علاقة المعبر بالتعبير ، وأشاروا إلى علاقة التعبير بالتأثير فى من يتلقاه . و بذلك أوجدوا البابين اللذين دخل منهما علماء الاجتماع وعلماء النفس ليمدوا الدراسات اللغوية بنتائج درسهم وليدرسوا أهم النتائج اللغوية فى ضوء جديد .

أخذ علماء النفس يدرسون فى معامل اختبارهم دلالة الصوت بطبيعته على المعنى . ثم أخذوا يدرسون التعبير فى مختلف صوره ، وفى مختلف مراحل نماء الإنسان . فتعبير الطفل موضوع متشعب واسع من دراسات علم النفس ، كيف ينشأ هذا التعبير ، و إلى أى حد يؤدى مهمة اللغة الأساسية

وهى التعبير والتأثير معا . وكيف يتم التوافق بين تعبير الطفل وتعبير البيئة من حوله ، ولماذا يتطور صور هذا التعبير ، وماذا يؤثر فيه حتى يدخل نطاق الدائرة التعبيرية من حوله برموزها وأصواتها المتعارف عليها والمصطلح على دلالاتها . وأخيرا ترسم هذه الدراسات الواسعة انتصار الجماعة على فردية الطفل المعبرة أول الأمر . ذلك أن الطفل يأتى العالم فردا متميزا ولكن فيه كل الاستعداد لأن يندمج بجزء فى الجماعة وبسرعة فى مسألة اللغة يدخل فى هذا الكل من حوله ولا بد لتعبيره من أن يتكيف مع البيئة حتى يصبح مفهوما ، وحتى تؤدى اللغة وظيفتها من التعبير عن فكر الفرد والتأثير فى الجماعة .

وأخذت معامل علم النفس تدرس — فى نشاط دائب — دلالات أخرى غير الرموز التى نسميها فى مجموعها كتابة أو كلمات منطوقة : أخذت تدرس دلالات الألوان ، ودلالات النغم ، وقارنت بين كل أنواع هذه الدلالات فوصلت إلى بعض النتائج المفيدة فى طبيعة الدلالة اللغوية من جهة وفى إمكانياتها من جهة أخرى .

وجاء علماء الاجتماع بدورهم فدرسوا تطور البيئات . وكان من فروع هذه الدراسة دراسة العوامل التى تطور اللغة والتعبير ، لأن اللغة كانت مجلا لهذا التطور العام ومظهرا من مظاهره أيضا . ودرسوا احتكاك الجماعات وتلاقيها فى الحروب وفى غير الحروب ، وإذا اللغة تدخل بنصيب فى دراساتهم فى درس هذه الألوان من التلاقى عند الاحتكاك ومدى آثاره .

وأخذوا حديثا يدرسون طبيعة الجماعات وعلاقة الجماعة بالفرد وأثر الفرد فى الجماعة وأثرها فيه . ووسيلة الاتصال أى وسيلة التأثر والتأثير إنما هى اللغة ، فأخذوا بطبيعة الحال يدرسون وظيفة اللغة فى الجماعة ودورها فى التقريب أو التنافر بين الفرد وجماعته من جهة وبين الجماعة وأخرى من جهة ثانية .

وأهم ما أدى هذه الدراسات دراسات نقدية حديثة فى عالم النقد الأدبى . دراسات تدرس الأساليب من حيث القدرة على التأثير سواء أكان التأثير جماليا أو عقليا ، وزخرت أبحاث النقاد حديثا حول هذا الرمز السحرى المسمى الكلمة . مجموعة الأصوات تلك التى اصطلح الجماعة على أن يكون لها معنى بعينه . ما هذا المعنى ؟ وماذا يعنى هذا الاصطلاح وإلى أى حد يمكن أن نحدده ؟ ومنذ أواخر الربع الأول من هذا القرن ودراسة النقاد حول الكلمة كأداة للفن التعبيرى لا تنقطع . الكلمة من حيث دلالة المفاهيم المادية وعلاقة هذا بالكلمة من حيث دلالة الجمال الفنى . وأخذ ناقد مثل أوجدن Ogden وآخر مثل ريتشاردز Richards يصدران فى كتب "معنى الكلمة" و "معنى المعنى" كتابا سياسيا أو ما كان يسميه البلغاء العرب قديما "لازم المعنى" ولكن فى الناحية الفنية لا العقلية . وتخصص ناقد معاصر مثل "إمبسون" Empson فى مثل هذه الدراسة فأفرد ثلاثة كتب ضخمة لدراسة الكلمة . درس فيها الرمزية

والتداخل والتداعي في معاني الكلمات، وعرض لكثير من الآراء في إصلاح المعاجم وإخراجها في ثوب جديد تفي بحاجة الناس الملحة إلى إتقان هذه الأداة الضخمة التي أصبح لها كل هذا الدور الخطير في حياتنا .

وكتب نقاد آخرون حول أثر السياسة والأحداث العامة في الألفاظ والألسنة وكيف يلجأ الساسة مثلا إبان الثورات والحروب إلى تعبيرات لغوية معينة يراد بها صب أفكار كثيرة في قالب موجز مثير . وكيف يحتاجون إلى التغيير أحيانا في معاني بعض الكلمات ليتجنبوا سوء الأثر في الجماعات . وأوضح مثل أوردوه فيما قرأت، كلمة "النازي" التي اضطر الحلفاء إلى اختراعها ليعبروا عن أن القومية الاشتراكية التي نادى بها هتلر ليست قومية وليست اشتراكية . لأن الناس ما كان يمكن لهم أن يعادوا فردا ينادي بقومية أو باشتراكية . فلا بد إذن من اسم جديد يبغض الناس في قومية هتلر واشتراكيته .

وهكذا تتوالى الدراسات ويكفي أن ننظر إلى قائمة المراجع في كتاب صغير في متناول الفرد العادي ألفه لويس M. M. Leura عن "اللغة والمجتمع" لنرى عشرات الكتب التي ألفت في هذه السنوات العشر الأخيرة وحدها وكلها في مسائل لغوية بحتة .

كل هذا له في لغتنا العربية آثار ولا بد من أن يؤدي إلى نتائج عملية . لقد عكف علماء لغتنا قديما على دراستها دراسة متمشية مع زمانهم، وألفوا حولها مجلدات هي تراث قيم نعتز به ونفخر . ولكن الزمن زمن فكر عملي واعتزاز إيجابي . بل إنه زمان حاجة ملحة لحل هذه المشاكل الكثيرة في اللغة لتساير الركب الذي نسايره فعلا ولكنه في بطء . لا بد لنا من العودة إلى هذه الكنوز بفكرة جديدة: فكرة تريد أن تجمع ما في هذا الدرس مما يفيدنا في مشاكلنا الحالية اللغوية . وأهمها فيما أرى مشكلات الترجمة ومشكلات التعليم وما يندرج تحتهما من مشكلات أخرى كالعامية والفصحى واختلاف اللهجات بين الأقطار الناطقة باللغة العربية .

لا بد من عودة واعية إلى هذه الكنوز، فقد دخلت اللغة العربية لغات أخرى وافدة عليها أو متلاقية معها حيث جاءتها العربية مع الفاتحين . وأحدث التلاقي آثارا لغوية رصدها القدماء بإمكانيات زمانهم رصدا يدعو إلى الإعجاب بدقته وشموله، ولكن آلات البحث اليوم تطورت، وطفت على وجه المرجل — في التقائنا باللغات الأخرى اليوم — مسائل أهم مما كان يطفو في زمان أجدادنا . فاليوم تبرز مشكلة التفاهم بين الشعوب كما لم تبرز من قبل . فكيف يتم هذا التفاهم إلا عن طريق الترجمة . وماذا في طاقة اللغة العربية التي وسعت علوم اليونان والفرس والهند والرومان والسريان وغيرهم قديما . ثم ماذا في طاقتها إزاء هذه اللغات العالمية الحديثة، وكيف يمكن لأهلها أن يطوروها بل أن يطوروا تلك اللغات الأخرى معها في سبيل التفاهم التام عن طريق الترجمة ؟ وهنا تبرز مشاكل التعبير في سلاسل منتظمة، كمشكلة العامية والفصحى،

ثم مشكلة إمكان التفاهم الواضح التام حتى بين الذين يتكلمون اللغة الواحدة وإن لم يكن فيها لهجات ، ناخذ مثلا الإنجليزية التى يتحدث بها الأمريكيون والتى يتحدث بها الإنجليز . لقد انفصلت إنجليزية الأمريكيين وعملت عوامل البعد والعداء على أن يحور الأمريكيون فى شبه عزلة ، فإذا لغتهم تتطور على بيئة مختلفة تطورات جعلت لغتهم تختلف عن اللغة الإنجليزية الأصلية فى أكثر من أربعة آلاف من الكلمات كما قال بعض اللغويين : غير الاختلاف فى التراكيب والتعابير ولا يأتى هذا الاختلاف من استعمال كلمات جديدة بقدر ما يأتى من استعمال كلمات مختلفة من المترادفات ، فيشيع لفظ عندهم ليس شائعا عند الإنجليز للدلالة على معنى له عدة أسماء فى اللغة مثل كلمة eraser و rubber للدلالة على شيء واحد هو قطعة المطاط المعروفة لمحو الخط من على الورق .

ولكن هذه الظاهرة لا نكاد نراها فى بلادنا التى تتحدث العربية وما زالت بحمد الله متواصلة على مدى تاريخها . ولكن أحقا أن الفصحى التى نكتب بها كل البلاد العربية ليس بينها اختلاف ؟ ألا يستحق هـــذا الموضوع وحده درسا متأنيا طويلا قد يأخذ حياة فرد كاملة أو حياة جماعة لنصل إلى نتائجه العلمية الدقيقة ؟

ومشكلة الترجمة ليست مشكلة إيجاد مصطلحات والتوفر على الترجمة كلما رأينا كتابا يستحق أن يترجم . إنها أخطر من ذلك كثيرا . فنحن بحاجة إلى ترجمة سريعة سرعة لم نألفها ، وأخشى أننا لا نكاد نتصورها ... إن ترجمة أمهات الكتب فى تؤدة وعلى مهل شيء يختلف عن الترجمة الخاطفة السريعة التى نحتاج إليها يوميا فى كل ما يؤلف من علوم وفنون . لقد أدت حاجة الصحافة الملحة مثلا إلى السرعة فى ترجمة الأخبار وإلى تغيير ملموس فى اللغة وإلى سهولة استعمال ألفاظ ومصطلحات عالمية ، بل أحيانا إلى شيوع ترجمة تراكيب غريبة عن اللغة العربية . فما موقف الدارس من كل هذا ؟

ويكفى أن تمثل سرعة العصر فى الترجمة فيما يجرى فى جلسات هيئة الأمم لنرى شيئا من السرعة التى نحتاج إليها . ففى هذه الجلسات كما هو معروف يباح للعضو أن يتحدث بلغته الأصلية ، وإن لم يكن بين الحاضرين من يفهمها . ذلك أن قسم الترجمة بالهيئة يقوم فى الحال وأثناء الحديث بالترجمة إلى الإنجليزية (جملة جملة) بحيث يستطيع من يشهد الجلسة أن يسمع الخطيب بأسماعه الخاصة وكأنما هو يتحدث الإنجليزية بالفعل . وبذلك يتابع الحاضرون بسماعاتهم المناقشة فى انتباه تام ، وبذلك تتخطى عقبة اللغة فى مثل هذه الاجتماعات الدولية . وبمجرد اعتراض أحد من الحاضرين أو تعليقه على الخطيب ينقل (أثناء الكلام) حديثه إلى الخطيب بلغته هو . وهكذا أحس بعض اللغويين أن عقبات الاختلاف بسبب تعدد اللغات قد ذللت أكبر صعابها .

بقى بعد ذلك الجهد الأعظم : جهد التفاهم الدقيق حتى فى اللغة الواحدة . وليس عبثا أن فلاسفة محدثين قد قرروا أن أكثر الخلاف فى وجهات النظر يعود إلى خلاف فى التعبير وفى فهم الألفاظ أكثر مما يعود إلى اختلاف فعلى فى وجهات النظر أو التفكير . وهذا باب جديد تبذل فيه بعض المنظمات الغربية جهدها ، يعاونها بعض العلماء لتخطى أسباب سوء التفاهم بين الناس داخل نطاق اللغة الواحدة ، وبالتالى داخل نطاق عدة لغات ، لتفادى الاختلافات السياسية وغيرها مما يؤدى بالجماعات إلى شر أى شر عندما يحاربون بسبب اختلاف فى وجهات النظر .

وعندنا فى تراثنا القديم ذخائر فى هذا المضمار ، كتبت بأساليب عصرها ولكنها لمست هذه المسائل عن قرب . ويحسن أن تكون هى فى لغتنا بدء الدرس . فلقد تناول البلاغيون العرب مشكلة اللفظ والمعنى منذ أيام الجاحظ إلى أيام السكاكى ، وتناولوا الفروقات الأدبية وتناولوا الكلمة ودرسوها ، بل إن بعضهم كابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ (أى منذ تسعة قرون) أفرد كتابا بأسره لدراسة الكلمة . وكل هذا يدلنا على الطريق الذى يتلاءم مع لغتنا لدراسة مشكلاتها .

تأتى أخيرا ، ولعلها أخطر المشاكل، مشكلة تعليم اللغة لجيلنا الناشئ . وحديث هذه المشكلة متشعب طويل ، ولكن الذى لا يمارى فيه أحد أن تعليم اللغة لأبنائنا بالشكل الراهن لم يؤد إلا إلى ضعف قدرتهم فى التعبير ، وضعف تأثرهم بالجمال فيها وعجزهم عن أن يؤثروا بها فيما يحاولون قوله . حتى فى الاستعمال العادى تقف مشكلة العامية والفصحى لتشابك وتتعقد فى صورة جديدة فى الكتاب المدرسى .

ويكفى أن ترى ما يقرأه الطفل الفرنسى مثلا من نصوص ممتازة بأقلام أعلام الأدب فى لغته فى كتابه المدرسى الصغير : كتاب فصل الأطفال فى سن الثامنة ، وبين ما يقرؤه طفلنا لتحس — إن كنا مخلصين — مشكلة اللغة فى هــذا المضمار والحاجة الملحة إلى درس سريع للمشكلة وحلها فى أقرب وقت مهما بذل فى سبيلها من جهد . ذلك أن اللغة تلك الأداة الضخمة وسيلة الاتصال والعلم إذا ما عطلت فى مجتمع أو إذا ما اعترضت سبيلها الصعاب . فإن الفرد بل المجتمع كله يشل ويقف ، فلا اتصال ولا علم ولا إعلام يدفع بحيويته إلى التدفق والرقى ، والسير فى ركب الحضارة .

وليس الأمر سهلا ، ولكننا إذا ما حافظنا على ما يجب أن نحافظ عليه ، وتحررنا فيما يجب أن نتحرر فيه من شؤون اللغة وبدأنا بالفعل الدرس فى جو من الشعور بالحاجة الملحة السريعة فإننا سنصل — بلا شك — إلى كثير مما نريد فى هذا المضمار . والله وحده ولى التوفيق ١٠

النَّسب بالألف والنون

للدكتور رسيس جرجس

توطئة : نون النسب هـذه لم تدخل اللغة العربية إلا على بعض أسماء نقلا عن السريانيين والآراميين . وقد كان لها شأن كبير في عهد الأمويين والعباسيين ، فلم يذكر علماء اللغة النسب بها إلا نادرا . ذهب سيبويه إلى "أنه من نادر معدول النسب" (١ — ١ : ١٢٤ في رقب و ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ في روح) وقال غيره : إن الألف والنون من زيادات النسب (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١) وأنه من شواذ النسب (١ — ٥ : ١٠٤ في بحر) وأنه نسب على غير قياس (١٣ — ١ : ١٢٨) .

وقد بحثتُ كثيرا في كتب النحو المطولة فلم أجد بها إلا النزر اليسير عن هذه النسبة فلجأت إلى المعجمات وغيرها من دواوين العربية فتمكنت بالاستقراء من استخراج القواعد الآتية :

أكثر الأسماء التي استعمل فيها هذا النسب ، ثلاثية مطردة مع أغلبية الثلاثي في العربية لكنه استعمل في الرباعية (سمسم وصيدل وصيدن وصنعاء وبهراء ومانا وطانا) والسداسية (سورية وإسكندرية) . غير أنه يلاحظ أن أكثر الرباعية وما زاد عنها غير عربي .

وينسب به للصحيح (نفس . جسم . رقبة . شعر . بر) ومعتل العين الأجوف (دير . فوق . روح . طول) ومعتل اللام (لحية) ومعتل العين واللام . اللفيف المقرون (جو) .

استعماله : استعمله العرب في عدة معان . أهمها :

أ — النسبة المجازية :

فينسب إلى ما يمت للمنسوب إليه بصلة أو يشترك معه في صفة .

الرباني :

(١) قال سيبويه : "الرَّبِّي منسوب إلى الرب . والربَّاني الموصوف بعلم الرَّب" . وروى عن زر بن عبدالله في قوله تعالى : "كونوا رَبَّانِيين" . قال : "حكماء وعلماء" . غيره : "الرباني : المتأله العارف بالله تعالى" وقال سيبويه أيضا : "زادوا ألفا ونونا في الرباني إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره . كأن معناه صاحب علم الرب دون غيره من العلوم" (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ في ربب) .

(٢) وقال أبو عبيدة : سمعت رجلا عالما بالكتب يقول : " الربانيون : العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي . قال : والأحبار أهل المعرفة بأنباء الأمم وبما كان ويكون " . قال أبو عبيدة : "وأحسب الكلمة ليست عربية إنما هي عبرانية أو سريانية . وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين " . قال أبو عبيد : "وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم " (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ ق رب) .

(٣) الربانى المتألّه العارف بالله تعالى ، ومنه قوله تعالى : " ولكن كونوا ربانيين "(٩)

(٤) قال السجستانى " ربانيون : كاملو العلم " (٤ ق ربانى) .

(٥) ابن الأعرابى . الربانى : العالم المعلم الذى يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها . وقال محمد بن على بن الحنفية : لما مات عبد الله بن عباس رضى الله عنه : "اليوم مات ربانى هذه الأمة " وروى عن على رضى الله عنه أنه قال " الناس ثلاثة : عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق " (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ ق رب) .

(٦) قال ابن الأثير : "الرَّبَّانى العالم الراسخ فى العلم والدين أو الذى يطلب بعلمه وجه الله . وقيل العالم العامل المعلم " (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ ق رب) .

(٧) وقيل الرَّبَّانِىُّ : العالى الدرجة من العلم (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ ق رب) .

(٨) والشائع الربانى وهو العالى العامل المعلم (١ — ١٠ : ٤٢) .

الروحانى :

(٩) وقال الأدرنوى "رُوحانى بضم الراء نسبة إلى الملائكة والجن ، وزادوا ألفا ونونا فرقا بينه وبين المنسوب إلى روح الإنسان (٨) " .

(١٠) النسبة إلى الملائكة والجن روحانى ، وكذا كل شىء فيه روح روحانى (٩) .

(١١) الروحانى من الخلق نحو الملائكة مما خلق الله روحا بغير جسد وهو نادر معدول النسب . قال سيبويه : "حكى أبو عبيدة أن العرب تقوله لكل شئ كان فيه روح من الناس والدواب والجن ، وزعم أبو الخطاب أنه سمع من العرب من يقول فى النسبة إلى الملائكة والجن رُوحانىّ بضم الراء والجمع روحانيون " (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ ق روح) .

(١٢) التهذيب : وأما الروحانى من الخلق فإن أبا داود المصاحفى روى عن النضر فى كتاب الحروف المُفَسَّرة من غريب الحديث أنه قال : حدثنا عوف الأعرابى من وَرْدان بن خالد . قال : بلغنى أن الملائكة منهم روحانيون ومنهم من خلق من النور . قال : ومن الروحانيين جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ ق روح) .

(١٣) قال ابن شميل: الروحانيون: أرواح ليست لها أجسام ، هكذا يقال ، قال: ولا يقال لشيء من الخلق روحاني إلا للأرواح التي لا أجساد لها مثل الملائكة والجن وما أشبههما . وأما ذوات الأجسام ، فلا يقال لهم روحانيون . قال الأزهري : وهذا القول في الروحانيين هو الصحيح المعتمد لا ماقاله ابن المُظَفَّر : إن الروحاني الذي نفخ فيه الروح (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ في روح) .

(١٤) وفي الحديث: " الملائكة الرُّوحانيون " يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسب إلى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيم الريح . والألف والنون من زيادات النسب . ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر . وفي حديث ضمام "إني أعالج من هذه الأرواح" . الأرواح ههنا كناية عن الجن . سموا أرواحا لكونهم لا يرون ، فهم بمنزلة الأرواح .

(١٥) قال الليث : القداع اسم جامع في كل ما يمس بدا من الروحانيين ذوي الأبدان (١ — ٩ : ٤٤٨) .

(١٦) مكان رَوْحانيّ بفتح الراء : ١ — نسبة إلى الرَّوْح وهو نسيم الريح (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ في روح) .

ب — مكان رَوْحانيّ أي طيب (المرجع السابق و ٩) .

الوحداني :

(١٧) في الحديث "إن الله تعالى لم يرض بالوحدانية لأحد غيره . شر أمتي الوَحْدانيّ المُعْجَب بدينه المرائي بعمله" . يريد بالوحداني المفارق للجماعة المنفرد بنفسه ، وهو منسوب إلى الوحدة : الانفراد ، بزيادة الألف والنون للمبالغة (١ — ٤ : ٤٦٥) .

هَرَبَانِيّ :

(١٨) هَرَبَانِيُّ اللِّسانِ فصيح (٣ — ٤ : ٣٠٠) قال الليث : يجوز أن يقال رجل هَرَبَانِيُّ اللسان (١ — ٢ : ٧٧) .

خوطاني :

(١٩) جارية خُوطَانِيَّة : مُشَبَّهَةٌ بالخوط (١ — ٩ : ١٦٩) .

جُمَّاني :

(٢٠) قال سيبويه : رجل جُمَّانيّ عظيم الجُمَّة من نادر معدول النسب جاء بجُمَّة ثم أضيف إليه . وهذا عنده مطرد في جميع نادر معدول النسب . أعني أنه إذا رُدَّ شيء جنسيا إلى التسمية فالنسب إليه على القياس فقط (١٣ — ١ : ٦٤) .

أرنباني :

(٢١) الأَرْنَبانيُّ : الخزُّ الأَدْكَنُ (٢ — ١ : ٧٦) كساءٌ مُرَنْبانيٌّ لونُه لون الأرنب (١ — ١ : ٤١٩) .

ب — المبالغة في النسب :

(١) قال سيبويه : يقال رجل شَعْرانيّ ولِحْيانيّ ورَقَبانيّ إذا خُصَّ بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة، فإذا نسبوا إلى الشَّعْر قالوا شَعْرِيّ والرقبة قالوا رَقَبِيّ وإلى اللحية لِحْيِيّ (١ — ١ : ٣٨٨ — ٣٨٩ في ربّ) .

(٢) وقيل الرَّبّانيُّ الذي يعبد الرب، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب (المرجع السابق) .

(٣) قال ابن الأثير : الرَّبّانيُّ : منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة (١ — ٣ : ٢٩٠ — ٢٩١ في روح) .

(٤) دم بَحْرانيّ شديد الحمرة . . . وزادوا في النسب ألفا ونونا للمبالغة (١ — ٥ : ١٠٩) .

(٥) أَوْرَقُ خُطْبانيٌّ : بالغوا به (١ — ١ : ٣٤٩) .

(٦) قولهم : رَقَبانِي وشَعْرانِي وجُمّاني ولِحْيانيّ للعظيم الرقبة والشَّعْر والجُمّة واللِّحْيَة (١٠) .

(٧) وقال أبو البقاء : لا تلحق الألف والنون في النسب إلا بأسماء محصورة زيدت فيها المبالغة كالرقباني واللحياني والجسماني (٨) .

(٨) رجل شعراني كثير شعر الرأس والجسد طويله (١ — ٦ : ٧٨ في شعر) .

(٩) رجل لِحْيانيٌّ بالكسر عظيم اللحية (٩) سيبويه : لحياني عظيم اللحية وهو نادر معدول النسب . قال : فإن سميت رجلا بلحية ونسبت إليه فعلى القياس (١٣ — ١ : ٦٤) .

(١٠) أَرْقَبُ بَيِّنُ الرَّقَب أي غليظُ الرَّقَبَة ورَقَبانيٌّ أيضا على غير قياس . والأرقب والرَّقَبانيُّ الغليظ الرقبة . يقال رجل رقبان ورَقَبانِيّ أيضا ولا يقال المرأة رقبانية (١ — ١ : ٤١٢) .

(١١) جُمَانِيّ — رجل جُمَانِيٌّ: عظيم الجُمّة من نادر معدول النسب (١٣ — ١ : ٦٤) .

(١٢) رجل أنفانيٌّ . قال أبو على : رجل أنفانيٌّ: عظيم الأنف، هو نسب على غير قياس، وكذلك يفعلون فى هذا النوع من النسب (١٣ — ١ : ١٢٨) .

(١٣) الشُّمْشَمانِيّ: الطويل الحسن الخفيف الجسم . الشُّمْشَمانِيّ: الطويل المدق فى كل شيء. (١ — ١٠ : ٨٤) .

(١٤) حمار قُمْقُمانِيّ بالضم أى شديد الصوت فى صوته قمقمة . قال رؤبة :

شاحِىَ لَحْيَىْ قُمْقُمانِى الصَّلْقْ قَمْقَمَةَ المحْوَرِ خُطَّافَ العَـلَقْ

(١ — ١٠ — ١٩٠)

ج — التأكيد :

فى حديث سلمن إن لكل امرئ جَوَّانِيًّا و بَرَّانِيًّا، فمن أصلح جَوَّانِيه أصلح الله بَرَّانِيه . قال ابن الأثير : أى باطنا وظاهرا وسرا وعلانية . وعنى بجَوَّانِيه سِرَّه و برانيه علانيته، وهو منسوب إلى جو البيت وهو داخله ، وزيادة الألف والنون للتأكيد ، وجو كل شيء بطنه وداخله ، وهو الجَوَّة أيضا . وأنشد بيت أبى ذؤيب :

يجرى بجَوَّته مَوْجُ الفُرات كأنَّـ ضاح الخُزاعى حازَتْ رَنْقَهُ الرِّيحُ

قال : وجَوَّته : بطن ذلك الموضع . وقال الآخر :

ليست تَرَى حَوْلَهَا شخصا وراكبها نَشْوَانُ فى جَــوَّةِ الباغُوتِ مَخْمور

(١ — ١٨ : ١٧١ فى جو) .

التهذيب : من كلام سلمان : من أصلح جَوَّانِيَّه بَرَّانِيَّه . المعنى من أصلح سريرته أصلح الله علانيته . أخذ من الجو والبر فالجو : كل بطن غامض والبرّ : المتن الظاهر . فها تان الكلمتان على النسبة إليهما بالألف والنون — والألف والنون من زيادات النسب ، كما قالوا فى صنعاء : صَنْعانِيّ (١ — ٥ : ١١٩) .

د — بدل الهمزة أو الواو :

كما قال سـيبويه وابن جنى . ولو أنى أرى أن حذف الهمزة فى هذا الموضع للتخفيف إذ يصعب النطق بالاثنين معا .

(١) الإضافة إلى صنعاء صنعانىّ على غير قياس ، كما قالوا فى النسبة إلى حَرّان حَرّانِىّ وإلى مانا وعانا مانِى وعانِى . والنون فيه بدل الهمزة فى صنعاء . حكاه سيبويه (١ — ١٠ : ٨٠ — ٨١ فى صنعاء) .

(٢) قال ابن جنى : ومن حذاق أصحابنا من يذهب إلى أن النون فى صنعانى إنما هى بدل من الواو التى تبدل من همزة التأنيث فى النسب ، وأن الأصل صنعاوى ، وأن النون هناك بدل من هذه الواو .

(١ — ١٨ : ١٧١ فى جو)

(٣) بَهْرَاء : حَىٌّ من اليمن . والنسب إلى بهراء بَهْرَاوِىّ بالواو على القياس . وبَهْرَانِىّ مثل بَحْرَانِى على غير قياس ، والنون فيه بدل من الهمزة . قال ابن سيده : حكاه سيبويه (١ — ٥ : ١٥٢ فى بهر) .

(٤) تنقلب النون من الواو إن نسبت إلى صنعاء وبهراء فقلت صنعانى وبهرانى (١ — ٧ : ٣٠٩) .

الألفاظ التى وردت فى العربية

(١) الأَعْيَانِىُّ بالضم : الوجه الفخم فى حُسْنٍ وبَيَاض (٢ — ١ : ٤١) .

(٢) أُرْتَبَانِى — سبق ذكره .

(٣) إِسْحَلَانِىٌّ . رجل إِسْحَلَانِىُّ القِمَّة بالكسر طويلها ، والاسْحِلَانِيَّةُ المرأة الرائعة الطويلة الجميلة ، وشابٌّ مُسْحَلَانِىٌّ بالضم : طويل أو سَبْط الشعر أفرع وهى بهاء (٢ — ٣ : ٣٩٤) .

(٤) الأَشْبَانِى محركة : الأحمر جدا (٢ — ١ : ٣٧) .

(٥) إسكندرانى (٥ — ٣ : ٤٤١) .

(٦) أُمْلُدَانِىٌّ . الأُمْلُدَان والأُمْلُدَانِىُّ : الشاب الناعم ، وامرأة أُمْلُدَانِيَّة ومَلَدَانِيَّة : ناعمة (١ — ٤ : ٤١٨ ، ١٣ — ٢ : ٦٦) .

(٧) أَنْبِجَانِىٌّ فى الحديث : إِيتُونِى بأَنْبِجَانِيَّةِ أبى جَهْم . قال ابن الأثير : قيل هى منسوبة إلى مَنْبِج المدينة المعروفة (١ — ٢ : ٣٠) راجع منجبانى .

(٨) أُنَّانِيٌّ — سبق ذكره .

(٩) إِنْضائى — عن ابن سيده : رجل إِنْقُطان وإُنْقُطَانِيّ بضمهما و بكسرهما وهى بهاء أى امتلأ شحما (٢ — شرح) .

(١٠) بَحْرانى . النسب إلى البحر على غير قياس . قال سيبويه : قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعلان . قال السهيلى رحمه الله تعالى : زعم ابن سيده فى كتاب المحكم أن العرب تنسب إلى البحر بَحْرانى على غير قياس وإنه من شواذ النسب . ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل رحمهما الله تعالى وما قاله سيبويه قط . وإنما قال فى شواذ النسب تقول فى بهراء بَهْرانى وفى صنعاء صَنْعانى كما تقول بحرانى فى النسب إلى البحرين التى هى مدينة . قال وعلى هذا تلقاه جميع النحاة وتأولوه من كلام سيبويه . قال : وإنما اشتبه على ابن سيده لقول الخليل فى هذه المسألة أعنى مسألة النسب إلى البحرين كأنهم بنوا البحر على بحران ، وإنما أراد لفظ البحرين ، ألا تراه يقول فى كتاب العين : تقول بحرانى فى النسب إلى البحرين . ولم يذكر النسب إلى البحر أصلا للعلم به ، وأنه على قياس جار . قال وفى الغريب المصنف عن الزيدى أنه قال : " إنما قالوا بحرانى فى النسب إلى البحرين ولم يقولوا بحرى ليفرقوا بينه وبين النسب إلى البحر (١ — ٥ : ١٠٤ فى بحر) .

(١١) الباحِر الأحمر الشديد الحمرة . يقال أحمر باحر و بَحْرانِى . . دم بَحْرانِيٌّ شديد الحمرة كأنه نسب إلى البحر وهو اسم قعر الرحم ، منسوب إلى قعر الرحم وعمقها ، وزادوه فى النسب ألفا ونونا للمبالغة . يريد الدم الغليظ الواسع . وقيل نسب إلى البحر لكثرته وسعته . ومن الأول قول العجاج :

وردٌ من الجوف و بحرانى

أى عبيط خالص . وفى الصحاح البحر عمق الرحم ، ومنه قيل للدم الخالص الحمرة باحر وبَحْرانِيٌّ . ابن سيده ودم بَاحِرٌ وبَحْرانِيٌّ خالص الحمرة من دم الجوف . وعمّ بعضهم به فقال أحمر بَاحِرِيٌّ و بحرانى . ولم يخص به دم الجوف ولا غيره (١ — ٥ : ١٠٩) .

(الباحر) دم الرحم كالبحرانى (٢ — ١ : ٣٦٨) .

(١٢) البَحْرانِيةُ (٢ — ٣ : ١٨٧ فى قلف) .

(١٣) براِنى — سبق ذكره .

(١٤) البرنجانى : البُرْنُجَانِيَّةُ أشد القمح بياضا وأطيبه وأتمه حنطة (١ — ٣ : ٣٥) .

(١٥) بَلْتَعِيٌّ و بَلْتَعَانِيٌّ : حاذق ظريف (١ — ٩ : ٣٦٨) البلتع الحاذق بكل شىء . والبَلْتَعَانِيُّ المتظرف المتكيس وليس عنده شىء . والبلتعى : اللسن الفصيح (٢ — ٣ : ٧) .

(١٦) بَهْرَانِي نسبة إلى بَهْرَاء (١ — ٥ : ١٥٢ ق بهر) .

(١١٦) البُوْلَانِيُّ . وبها كُنِي البُوْلَانِيَّ أبا صَعْتَرَة (١ — ٦ : ١٢٨) .

(١٧) بَيْذَرَانِيّ — رجل بَيْذَرَانِيٌّ : كثير الكلام (٢ — ١ : ٣٧٢) .

(١٨) تَحْتَانِيّ . قاله طاهر بن أحمد القزويني (١١) .

(١٩) تَخْتَاخٌ وتَخْتَخَانِيٌّ ألْكَنُ (٢ — ١ : ٢٥٧) قارن لَخْلَخَانِيّ .

(٢٠) جِبْرَانِيّ — جِبْرِين كغسلين بلدة النسبة إليها جِبْرَانِيٌّ على غير قياس (القياس يقتضى أن يكون جبريني — شارح) وضبطه ابن نقطة بالفتح (٢ — ١ : ٣٨٥) .

(٢١) جَسَدَانى (٥ — ٢ : ٧٣) .

(٢٢) جِسْمَانى (٥ — ١ : ١٢) .

(٢٣) جَصَّانِيّ إبْلٌ جَصَّانِي (١٤ : ١٤١) ماء جَصَّانِي (نفس المرجع) .

(٢٤) جُمَّانِي . سبق ذكره .

(٢٥) جَوَّانِي . سبق ذكره .

(٢٦) جِيشَانِيّ قال شمر : قال بعضهم معنى الاضار هذه الأقداح الحمر الجِيشَانِيَّة ، سميت نضارا (١ — ٧ : ٧١) .

(٢٧) حَرَّانِيّ نسبةٌ إلى حَرَّان (١ — ١٠ — ٨٠ — ٨١ ق صدماء) حَرَّان بلد بالشام، والنسبة حَرْنَانِيّ ولا تقل حَرَّانِي و إن كان قياسياً (٢ — ٤ : ٢١٣) .

(٢٨) حُلْوَانِي — ضَرْب من التين، وأهل الحضر يسمونه الحُلْوَانِي (١ — ٥ : ٤٢٠) .

(٢٩) خطبانى — سبق ذكره .

(٣٠) خُلْصَانِي . فلان أُثيرى : أى خُلْصَانِي (١ — ٥ : ٦٣) .

(٣١) خُوطَانِيّ — جارية خُوطَانِيَّة ، مُشَبهة بالخُوط (١ — ٩ : ١٦٩) .

(٣٢) من حديث أبى إدريس الخَوْلانِىّ (١ — ٥ : ٣٤١) .

(٣٣) دَوْسَرَانِىّ — جَمَلٌ دَوْسَرَانِىٌّ : ضخم شديد مجتمع ذو هامة ومناكب (١ — ٥ : ٣٧١).

(٣٤) الدَّوْقَانِيَّةُ . الدَّوْقَةُ والدَّوْقَانِيَّةُ : الفساد والحمق (٢ — ٣ : ٢٣٣) .

(٣٥) دَيْرَانِى نسبة إلى الدَّيْر— الدَّيْرَانِىُّ : صاحب الدير . . ودَيْرَانِى نسب على غير قياس . الدَّيْرَانِىُّ : صاحب الدير (١ — ٥ : ٣٨٧) .

(٣٦) ذَرَآنِى — ملح ذَرَآنِىٌّ ويحرك : شديد البياض من الذُّرْأَة . ولا تقل أنْدَرَانِىّ (٢ — ١ : ١٥) .

(٣٧) رَبَّانِى — سبق ذكره .

(٣٨) الرَّبَذَانِى — المِرْبَاذُ : المكثار الهذار كالرَّبَذَانِى (٢ — ١ : ٣٥٣) .

(٣٩) رَحْرَحَانِى . قال أبو عمر : قصعة رَحْرَحٌ ورَحْرَحَانِيَّةٌ وهى المنبسطة فى سعة (١ — ٣ : ٢٧٢) التهذيب فى الرباعى : ابن الأعرابى : الشُّقَارِج : طِرِّيان رَحْرَحَانِى وهو الطبق (١ — ٣ : ١٣٣) .

(٤٠) الرَّقَبَانِى : الغليظ الرقبة (١ — ١ : ٤١٢) فى رقب : العظيم الرقبة (١٠) .

(٤١) رُوحَانِى — سبق ذكره .

(٤٢) رَوحانى بفتح الراء :

ا — نسبة إلى روحاء (الأدونوى) ، الرَّوْحَاءُ : موضع . والنسب إليه روحانى على غير قياس . (١ — ٣ : ٢٩٥) .

ب — نسبة إلى الرَّوْح ، وهو نسيم الريح .

ج — مكان رَوْحَانِى أى طيب (٩) .

(٤٣) رُوْمانِى .

(٤٤) زُغْبَانِى — شنجار ، وهو زُغْبَانِىّ شائك (٥ — ١ : ٣٦٠)

(٤٥) سَبَلَانِيّ — رجل سَبَلَانِي محركة طويل السَّبَلَة (٢ — ٣ : ٣٩٢) .

(٤٦) سُرْيَانِي .

(٤٧) سُقْلَانِي — قاله طاهر بن أحمد القزويني (١١ ، ٥ — ١ : ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣ : ٢٨٦) .

(٤٨) سِمْسَانِي (٥ — ١ : ٢٤ و ٣٩) .

(٤٩) سَوْذَقَانِي :

وتُحص كساق السوذقاني نازعت يَحَقَّ جَشَاءِ البُغَامِ خَفُوق (١ — ٨ : ٣٥٨) .

(٥٠) سَيْحَفَانِي — رجل سَيْحَفِي اللحية طويلها كَسَيْحَفَانِيها (٢ — ٣ : ١٥١) .

(٥١) شَحَانِي (٥ — ١ : ١٥١) .

(٥٢) شَعَرَانِي — رجل شَعَرَانِي : كثير شعر الرأس والجسد طويله (١ — ٦ : ٧٨ — ق شعر) والعظيم الشعَر (١٠) .

(٥٣) الشَّمْشَانِيّ : الطويل (٢ — ٣ : ٤٥) .

(٥٤) شَهْوَانِي (٥ — ٣ : ٢١٤) .

(٥٥) الشَّيْبَانِي (١ — ٤ : ١٦٩ و ٥ : ٣٥٦) .

(٥٦) صَدْرَانِي نسبة إلى صدر كبير (١٥) .

(٥٧) الصَّرْصَرَانِي — الصَّرْصَرَانِيَّة من الإبل : التي بين البَخَاتِيّ والعِرَاب . وقيل هي الفوالج . والصرصران : إبل نبطية يقال لها الصَّرْصَرَانِيَّات . الجوهري : الصَّرْصَرَانِيّ واحد الصَّرْصَرَانِيَّات ، وهي الإبل بين البَخَاتِي والعِرَاب . والصَّرْصَرَانُ والصَّرْصَرَانِي : ضرب من سمك البحر (١ — ٦ : ١٢٥ و ٢ — ٢ : ٦٩) .

(٥٨) صَنْعَانِي (١ — ١٠ : ٨٠ — ٨١ ق صنعاء) .

(٥٩) صُوفَانِي — كبش صُوفَانِي بالضم وهي بهاء إذا كَثُر صُوفُه . (٢ — ٣ : ١٦٤) .

(٦٠) قال الكميت بن ثعلبة :
أَمَيطانيّة أدمتْ بسَمْن (١—٧ : ٨) .
يقال : أطيب مضغة أكلها الناس صَيْحَانيةٌ (١—١٥ : ٣٣٥) .

(٦١) صَيْدَلاني ،صَيْدَناني (١—١٢ : ٣١٣ و١٣ و ١ : ٤٠١ و٢—٤ : ٢ و ٤ و١٨٠ و٢٤١) .

(٦٢) الصَّيْقَباني: العطّار (٢—١ : ٩٣) .

(٦٣) ضَرَباني (٥—١ : ٢٧٣ و ٢٧٥) .

(٦٤) الطَّبَراني (١—٧ : ٢٢١) .

(٦٥) الطُّرْطُبَانيَّة من المعز: الطويلة شَطْرى الضَّرْع (١—٢ : ٤٧) .
الطُّرْطُبَانيَّة: الطويلة الضَّرْع (٢—١ : ٩٧) .

(٦٦) طَرَقاني (٥—١ : ٢٨) .

(٦٧) طَمْطَاني — رجل طُمْطُماني بالضم: في لسانه عُجْمَةٌ . وطُمْطُمَانيةُ حِمْيَر بالضم: ما في لغتها من الكلمات المنكرة (٢—٤ : ١٤٥) .

(٦٨) طُوراني —الطُّور: الجبل . وهو بالسريانية طُورى .والنسب إليه طُورِيّ وطُوراني . وقيل: إنه اسم المكان.وحَمام طُوراني وطُوريٌّ ،منسوب إليه (١—٦ : ١٨٠) ما بها طُورانيّ أحد (٢—٢ : ٧٩) يقال للوحش من الطير وغيرها طُوري وطُوراني (٣—٣ : ٤٢١) .

(٦٩) طُولاني (٥—١ : ٥٠) .

(٧٠) عِبراني — والعِبْرانيّة لغة اليهود،والعِبْرى بالكسر العِبْراني لغة اليهود (١—٦ : ٢٠٧ في عبر) .

(٧١) العَدَوانيّ — قال ذو الإصْبَع العَدَوانيّ (١—٧ : ٤٢١) .

(٧٢) عَرَباني — سبق ذكره .

(٧٣) عَصَباني — (٥—١ : ٢٠ و ٤٧ و ٢ : ٧ و ١٠٨) عَصَبانيَّة (٥—١ : ٢٧) .

(٧٤) عَضَلَانِى (٥ — ١ : ١٥١) .

(٧٥) عُمُدَّانِى — العُمُدَّانِى : الشابُّ الممتلىء شبابا . وهى بهاء (٢—١ : ٣١٧) العُمُدَّانِى والجمع العُمُدَّانِيُّونَ وامرأة عُمُدَّانِيَّة أى ذات جسم وعَبالة (٣—٤ : ١٣٩) صاحب العين : العُمُدّ والعُمُدّان والعُمُدَّانِىُّ الطويل ، وقيل هو الشاب الممتلئ ، والأنثى عُمُدَّانِيَّة (١٣ — ٢ : ٦٩) .

(٧٦) العَنَّانِى نسبة إلى عَانَا (١ — ١٠ : ٨٠ — ٨١ فى صنعاء) .

(٧٧) العَوْبَثَانِىُّ — الخصيف اللبن الحليب يصب عليه الرائب ، فإن جعل فيه التمر والسمن فهو العوبثانى . وقال ناشرة بن مالك يرد على الخَبَّل .

إذا ما الخصيفُ العَوْبَثَانِىُّ ساءنا تركناه واخترنا السَّديفَ المُسَرْهَدا

(١—١٠ : ٢٢) .

(٧٨) العَوْسَرَانِيَّةُ — يقال للناقة التى تركب قبل أن تراض عَوْسَرَانِيَّة وهذا مما قلنا إن زيادة حروفه يدل على الزيادة فى المعنى (٣—٤ : ٣٢٠) .

(٧٩) عَيْسَرَانِى — بعير عَيْسَر وعَيْسَران وعَيْسَرَانِى . قال الأزهرى وزعم الليث أن العَوْسَرَانِيَّة والعَيْسَرَانِيَّة من النوق التى تركب قبل أن تراض . قال وكلام العرب على غير ما قال الليث . قال الليث : قال الجوهرى : وجمل عَوْسَرَانِى وناقة عَوْسَرَانِية إذا كان من دأبها تكسيرُ ذَنَبها ورفعُه إذا عدت . ومنه قول الطرماح :

عَوْسَرَانِيَّةٌ إذا انتقضَ الخِمْــ س نَقَاضَ القَضيض أىَّ انتقاض

(١—٦ : ٢٤١—٢٤٢)

(٨٠) غُدَّانِى — قال الحرث بن بدر الغُدَّانِى (١ — ٢ : ٢٥٣) الشباب الغُدَّانِى : الغض . قال : " بعد غُدَّانِى الشباب الأبله " (٣—٤ : ٤١٤) .

(٨١) الفاكهانِى : بائع الفاكهة (٢—٤ : ٢٨٩) .

(٨٢) القَفْقَانِىّ : الجازرخَذْلِيَّة — يقال للجزار قَفْقَانِى والقَفْقَانِى الحلو الكلام الرطب اللسان . (١ — ١٠ : ١٢٦) القَفْقَانِى : القصاب أو الراعى وكذلك القَنْقَنىّ (٣—٤ : ٤٤١) .

(٨٣) قُوقَاني — قاله طاهر بن أحمد القزويني (١١ و ٥ — ١ : ٢٨ و ٣٥ و ٣٧ و ٣ : ٢٨٦).

(٨٤) القَيْلَمانِي — تين أسود يأتي الطُّبَّار في الكبر وهو يَتَقَلَّعُ إذا بلغ — مُقَوَّرٌ شديد السواد حكاه أبو حنيفة (١ — ٣ : ٣٨٣).

(٨٥) قَيَامَانِيّ . القَيْلَمُ العظيمُ من الرِّجال . وفي ذكر الدجال رأيته قيلمانياً (٣ — ٤ : ٤٤٦)

(٨٦) قَرْوَانيٌّ — القَرْو : أن يعظم جلد البَيْضَتَيْن لريح أو ماء أو نزول الأمعاء رجلٌ قرْوَانِيٌّ (٢ — ٤ : ٣٧٧).

(٨٧) القُسْطَانيَّةُ والقُسْطَانِيّ : خيوط تخيوط قوس المُزْن تحيط بالقمر وهي من علامة المطر. قال أبو سعيد : يقال لقوس الله : القُسْطَانِي وأنشد :

وأديرت حَقْف تحتها مثلُ قُسطانيّ دَجْن الغَمام

قال أبو عمر : والقُسْطَانِيُّ: قوس قُزَح . ونُهِي عن تسمية قوس قُزَح (١ — ٩ : ٢٥٤) القُسْطَانيُّ والقُسْطانيَّةُ بضمهما : قوسُ الله . والعامة تقول قوس قزح . وقد نُهي أنه يقال (٢ — ٤ : ٣٧٩) .

(٨٨) القَسْطَلانِيَّة : قوس قُزَح، وحمرة الشَّفَق (٢ — ٤ : ٣٧) .

(٨٩) قُمْقُمانِي — رجل قُمْقُمانِيّ تسمع لمفاصل رجليه تقعقعا إذا مشى، وكذلك البعير إذا حمل على المائة وتقعقع لحياه يقال له قُمْقُمانِي ... (١ — ١٠ : ١٦٠) رجل قُمْقُمانِيٌّ إذا مشى سُمِعَت لمفاصله قَعْقَعَة ، وحمار قُمْقُمانِي وهو الذي إذا حمل على المائة صَكَّ لَحْيَيْه (٣ — ٥ : ١٤).

(٩٠) قُنْدَانِي — رجل قُنْدان وقُنْدَانِي : قوي شديد صلب ، والأنثى قُنْدَانَة وقُنْدَانِيَة (١ — ٤ : ٣٧٠) (٢ — ١ : ٣٣٠) .

(٩١) قُنْبُرَانِيّ — دجاجة قُنْبُرَانِيَّة وهي التي على رأسها قُنْبُرَةٌ أي فَضْلُ ريش قائمة (١ — ٦ : ٤٣٠) .

(٩٢) قُنْبُلانِيّ — ذَرٌّ قُنْبُلانِي بالضم تجمع القَنْبَلَة (أو القبيلة) من النَّاس (٢ — ٤ : ٤١)

(٩٣) قُنَانِيّ — رجل قُنَانِي . (لا يُنَيّ ولا يُجَمع ولا يؤنث) : يَقْنَع به ويرضى برأيه وقضائه (١ — ١٠ : ١٧١) .

(٩٤) كَلَّانِي – رجل كَلَّانِيّ كَـلَّمَانِي وتحرك و كِلَّانِيّ بكسرتين مشددة اللام وبكسرتين مشددة الميم ولا نظير لها : جيد الكلام فصيحه أو كِلَّانِي كثير الكلام وهى بهاء (٢ – ٤ : ١٧٢).

(٩٥) اللِّحْيَانِيّ : الطويل اللحية (١ – ٢٠ : ١٠٨ فى لحية) أو العظيم اللحية (١٠) .

(٩٦) أَطْمَانِي – الطَّمْطَانِيَّةُ : العُجْمَةُ فى المنطق ، ورجل أَطْمَطَانِيٌّ : غير فصيح (٢ – ١ : ٢٦٨) قارن تَمْتَمَانِي .

(٩٧) مَخْبَرَانِيّ – رجل مَخْبَرَانِي : ذو مَخْبَرٍ ، كما قالوا مَنْظَرَانِي أى ذُو مَنْظَرٍ (١ – ٥ : ٣٠٩) .

(٩٨) مَرْبَانِي – سبق ذكره .

(٩٩) المَزْبَرَانِي – المَزْبَرَانِيّ : الضخم الزُّبْرَةِ . قال أوس بن حجر :

لَيْثٌ عليه من البَرْدِيِّ هِبْرِيَةٌ كالمَزْبَرَانِيِّ عَيَّالٌ بأَوْصَالِ

وأسد مَزْبَرَانِي ضخم الزُّبْرَةِ (١ – ٥ : ٤٠٤ و ٦ : ٣٠١) .

(١٠٠) رجل مَصْقَعَانِي : يُفْعَلُ به ذلك (يُصْقَعُ على قفاه) (١ – ١٠ : ٦٨) .

(١٠١) مَعْصَرَانِي .

(١٠٢) مَعْمَعَانِيّ – ليلة مَعْمَعَانِيَّةٌ : شديدة الحر . وكذلك اليوم مَعْمَعَانِي ، وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما : كان يتتبّع اليوم المَعْمَعَانِي فيصومه : أى الشديد الحر . وفى حديث ثابت : قال بكر بن عبد الله : أنه ليظل فى اليوم المعمعانى البعيد ما بين الطرفين يراوح ما بين جبهته وقدميه . (١ – ١٠ : ٢١٧) .

(١٠٣) مَنَانِي نِسْبَةٌ إلى مَانَا (١ – ١٠ : ٨٠ – ٨١ فى صنعاء) .

(١٠٤) مَنْبَجَانِيّ – كساء مَنْبَجَانِي . أخرجوه مخرج مَخْبَرَانِي ومَنْظَرَانِي . قال ابن سيده : كساء منبجانى منسوب إلى مَنْبِج على غير قياس (١ – ٣ : ١٩٥) .

(١٠٥) مَنْظَرَانِيّ – راجع رقم ٩٧ و ١٠٤ رجل مَنْظَرِيّ ومَنْظَرَانِيّ الأخيرة على غير قياس حسن المنظر . ورجل مَنْظَرَانِي مَخْبَرَانِي (١ – ٧ : ١٤) .

(١٠٦) مَيْسَنَانِي — مَيْسَان : بلد والنسب إليه مَيْسَانِي ومَيْسَنَانِي الأخيرة نادرة . وقال العجاج :

جَوْدٌ تَرَى زَيْطَهَا المُدَقَّسَا ومَيْسَنَانِيًّا لَهَا مُمَيَّسَا

(١ — ٨ : ١١٠)

(١٠٧) نَصْرَانِي (١ — ٧ : ٦٧ — ٦٨ في نصر) .

(١٠٨) نَفْسَانِي (٥ — ١ : ٢٠ و٦٧ و١٥٠ و١٨٥ و٣ : ٧) .

(١٠٩) نُورَانِي .

(١١٠) الحَرْنَبْرَانِي-الحديد . حكاه ابن جني بزامين . قال وهي من الأمثلة التي لم يذكرها سيبويه (١ — ٧ : ٢٩٢)

(١١١) هُنْدُوانِي — يقال سيف مُهَنَّد وهِنْدِي وهُنْدُوانِي إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله . وهند اسم بلاد والنسبة هندي . وسيف هُندواني يكسر الهاء وإن شئت ضممتها اتباعا للدال . والسيف الهندواني والمُهَنَّد منسوب إليهم (١ — ٤ : ٤٥٠) قال عبيد :

" كالهندواني المهند هزه القرن المناجز " (١ — ٧ : ٢٨١) .

قال الطرماح :

أَمْضَتْ عليك الأرض خطانٌ بالقنى وبالهُنْدُوانِيَّات والقُرَّح الجُرْدِ

(١ — ٨ : ٣٢٨) .

قال زهير :

بِرَجْمٍ كَوَقْعِ الهُنْدُوانِي أخلص الصَّيَاقِلُ مِنْهُ عن حَصِيرٍ ورَوْنَقِ

(١ — ٥ : ٢٧١) .

قال :

والهُنْدُوانِيَّاتُ يَخْطَفْنَ البَصَرْ (١ — ١٠ : ٤٢٣) .

السيف الهُنْدُوانِيّ : مَنْسُوبٌ إلى رجال الهند (٢ — ١ : ٣٤٩) .

(١١٢) وَحْدَانِي — سبق ذكره .

(١١٣) وَسْطَانِي (٥ — ١ : ٢٧) .

ملحق

صيغ النسب الأخرى فى العربية

١ — قد يستغنى من ياء النسب بصوغ اسم من المنسوب إليه على وزن :

(١) فَعَّال وذلك غالب فى الحرف كَنَجَّار وعطَّار وعوَّاج . ويشذ قول امرئ القيس :

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بِنَبَّال

العواج بائع العاج . والنَّبَّالُ : ذو النبل فهو ليس بحرفة . وحمل عليه قوم "وما ربك بظلام للعبيد" أى بذى ظلم (١٢) رجل كَلَّاب : صاحب كِلَاب (١ — ٢ : ٢١٧) النُّشَّابُ : متخذ النُّشَّاب، وقوم نَشَّابَةٌ يرمون بالنُّشَّاب . كل ذلك على النسب لأنه لا فِعْلَ لَهُ (١ — ٢ : ٢٥٤) .

(٢) فاعل مقصـــود به صاحب كذا كَاسٍ وكَاسٍ وطاعم ولابن أى صاحب تمر وكسوة وطعام ولبن .

ومنه قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

وغـــررتنى وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

وقوله أيضا :

دع المكارم لا ترحل لبغيتـها واقعـــد فإنك أنت الطاعم الكاسى

رجل دارع ذو درع على النسب ، كما قالـــوا لابن وتامر (١٣ — ٦ : ٦٩) رجل كالب وكلاب : صاحب كلاب مثل تامر ولابن ، قال رَكَّاض الدُّبَيْرِى :

سَـــدَا بيديه ثم أجّ بسيره كأجّ الظليم من قنيص وكالب

وقيل سايس الكلاب (١ — ٢ : ٢١٧) وهَمٌّ نَاصِبٌ مُنْصِبٌ : ذو نَصَب مثل تامرٍ ولابنٍ . الأصمعى : ناصب : ذو نَصَب مثل ليل نائم ذو نوم ينام فيه ، ورجل دَارِعٌ : ذو درع . قال سيبويه : هَمٌّ نَاصِبٌ هو على النَّسب (١ — ٢ : ٢٥٤ — ٢٥٥) .

(٣) فَعِل كطَعِم ولبن ونَهِر وعَمِل أى ذى طعام ولبن ونهار وعمل، ومنه ما أنشده سيبويه:

لست بليلى ولكنى نهر لا أدلج الليل ولكن أبتكر (١٢)

(٤) مِفْعال كمعطار أى ذى عِطر، وهذا نادر (١٢).

(٥) مِفْعِيل كفرس مِحْضير أى ذى حُضْر. هذا نادرٌ أيضاً (١٢).

(٦) فَعال — النسب إلى الشام واليمن وتهامة — رجل شَآم ويَمان وتَهام وكلها مفتوحة الأول (١٠)

(ب) زيادة الكاف.

فى الصحاح "المَنَادِكَةَ: الهنود والكاف زائدة نسبوا إلى الهند على غير قياس" وقال الأزهرى: " سيوف هِندكيةٌ أى هندية والكاف زائدة " وقال ياقوت " لم أسمع بزيادة الكاف إلا فى هذا الحرف (٦) قال كثير:

ومُقْرَبَةٍ دُهْمٍ وكُمْتٍ كأنها طَماطِمُ يُوفُونَ الوُفُورَ هَنادِكا

فقال محمد بن حبيب: أراد بالهنادك رجال الهند. قال ابن جنى: وظاهر هذا القول منه يقتضى أن تكون الكاف زائدة. قال: ويقال رجل: هندى وهِندكى. قال: ولو قيل إن الكاف أصل وإن هِندى وهِندكى أصلان بمنزلة سَبِط وسِبَطْرٍ لكان قولا قويا (١ — ٤ : ٤٥٠).

الكاف ليست من حروف الزيادة. ويقولون فى هِندى هِندكى وفى قندى قندكى، وتكلمت به العرب، وهو منقول من لسان الحوش. قال الشاعر:

ومقرونة دهم وكمت كأنها طماطم يوفون الوهاد هنادك

والحبشة تزيد فى كل منسوب كافا وياء، قاله أبو حيان (١٦).

اقتراح

فى اللغات الأوربية صيغ كثيرة للنسب، وأكثرها نسب حقيق ما عدا صيغتين إحداهما إضافة — oid — اليونانية والثانية إضافة form — اللاتينية (فى الفرنسية forme — والإنجليزية form — أو like) تضاف هذه إلى عجز الكلمة. مثال ذلك Baciliform, Ensiform, Amyloid

glue – like, بمعنى شبيه بالنشا ، وشبيه بالسيف ، وشبيه بالباسيل، وشبيه بالغراء . وهي نسبة إلى ما يشابه المنسوب إليه . فـ Amyloid (=Starch-like) مادة لا تمت للنشاء بصلة ، وكل ما هنالك أنها تتلون بالأزرق إذا صبغت باليود ، كالنشاء و Colloid, (Glue-like) أى الشبيه بالغراء قد يطلق على نوع من السرطان تشبه فيه المادة حصيلة المرض الغراء ، ولا علاقة بينهما . وال Sword-like (Ensiforme، Xiphoid) أى الشبيه بالسيف يطلق على الرهابة وهى غضروف فى أسفل القص له طرف محدد . . إلخ وليست بسيف ولا أداة قتال .

فالنسبة بين المنسوب والمنسوب إليه فى هذه الحالة ، نسبة مجازية ، وهذا أحد استعمالات النسب بالألف والنون والياء .

لذلك أقترح استعمال هذا النسب فى ترجمة الكلمات المنتهية بـ oid و oide و form و forme و like مثل adenoid غُدّانى و amyloid نشوانى و cystoid كيسانى و coiloid(=glue-like) غروانى و Ichthyoid سمكانى و lipoid شحمانى و thyroid درقانى و sisamoid سمسمانى و lambdoid لامانى و sigmoid سينانى و xiphoid, Ensiform سيفانى و bacteriform بكتيريانى و baciliform باسيلانى و cuniform مسمارانى و falciform منجلانى و dysenteriform دسنطرانى و scarlatiniform قرمزانى . . . الخ .

المراجع

(١) لسان العرب لابن منظور .
(٢) المحيط للفيروز بادى .
(٣) المقاييس لابن فارس .
(٤) غريب القرآن – السجستانى .
(٥) القانون لابن سينا .
(٦) المزهر للسيوطى ٢ : ١٦٢
(٧) حاشية الحمصى ص ٣
(٨) مصباح الطالب ص ١٣٢
(٩) مختار الصحاح .
(١٠) الأشمونى هامش – ٤ : ١٣٢
(١١) التصريح على التوضيح ٢ : ٣٤٠
(١٢) تهذيب التوضيح ص ١٧٠ – ١٧١
(١٣) المخصص لابن سيده .
(١٤) كتاب العين لحنين بن إسحق .
(١٥) القواعد الجلية فى علم العربية .
(١٦) شفاء الغليل ص ١٩٠

جواز التعريب على غير أوزان العرب

للأستاذ محمد شوقي أمين

معالم البحث

- النزاع على التعريب .
- شيوع اشتراط الأقيسة العربية لقبول الكلمات المعربة .
- تغيير الكلمة الأجنبية يفسد نظامها ويخل بمدلولها .
- فروق بين طبيعة الكلام العربي وأوضاع الكلمات الأجنبية .
- منهج العرب في المعربات .
- كلمات معربة على غير أوزان العرب .
- " سيبويه " يجيز قبول الكلمات الأجنبية بأوزانها الخاصة .
- تعليل مذهب " الفراء " في اختيار الوزن العربي للكلمة المعربة .
- تأييد " المرزوقي " لقبول ما خالف أبنية العرب .
- موافقة " ابن سيده " لقول " سيبويه " .
- مدرسة النحو المصرية تجيز التعريب على غير أوزان العرب فيما بين القرن السادس والقرن الحادي عشر للهجرة .
- ثلاثة من مدرسة النحو المصرية القائلة بهذا الجواز يحسنون غير اللغة العربية من اللغات الأجنبية .
- " ابن بري " لا يرى وجها لحمل الكلمات المعربة على أمثلة كلام العرب .
- " أبو حيان " لا يمنع تعريب ما لم يلحق بالأبنية العربيـة ، ولكنه لا يعطيه حكمها في التصريف .

● " الشهاب الخفاجى " ينقل مذهب القائلين بأن الأسماء الأعجمية لاتوزن بالوزن العربى، و بأن الكلمات المركبة منها تترك على تركيبها .

● " عبد القادر البغدادى " يقسم المعربات إلى ملحقة بالأبنية العربية وغير ملحقة .

● مجمع اللغة العربية يقرر إجازة التعريب على طريقة العرب .

● حرص المجمع فى معرباته على التزام الوزن العربى .

● وجوب أن يؤكد المجمع حق المعربين فى التعريب على غير أوزان العرب .

● المجمع المصرى جدير به أن يستصحب مذهب مدرسة النحو المصرية فى إجازة التعريب دون اشتراط الوزن العربى فى المعربات .

(١)

لاخلاف على أن اللغة العربية ،منذ عهودها الأولى قد وسعت من الكلمات الأجنبية قدرا غير يسير ، حتى لقد أصبحت طائفة من تلك الكلمات عريقة فى نسب الفصاحة ،وكادت أصولها تنسى ، و إذا هى فى بادى الرأى من صريح الكلام العربى ، لا ينكشف دخيلها إلا بإمعان فى البحث ، وتوقيف من المختصين بدرس المصادر والأصول .

وقد ثار بين حفظة اللغة خلال القرن الحاضر نزاع فى شأن التعريب ، ولم يكن النزاع مداره تحريم التعريب البتة ، أو إباحته بإطلاق ، و إنما كان الخلاف على مقداره من الكثرة والقلة ، وعلى مداه من السعة والضيق .

ولعل الأمر استقر اليوم أو كاد يستقر على أنه لا مندوحة لنا من قبول الكثير من الكلمات الدخيلة ، مما هو شائع فى لغة العلم والحضارة ، لا يغنى غناءه لفظ عربى فصيح .

ومن قبل ، قال صاحب شرح " درة الغواص " منذ ثلاثة قرون أو تزيد : " لو اقتصرنا فى الألفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة ، لحجرنا الواسع ، وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم " .

بيد أن النقاد اللغويين فى يوم الناس هذا يشترطون أن الكلمة المعربة يجب أن يتوافر لها شرطان : خلاؤها من الحروف التى لا وجود لها بين حروف العربية الأصيلة ، وتقويمها على أقيسة الكلام العربى وأوزانه .

وطوعا لهذا الشرط يعمد المعربون للكلمات الأجنبية إلى تغيير صيغها وأبنيتها ، حتى توائم الصيغ والأبنية المتعالمة فى قواعد الفصحى .

وفى سبيل ذلك ربما فقدت الكلمة الأجنبية صورتها ، وتنكرت لأصلها ، بما انقطع من أوصالها ، وما انحذف من مقاطعها ، فباتت غريبة السمات ، لا فصيحة ترتد إلى أصل عربى ، ولا أجنبية يتجلى وجهها فى لغتها الأصيلة .

والحق أن الكلمة الأجنبية إذا تبدلت صورتها ، كانت كأنما خلقت خلقا جديدا ، ووضعت وضعا غير مسبوق ؛ وبذلك يبطل الغرض من التعريب ، وهو نقل الكلمة الأجنبية الدالة بذاتها على معنى مقصود ، وغرض محدود . وإذن لا يكون ثمة كبير فرق بين التعريب وبين الوضع والاشتقاق .

إن الكلمات العربية أبنية خاصة ، وصيغا معينة ، طاوعت ما للغة من خصائص ومواضعات فى الأصول والزيادات ، وإن الكلمات الأجنبية أبنية أخرى تقتضيها طبائع لغاتها فى تركيب الكلم ، وفى تأليف ما لها من مقاطع ، وفى تزويدها بمقدمات تسمى الصدور ، ومؤخرات تسمى الكواسع ، ولا ريب أن محاولة تطويع تلك التراكيب الأجنبية لإلحاقها بأبنية الكلام العربى ، لا تخلو من إخلال بالأوضاع المقررة لتلك التراكيب ، ولا يؤمن فى إجراء ذلك أن يضيع جزء من الكلمة المعربة ، فضلا عما يترتب عليه من تنكير وتشويه .

ماذا يحدونا على أن نشترط فى التعريب مطابقة ما فى اللسان العربى من الصيغ والأبنية والأوزان؟

ماذا يمنعنا من قبول الكلمات التى نريد تعريبها ، غير مترخصين فى تبديل ما لها من صور وأوضاع ؟

من أين لهؤلاء المشترطين ما ضيقوا به على طلاب التعريب ، وما ألزموهم إياه من وفاق الأقيسة العربية المحدودة ؟

عجبت لقادة اللغويين : كيف طوعت لهم أنفسهم أن يقرروا فى الأذهان تلك الضرورة ، ضرورة إخضاع الكلمة الأجنبية لأوزان العرب ، ويحاموا عنها ، ويأبوا أن يخالفهم أحد من التزامها ، كأنما هى جوهر من اللغة لا تقوم اللغة إلا به .

وعجبت كذلك لمن يتعاطون التعريب : كيف نزلوا عند هذا الشرط ، وهو زعم ، وأذعنوا لتلك الضرورة ، وهى دعوى ؛ دون أن يتبينوا الأمر فى دقة وتحقيق .

(٢)

هنالك أمران ، علينا أن نستجليهما لنستخلص منهما صواب الحكم، أحدهما : منهج العرب الخلص فيما اصطنعوا من الكلمات المعربة ، والآخر : رأى أئمة اللغة والنحو فى بحث التعريب .

فأما فيما يتعلق بالأمر الأول ، فقد وردت عن العرب كلمات معربة لم تكن على وزن الكلمات العربية . من هذه المعربات : آجر ، وفرند ، وإبريسم ، وقنبيط ، وإهليلج ، وسيسنبر ، وإطريفل ، وبقم ، وبجرز ، وشقراق ، وبهرام ، وسمقوق ، وشطرنج ، وخراسان ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وسمندو ، وقندو ، وآمين .

وقد عرض " سيبويه " لكلمة الآجر ، فى بعض حديثه عن الصرف ومنع الصرف ، فقال : " فإن قلت أدع صرف الآجر ، لأنه لا يشبه شيئاً من كلام العرب ، فإنه قد أعرب وتمكن فى الكلام ... وإنما هو بمنزلة عربى ليس له ثان فى كلام العرب ، نحو إبل ، وأشباه ذلك " .

فأنت ترى من قول " سيبويه " أنه يشهد لكلمة " الآجر " بإعرابها وتمكنها فى الكلام ، ونزولها منزلة كلمة عربية على وزن متفرد بين أوزان الكلمات ، كما هو الشأن فى كلمة " إبل " المنفردة بوزنها فى كلام العرب .

وبهذا التوجيه الذى يسوقه " سيبويه " يسوغ لنا أن نتقبل من الكلمات الأجنبية ما ليس عربيا فى أوزانه ، وأن نجعل هذه الأوزان زيادة فى الأوزان العربية المتعارفة .

(٣)

وأما فيما يتعلق برأى أئمة اللغة والنحو فى بحث التعريب ، فقد قال " سيبويه " فى القرن الثانى للهجرة :

" اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه . فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدرهم ، ألحقوه ببناء هجرع ، وبهرج ألحقوه بسلهب ، ودينار ألحقوه بديماس ، وديباج ألحقوه كذلك ، وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار ، ويعقوب فألحقوه بيربوع ، وجورب فألحقوه بفوعل ، وقالوا آجور فألحقوه بعاقول ، وقالوا شبارق فألحقوه بعذافر ، ورستاق فألحقوه بقرطاس . ولما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم ، كما يلحقون الحروف بالحروف العربية . وربما غيروا حاله عن حاله فى الأعجمية ، مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية ، فأبدلوا مكان الحرف الذى هو للعرب عربيا غيره ، وغيروا الحركة ،

وأبدلوا مكان الزيادة ، ولا يبلغون به بناء كلامهم ، لأنه أعجمى الأصل ، فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم ، وإنما دعاهم إلى ذلك أن الأعجمية يغيرها دخولها العربية بإبدال حروفها ، فحملهم هذا التغيير على أن أبدلوا وغيروا الحركة كما يغيرون فى الإضافة إذا قالوا هنىّ نحو زبانى وثقافى ، وربما حذفوا كما يحذفون فى الإضافة ، ويزيدون كما يزيدون ، فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم ، وذلك نحو آجر وإبريسم وإسماعيل وسراويل وفيروز والقهرمان ، وقد فعلوا ذا بما ألحق ببنائهم وما لم يلحق ، من التغيير والإبدال والزيادة والحذف ، لما يلزمه من التغيير . وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم ، كان على بنائهم أو لم يكن ، نحو خراسان وخرم والكركم ، وربما غيروا الحرف الذى ليس من حروفهم ، ولم يغيروه عن بنائه فى الفارسية ، نحو فرند وبقم وآجر وجربز " .

وقول " سيبويه " واضح فى توكيد حق المعرب فى أن يلحق الكلمات المعربة بأبنية كلام العرب أو لا يلحق ، وفى أن يتخذ حروفا غير الحروف العربية أو يغير هذه الحروف .

وقد نقل " الجواليق " فى " المعرب " أن " الفراء " كان يقول ، وهو من معاصرى " سيبويه " : " يبنى الاسم الفارسى أى بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب " وقد يسرع إلى الظن أن هذا القول يحتمل معنى التزام الأبنية العربية فى التعريب ، ولعل " الفراء " يريد أن التزام الأبنية العربية واجب متى أريد تغيير الكلمة المعربة ، والعدول بها عن صيغتها فى اللغة الأجنبية . ومن الحق أنه متى أريد ذلك وجب اختيار وزن عربى ، فأما إذا لم يكن ذلك مرادا فتبقى للكلمة صيغتها الأصلية ، فقول " الفراء " لا يحتمل إلا معنى الحرية فى اختيار الوزن العربى الملائم عند إرادة العدول بالكلمة إلى أحد أوزان العرب .

وكذلك نقل " السيوطى " عن " المرزوقى " قوله فى شرح الفصيح ، وهو من أئمة القرن الرابع الهجرى : " المعربات ما كان منها بناؤه موافقا لأبنية كلام العرب يحمل عليها ، وما خالف أبنيتهم منها يراعى ما كان الفهم له أكثر فيختار ، وربما اتفق فى الاسم الواحد عدة لغات ، كما روى فى " جبريل " ونحوه ، وطريق الاختيار فى مثله ما ذكرت " . فـ " المرزوقى " يؤيد أيضا حرية المعرب فى التعريب ، فله تغيير الكلمات بحيث تداخل الأوزان العربية ، وله إبقاؤها على صيغتها وإن خالفت هذه الأوزان ، بيد أنه يؤثر عند تعدد الصيغ للكلمة المعربة أن يختار ما هو أدنى إلى الوزن العربى .

وكذلك عقد " ابن سيده " فى القرن الخامس للهجرة فصلا فى كتابه " المخصص " لم يزد فيه على إملاء ما قال " سيبويه " . وليس أدل من هذا على أنه لا ينكر هذا الرأى ، بل يقول به ، ولا يتخالف عنه .

(٤)

والآن نعرض نصوصا لأربعة من جهابذة اللغة والنحو ، عاشوا بين القرن السادس والقرن الحادى عشر للهجرة ، وهم : ابن برى ، وأبو حيان، والشهاب الخفاجى، وعبدالقادر البغدادى، وأربعتهم كانت "مصر" لهم موطن إقامة وأفق ثقافة . وقد اجتمعوا على رأى فى شأن التعريب، حتى يمكن أن يقال إنهم يمثلون المدرسة المصرية فى هذا الموضوع ، وأن تلك المدرسة المصرية كانت تنزع إلى إجازة التعريب على غير أوزان العرب .

ومما هو حقيق بالملاحظة أن ثلاثة من هؤلاء العلماء الذين أظلتهم سماء مصر، وهم : أبوحيان، والشهاب الخفاجى، وعبد القادر البغدادى، كانوا يحسنون غير اللغة العربية من اللغات الأجنبية، كالفارسية والتركية والحبشية ، وربما كان لذلك أثر عندهم فيما نادوا به من تجويز التعريب دون اشتراط أقيسة الكلام العربى، إذ لمسوا ما يترتب على هذا الاشتراط من إفساد لنظام الكلمات المعربة وإخلال بدلالاتها ، فتأييدهم لمذهب "سيبويه" تأييد دعت إليه الخبرة ، وهدت إليه التجربة ، ولا يعرف الشوق إلا من يكابده .

(١) فأما "ابن برى" أحد أعلام القرن السادس الهجرى ، ورئيس الديوان المصرى ، فقد قال : "لا يجب كسر الشين من "شطرنج" لتكون على أمثلة كلام العرب ، وإنما كان يجب ذلك لو كانت العرب تصرف ما عربته من ألفاظ العجم إلى أمثلتها ، فأما إذ وجدنا فى كلامهم أسماء كثيرة ، مما عربوه ، مخالفا لأوزانهم ، فلا وجه لما ذكروه ..." .

وإذن فـ"ابن برى" يستند إلى نهج العرب أنفسهم فيما عربوا من الكلمات، ويرى ألا نحرم على أنفسنا ما أحلوا ، ولا نحجر ما وسعوا ، فالاستمساك بقيد الأوزان العربيـة عند التعريب غاية فى التشدد لم تبلغها اللغة نفسها فى عهود العرب الخلص ، وليس أدعى للعجب ممن يصادر صاحب الحق فيما أباح من حقه .

(٢) وأما "أبو حيان" من أئمة القرن السابع والثامن للهجرة ، فقد كان من علماء اللغات العربية والتركية والفارسية والحبشية، وله فى "نحو" كل لغة منها مؤلفات كتبها بالعربية، إذ يذكرون له "زهر الملك فى نحو الترك" و "منطق الخرس فى لسان الفرس" و "نور الغبش فى لسان الحبش" و "ارتشاف الضرب من لسان العرب". وهو يقول عن التعريب فى "الارتشاف" :

"الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب ، وألحقته بكلامها ، فحكم أبنيته فى اعتبار الأصل والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية فى الوضع ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، فلا يعتبر فيه ما يعتبر فى القسم الذى قبله ، وقسم تركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ".

ومراد " أبي حيان " في قوله إن الكلمات التي لم تلحق بأبنية العرب لا تعد منها ، أن هذه الكلمات لا تعطى حكم الأبنية العربية في اعتبار الأصلي والزائد ، ولا شك أنه لا يقصد أن تلك الكلمات يمنع من تعريبها مانع من مخالفتها للصيغ العربية ، بل هي عنده تعدّ من المعربات ، ولكن لا يجرى عليها ما يجرى على الكلمات الموافقة للأوزان العربية من أحكام التصريف وأوضاعه .

(٣) وأما "الشهاب الخفاجي" فهو من أعيان العلماء والأدباء في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة ، ويبدو أنه كان يعرف بعض اللغات إلى جانب العربية ، فقد رحل إلى بلاد الروم ، وتولى فيها القضاء ، واتصل بالسلطان العثماني فولاه قضاء "سلانيك" . وربما تلمسنا معرفته للغات الأجنبية من مباحثه في الكلمات المعربة التي احتواها كتابه " شفاء الغليل "، ونحن هنا مستخلصون من أقواله تلك النصوص :

(أ) "في شرح أبنية " كتاب سيبويه : اعلم أنهم يعربون الأسماء الأعجمية فيلحقونها بأبنيتهم، وربما لم يلحقوها بأبنيتهم ، وربما تركوها على حالها إذا كانت حروفها كحروفهم ".

(ب) " اختلف في وزن الأسماء الأعجمية ، فذهب قوم إلى أنها لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد ، وذلك لا يتحقق في الأعجمية " .

(ج) "اعلم أن المعرب إذا كان مركبا أبقي على حاله ، لأنه سماعي ، فلا يجوز استعمال أحد أجزائه كشهنشاه ... ".

(د) " قد ينقل المعرب من مركب ويجعل مفردا كسجيل ، فإنه معرب سنك وكل ، وقد يترك على تركيبه مثل شهنشاه ... ".

والجديد من مفاد هذه النصوص الخفاجية شيئان :

الأول — أن الكلمات المعربة لا توزن بالأوزان العربية ، وفي هذا القول كثير من العقل وحصافة الرأي ، لأن الأوزان العربية مناطها طبيعة الكلمة العربية في اشتقاقها ، ورجوع حروفها إلى أصول وزوائد ، وليس للكلمات الأجنبية هذه الطبيعة التي هي من خصائص الفصحى .

والآخر — أن الكلمات المركبة تبقى على حالها ، لأنها مسموعة بهذا التركيب . وفي ذلك القول ما في القول الأول من علو النظر وسداده ، فالكلمات الأجنبية إذا نالت منها التجزئة والتقطيع انتقض نظامها واختل مدلولها ، وبخاصة حين يقتضي الأمر إسقاط بعض ما فيها من حروف أو مقاطع .

(٤) فأما "عبد القادر البغدادى" فهو من مشهورى اللغويين والنحاة فى القرن الحادى عشر للهجرة ، وقد ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى قضى . وكان يتقن الفارسية والتركية ، وله فى شرح شواهد اللغة والنحو المؤلفات الزاخرة ، وإليك قوله فى التعريب :

"الكلمة المعربة لاتخلو من أن تكون مغيرة بنوع تصريف من تبديل وتغيير حركة ، أو لاتكون مغيرة أصلا ، وعلى كل من التقديرين لاتخلو من أن تكون ملحقة بأبنيتهم أولا ، فالأقسام أربعة : أحدها مالم تتغير ولم تكن ملحقة كخراسان ، وثانيها مالم تتغير ولكن كانت ملحقة كخرم ، وثالثها ماتغيرت ولكن لم تكن ملحقة بها كآجر ، ورابعها ماتغيرت وكانت ملحقة بها كدرهم" .

فالبغدادى يقرر فى الكلمات المعربة أنها تكون ملحقة بأبنية العرب وغير ملحقة ، وهو فى تقسيمه لأنحاء التعريب ينظر إلى ما أفاض فيه سيبويه من قول وبيان .

(٥)

هنا نرجع البصر إلى " مجمع اللغة العربية " — المجمع المصرى — لنرى ماذا كان موقفه من التعريب ؟

منذ عشرين حولا أصدر المجمع قرارا فى التعريب ، هذا نصه :

" يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة ، على طريقة العرب فى تعريبهم " .

وقد شرح الأستاذ " أحمد الإسكندرى " ، رحمة الله عليه ، هذا القرار باسم المجمع فقال : " المراد بالعرب — فى القرار — العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم ، وهم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع " .

وقد أجاز المجمع تعريب طائفة من الكلمات الأجنبية ، فى دراسته المصطلحات العلمية خلال هذه الحقبة ، وربما يستفاد من خطته فى تلك المعربات ، ومن مناقشات أعضائه أثناء البحث والدرس حرصه على أن تكون على أوزان العرب وأقيستها فى صوغ الكلام الفصيح ، وأن تلتزم هذه الأقيسة والأوزان باعتبارها مناطا للتعريب .

ومن حقنا أن نسأل المجمع : ماذا يعنى بطريقة العرب فى تعريبهم ، كما جاء فى قراره ؟ وماذا يعنى شارح القرار باسم المجمع بتحديد الزمن الذى يطلق فيه اسم العرب على أهل الأمصار ، والزمن الذى يطلق فيه الاسم على أهل البدو ؟ وماذا يضطر المجمع إلى تطويع الكلمات الأجنبية لأبنية العرب ؟

لقد أسلفنا عليك أن أولئك العرب احتضنوا كلمات معربة ، وأشاعوها على ألسنتهم ، وهي على غير الأوزان العربية ، فهذه طريقتهم في التعريب تشهد بها تلك الكلمات التي نقلها عنهم الثقات والأثبات من اللغويين والنحاة .

ولقد أسلفنا عليك كذلك أن "سيبويه" بين متقدمي أئمة اللغة والنحو ، وأن من جاء بعده من أولئك الأئمة ، وبخاصة مدرسة النحويين المصريين بين القرن السادس والقرن الحادي عشر للهجرة ، ولاسيما الذين تعاطوا منهم دراسة اللغات الأجنبية وأتقنوها ، وألفوا فيها — لا يشترطون التقيد بأوزان الكلام العربي في التعريب ، وهم يرسلون القول في ذلك على أنه قاعدة مقررة ورأي سائد ، وأنه استنباط من منهج العرب الخلص في اصطناع الكلمات المعربة ، لا على أن ذلك رأي من الآراء الفطيرة لم يختمر بالبحث والتفتيش ، أو منزع من المنازع الخاصة لم يمحص بالنقد والتعقيب .

أليس لنا أن نرغب إلى المجمع الذي يتولى اليوم دراسة المصطلحات في كل علم وفن ، ويتقبل فيها كثيرا من الكلمات الأجنبية على سبيل التعريب ، أن يضيف إلى قراره القديم في استعمال الألفاظ الأعجمية عند الضرورة ، ضميمة جديدة تؤكد حق الحرية للمعربين في قبول الكلمات المعربة ، وإن خالفت في أبنيتها وأوزانها ما للعرب في كلامهم الفصيح من أبنية وأوزان ؟

لزام على المجمع أن يرد الأمر إلى نصابه في التعريب ، فيمحو من الأذهان شبهة اشتراط الوزن العربي فيما تعرب من مصطلحات العلوم والفنون والآداب ، وبذلك ييسر على المعربين سبيلهم في اصطناع الكلمات الأجنبية الشائعة التي لا بد من اصطناعها في عهد الحضارة الحديثة ، وبذلك أيضا يحفظ لتلك الكلمات دلالاتها على المعاني المقصودة والحدود العلمية الدقيقة ، إذ يستبق ما لها من أوضاع وصيغ ونظام وتركيب ، وينأى بها عن التنكر والتشويه والاستحالة .

والمجمع حين يفعل ذلك لا يقتصر على أنه يستند إلى منهج العرب أنفسهم فيما أثر عنهم من الكلمات المعربة ، ولا يقتصر كذلك على أنه يواطئ "سيبويه" ومن إليه في جواز مخالفة الأبنية العربية في التعريب ، بل يضم المجمع المصري — إلى هذا وذلك جميعاً — أنه يستصحب المذهب الذي أجمع عليه النحاة المصريون على مر القرون المواضي ، تحت لواء الرائد الأول "سيبويه" ، أعني هو مذهب إجازة التعريب على غير أوزان العرب .

فى المصطلحات الإسلامية

للدكتور محمد يوسف موسى

تطور اللغة :

ما أعظم الفرق بين اللغة التى يتكلمها اليوم أبناء العروبة فى مصر والشام والعراق والسودان وتونس والجزائر ومراكش ! سواء من ناحية الألفاظ التى تؤدى ما نريد من المعانى المختلفة ، أو من ناحية المعانى التى يؤديها اللفظ الواحد هنا وهناك من بلدان العربية . وكذلك ما أعظم الفرق بين اللغة التى يتكلمها البلد الواحد من هذه البلدان اليوم ، وبين اللغة التى كان يتكلمها بالأمس من هاتين الناحيتين أيضا !

ذلك ، بأن اللغة — مثلها مثل سائر النظم الاجتماعية — تتأثر وتتطور بعامل الزمان وعامل المكان بكل ما يشتملان من أحداث يظهر فعلها فى اللغة نفسها ، كما يظهر فى الإنسان نفسه وفى سائر النظم التى يخضع لها .

أثر الإسلام :

كان الإسلام ثورة على العرب والحياة العربية من نواحيها المختلفة ، فكان ذا أثر كبير فى اللغة نفسها ، مع أن القرآن ، وهو كتابه الأول ، جاء بلسان عربى مبين ، ومع أن الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قد أمر بأن يخاطب الناس على قدر عقولهم وبما يفهمونه ويفقهونه ، ولكن مع هذا وذاك ، كان أثر الإسلام فى اللغة ضرورة لابد منها .

فقد جاء بعقيدة جديدة ، وضروب من العبادات جديدة ، وبنظم من المعاملات فيها كثير مما لم يكن العرب يعرفونه كما جاء به الإسلام ، كما أخذهم بأخلاق فيها كثير لم يكونوا يألفونه ، وكان لابد من أداء ذلك كله بألفاظ جديدة ، أو على الأقل بألفاظ اتخذت معانى جديدة تغاير المعانى التى كانت لها قبل الإسلام .

الأسماء الشرعية :

إذن هناك ألفاظ غير قليلة كانت تستعمل في الجاهلية لمعان معروفة محددة ، ثم جاء الدين وتصرف فيها فصارت لها معان أخرى ، وإن كانت وثيقة الصلات بمعانيها اللغوية الأولى . ولنضرب لذلك بعض الأمثال :

١ — إن الصلاة لم تكن معروفة عند جمهور العرب ، وإنما كان يعرفها القلة منهم في معنى الدعاء ، ومن هذا قول الأعشى في وصف الخمر :

وصهباء طاف بها يهوديها وأبرزها وعليها ختم
وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم

فقوله "صلى عليها" أي دعا لها ألا تحمض ولا تفسد . ومن ذلك أيضاً قول الشاعر نفسه :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

فقد أخذ الأعشى الصلاة في معنى الدعاء إلى الله ، كما هو عند أهل الكتاب . فأما التصلية في العربية الأصيلة فهي شيّ الشيء في النار . وجاء الإسلام والعرب يعرفون الصلاة بمعنى الدعاء فاستعملها في الدعاء مضموما إليه الأفعال والأقوال الأخرى المعروفة .

وفي اللسان إن الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، وبه سميت الصلاة ، لما فيها من الدعاء والاستغفار ، وكل داع فهو مصل . ويقول ابن الأثير : وقد تكرر في الحديث ذكر الصلاة وهي العبادة المخصوصة ، وأصلها الدعاء في اللغة ، فسميت ببعض أجزائها . وقيل : أصلها في اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب ، تعالى وتقدس .

٢ — والصوم في اللغة : الإمساك والترك عامة ، فالإمساك عن السير صوم ، وعن الكلام صوم ، ومن هذا قوله تعالى في سورة مريم : "إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا" .

وفي اللسان : الصوم في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له ، وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح ، ولا يعتبر الصائم صائما شرعا إلا إذا أمسك عن ذلك كله من الفجر إلى الغروب .

٣ — والزكاة هي النماء والزيادة والتطهر والبركة والمدح ، فكل ذلك جاءت به اللغة في الأصل، كما ورد في القرآن والحديث، وتطلق شرعا على قدر من المال يعطى للفقراء والمساكين ومن إليهم ، لأنه تطهير للمال و إصلاح ونماء له .

٤ — والحج في اللغة القصد ، ثم صار مستعملا شرعا في قصد بيت الله المحرم على ما هو معروف .

٥ — والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة من المال ، ومنه قوله تعالى في سورة التوبة : "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" .

والظاهر أنها لم تكن معروفة قبل الإسلام ، بل يرى بعض الباحثين أنها ليست كلمة عربية .

فهذه الأسماء، وكثير غيرها في باب العبادات و باب المعاملات، يعرض بشأنها هذا السؤال : هل احتاجت لتدل على معانيها الإسلامية الجديدة إلى وضع من الشارع يكون أثره ظهور مصطلحات شرعية إسلامية جديدة ؟ أو أن هذا التصرف ليس إلا توسعا وتغييرا في معانيها اللغوية الأصيلة ، فليس في ذلك خروج بها عن وضعها اللغوى إلى وضع شرعى جديد .

وقد بحث هذه المسألة اللغويون والفقهاء وعلماء أصول الفقه والمتكلمون ، كما نلمس تناولها عرضا من بعض بحوث المستشرقين في معاني هذه الألفاظ؛ وذلك مثل : الإسلام ، والإيمان ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، إلى ألفاظ أخرى لا حاجة لتعدادها .

وضع المسألة :

وتوضع هذه المسألة تحت عنوان "الأسماء الشرعية" على هذا النحو أو قريب منه : لا شك في إمكان الأسماء الشرعية ، إذ لا إحالة في وضع الشارع اسما من أسماء أهل اللغة ، أو من غير أسمائهم على معنى يعرفونه أو لا يعرفونه لم يكن موضوعا لأسمائهم . فإن دلالات الأسماء على المعاني ليست لذواتها ، ولا الاسم واجب للمعنى،بدليل انتفاء الاسم قبل التسمية ، وجواز إبدال اسم البياض بالسواد في ابتداء الوضع ، وكما في أسماء الأعلام والأسماء الموضوعة لأرباب الحرف والصناعات لأدواتهم وآلاتهم .

وإنما الخلاف نفيا و إثباتا في الوقوع . والمجال هاهنا مفروض فيما استعمله الشارع من أسماء أهل اللغة ، كلفظ الصوم والصلاة ، هل خرج به عن وضعهم أو لا ؟ فمنع القاضي أبو بكر من ذلك ، وأثبته المعتزلة والخوارج والفقهاء[1] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، جـ ١ : ٤٨ لأبي الحسن الآمدي المتوفى سنة ٦٣١ ه طبعة المعارف بالقاهرة عام ١٩١٤ م . وأبو بكر الوارد في هذا النقل هو أبو بكر الباقلاني المتكلم المشهور وقد توفى سنة ٤٠٣ ه .

هذا ما ذكره الآمدى، وعندنا أنه لوقال: "و بعض الفقهاء" لكان أدنى إلى الدقة في التعبير، فإن من الفقهاء من لم يذهب هذا المذهب ، بل ذهبوا إلى أن من الأسماء أسماء وضعها الشارع للدلالة على معان جديدة معينة ، كما أن منها — وهو الأعم الأغلب طبعا — ماهو لغوى .

وفى ذلك يقول الإمام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ : " قالت المعتزلة والخوارج وطائفة من الفقهاء : الألفاظ لغوية ودينية وشرعية . أما اللغوية فظاهرة ، وأما الدينية فما نقلته الشريعة إلى أصل الدين كلفظ الإيمان والكفر والفسق ، وأما الشرعية فالصلاة والصوم والحج والزكاة" إلى آخر ما قال[1] .

استدلال كل من الفريقين :

يرى الباقلانى ومن معه فى رأيه أن هذه الألفاظ أو الأسماء قد اشتمل عليها القرآن ، والقرآن كتاب عربى مبين ، و إذن ، لو كانت هذه الألفاظ تدل على غير معانيها اللغوية بغير قرائن تعين معانيها الشرعية الجديدة لما كانت — فى دلالاتها على معانيها الشرعية الجديدة — عربية ، وذلك لأن العرب لم يضعوها لهذه المعانى، والقرآن كله عربى بدليل قوله تعالى "إنا جعلناه قرآنا عربيا"[2] .

ومن ناحية أخرى لو أن الشارع نقل هذه الأسماء عن أوضاعها اللغوية التى يعرفها العرب إلى أوضاع شرعية أخرى ، لوجب تعريف الأمة بهذا النقل الجديد على نحو متواتر ، و إلا كان ذلك تكليفا لهم بفهم الأوضاع الجديدة التى لا يمكن أن يفهموها من أنفسهم، وهذا مالم يحصل[3] .

هذان بإيجاز هما المسلكان اللذان سلكهما القاضى أبو بكر الباقلانى ومن ذهب مذهبه فى الاستدلال لما يرون .

أما الفريق الآخر الذين يرون أن الأسماء الشرعية وضعت من الشارع لمعانيها التى لم تعرفها اللغة قبل الإسلام ، فكانت لذلك مصطلحات شرعية جديدة ، فإنهم يردّون على ما ذهب إليه الفريق الأول بما يأتى :

١ — إن اشتمال القرآن على هذه الأسماء الشرعية الإسلامية التى تدل على معان جديدة جعلها الشارع لها ولم تكن العرب تعرفها ، لا يجعل القرآن غير عربى ؛ وذلك لأن هذه الألفاظ لا نزاع فى أنها عربية ، وليس الجديد فيها إلا معانيها الشرعية ، بل — كما يقول الغزالى — " لو اشتمل على مثل هذه الكلمات بالعجمية لكان لا يخرجه عن كونه عربيا أيضا " .

---

(١) المستصفى من علم الأصول ، جـ١ : ٣٢٦ — ٣٢٧ ، طبع بولاق سنة ١٣٢٢هـ .

(٢) سورة الزخرف ، ٤٣ : ٢

(٣) راجع فى هذا الاستدلال وما يأتى من الرد عليه ، بل فى المسألة كلها : الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى جـ١ : ٤٨ وما بعدها ، المستصفى للغزالى جـ١ : ٣٢٦ وما بعدها ، فواتح الرحموت ، شرح مسلم الثبوت لمحب الدين عبد الشكور جـ١ : ٢٢١ وما بعدها ، شرح القاضى العضد لمختصر ابن الحاجب وما عليه من الحواشى جـ١ : ١٦٢ وما بعدها

وقد دلل الغزالي على هـــذه القضية في موضع آخر من المستصفى إذ يقول : " إن اشتمال القرآن على كلمتين أو ثلاث أصلها عجمي ، وقد استعملها العرب ووقعت في ألسنتهم ، لا يخرج القرآن عن كونه عربيا ، وعن إطلاق هذا الاسم عليه ، ولا يمهد للعرب حجة (أي في العجز عن فهمه والإيمان به) ؛ فإن الشعر الفارسي يسمى فارسيا ، وإن كانت فيه آحاد كلمات عربية ، إذ كانت تلك الكلمات متداولة في لسان الفرس "[1] .

٢ — ثم لا نزاع في أن الأسماء أو الحقائق الشرعية هي الألفاظ المستعمل كل منها فيما وضع له من معنى في عرف الشرع بحيث يدل عليه بلا قرينة ، سواء كان ذلك لمناسبة بين المعنى الشرعي الجديد ، والمعنى اللغوي الأصيل ، فيكون منقولا ، أو لغير مناسبة بين المعنيين ، فيكون وضعا مبتدأ[2] .

وليس في شيء من هذا ما يصح أن يكون تكليفا للخاطبين بالقرآن بما لا يستطيعون فهمه ، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قام بتفهيم هـذه المعاني الجديدة للأسماء التي كانوا يعرفونها من قبل . وهذا التفهيم حصل بطرق مختلفة ، منها قوله وفعله عليه الصلاة والسلام :

ففي الصلاة مثلا نجد الرسول يصلي ثم يقول : " صلوا كما رأيتموني أصلي " .

والأمر كذلك في الحج ؛ فقد حج الرسول بالمسلمين حجة الوداع ، وفيها عرفوا معنى الحج شرعا وأركانه وشعائره ومناسكه وآدابه .

وفي الصوم نجد القرآن نفسه يفيد أنه ليس الإمساك عن الكلام أو السير مثلا ، ولكنه الإمساك عن الأكل والشرب طول النهار . وهذا إذ يقول الله تعالى في سورة البقرة في الآية رقم ١٨٦ : " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل " ثم زاد الرسول ذلك بيانا بفعله نفسه .

وفي الزكاة لم يترك الرسول المسلمين على فهم أنها الزيادة أو النماء أو الطهارة أو البركة ، بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من الآثار ما يبين المعنى الشرعي الذي أريد منها ، والأموال التي تجب فيها ، والواجب إخراجه منها .

رأينا في المسألة :

هكذا يرد القائلون بالأسماء الشرعية ، أو بالمصطلحات الإسلامية وهو التعبير الذي نؤثره ، على الذين ينكرونها . والخلاف بين الفريقين ليس ببعيد المدى ، ولا عظيم الثمرة في رأينا .

(١) ج ١ : ١٠٦

(٢) وراجع حاشية التفتازاني على شرح القاضي العضد ج ١ : ٢٦٢

ذلك ، بأنه لا نزاع فى أن الألفاظ التى يتداولها الفقهاء وغيرهم من الشرعيين ، والمستعملة فى غير معانيها اللغوية ، قد صارت حقائق ومصطلحات شرعية إسلامية لها دلالاتها الجديدة . ولكن الخلاف هو فى أن ذلك كان بوضع الشارع لها ، وإذن فتلك الأسماء تدل على معانيها التى حدثت لها بلا قرائن فتكون حقائق أو مصطلحات شرعية . أو أن ذلك بسبب اشتهار مدلولاتها ومعانيها الجديدة بين الفقهاء والمتكلمين وغيرهم من رجال الشريعة ؛ وإذن فتحتاج إلى قرائن للدلالة على هذه الدلالات والمعانى ، ولا تكون لهذا حقائق شرعية بل عرفية[1] .

ونحن نرى ، بعد بيان المتفق عليه والمختلف فيه على ذلك النحو ، أن شقة الخلاف ضيقة جدا بين الطرفين ، بل نرى أنه لا مفر حينئذ من أن يقول الفريق الثانى الذى يمثله القاضى أبو بكر الباقلانى بالمصطلحات التى جاء بها الإسلام لبعض الأسماء اللغوية غير المعانى التى كانت معروفة لها من قبل الإسلام .

ذلك ، لأن هذه المعانى الجديدة التى يرى الباقلانى ومن معه أنها مما تعارف عليه الفقهاء وغيرهم من الشرعيين ، أى وليست من وضع الشارع نفسه ، لم يرتجلها هؤلاء من عند أنفسهم ، وإنما رجعوا فيها إلى ما جاء به الإسلام نفسه ، فبقى لهم بعد ذلك فضل صياغة تعاريف تلك الأسماء الدالة على معانيها الجديدة ، وإلا كان ذلك منهم قولا بلا علم إن لم يكن صدر من الشارع بيان لهذه المعانى ، أو افتيات منه عليه إن كان قد بينها ، وحاشاهم هذا الأمر وذاك .

بل هنالك أدلة نستند إليها فى هذا الرأى الذى نتقدم به ، ونكتفى هنا باثنين من تلك الأسماء ، ففى ذلك غنية عن التطويل بإيراد الكثير منها ، وهما الإسلام والإيمان .

١ — الإسلام :

ويسمى السلم بكسر السين وتشديدها ، والسلم بفتح السين أيضا على ما جاء فى لسان العرب ، وهى ألفاظ عربية ورد بها القرآن ولها فى الأصل معانيها التى هى حقائق لغوية ، ولكن أشهرها فى الاستعمال هو لفظ "إسلام" العلم على الدين الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وجماع معانى هذه الألفاظ اللغوية وأصولها وما اشتق منها هى :

(١) الخلوص والبراءة من الشوائب والآفات الظاهرة أو الباطنة ، ومن هذا قوله تعالى فى سورة البقرة آية ٧١ : " مسلمة لا شية فيها " .

---

(١) راجع فى تحرير محل النزاع حاشية التفتازانى ج ١ ، ١٦٣ ؛ شرح مسلم الثبوت ج ١ : ٢٢١ — ٢٢٢ .

(ب) الأمان والصلح ، ومن هذا قوله تعالى فى سورة الأنفال آية ٦١ : " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله " ، وقوله فى سورة محمد آية ٣٥ " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم " .

(ج) الاستسلام والطاعة والإذعان ، ومنه قوله تعالى فى سورة الصافات آية ٢٦ : " بل هم اليوم مستسلمون " وقوله فى سورة آل عمران آية ٨٣ : " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون " !

هذا ، وقد عنى كثير من المفسرين للقرآن العظيم ببيان معنى الإسلام لغة وشرعا ، ومنهم الإمام فخر الدين الرازى الذى تعرض لذلك فى أكثر من موضع من تفسيره الكبير ، فقد ذكر فى هذا التفسير أن فى الإسلام من ناحية معناه فى أصل اللغة ثلاثة آراء :

(١) الدخول فى الانقياد والمتابعة ، قال تعالى فى سورة النساء آية ٩٤ : " ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا " أى لمن صار منقادا ومتابعا لكم .

(ب) الدخول فى السلم ، وهذا كقول العرب . أشتى وأقحط ، وأصل السلم السلامة .

(ج) الإخلاص لله فى عبادته ، من قولهم : سلم الشيء لفلان إذا خلص له ، فالإسلام معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى[1] .

ويظهر أن إطلاق الإسلام على معنى الخضوع والإذعان والاستسلام هو المعنى الغالب فى الاستعمال ، حتى إنه ليعتبر المعنى الذى يراه جمهرة المستشرقين ، أخذا من المصادر اللغوية العربية الإسلامية . وهذا هو المستشرق " جولد — تسيهر " يقول فى كتابه : " العقيدة والشريعة فى الإسلام " : " الإسلام معناه الانقياد ، انقياد المؤمنين لله ، فهذه الكلمة تركز أكثر من غيرها الوضع الذى وضع فيه محمد المؤمنين بالنسبة إلى موضوع عبادتهم وهو الله . إنها كلمة مصطبغة فوق كل شيء بشعور التبعية الذى يحس به الإنسان إحساسا قويا ، أمام القدرة غير المحدودة ، والتى يجب أن يخضع لها ويتنزل فى سبيل ذلك عن إرادته الخاصة[2] " .

وفى هذا أيضا يقول المستشرق " توماس أرنولد " : " الإسلام هو الإسلام الذى يطلقه المسلمون فى كل قطر على عقيدتهم ، ومعنى هذه الكلمة الخضوع أو الاستسلام[3] " .

---

(١) راجع جـ٢ ، ٤٢٢ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ .
(٢) راجع ترجمتنا العربية له مع آخرين ، نشر دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٦ م ، ص ٤
(٣) راجع مادة "إسلام" فى دائرة المعارف الإسلامية .

ذلك هو معنى الإسلام في اللغة ، ولكن معناه الشرعي هو أمر غير ذلك ، وإن كان وثيق الصلة به . فهو ليس مجرد الاستسلام والخضوع والانقياد ، ولكنه مع ذلك القبول لما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من العقائد والتشريعات والأحكام المعروفة . وفي هذا يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى (سورة آل عمران آية ١٩) : " إن الدين عند الله الإسلام " ، إن الدين في هذه الآية الطاعة والملة ، والإسلام الإيمان والطاعات[١] ، قاله أبو العالية ، وعليه جمهور المتكلمين .

٢ — الإيمان :

الإيمان في اللغة التصديق ، ففي لسان العرب : والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب ، يقال : آمن به قوم ، وكذب به قوم . ورجل أمنة : أي يصدق بكل ما يسمع ولا يكذب بشيء ، وأيضاً إذا كان يطمئن إلى كل واحد ويثق بكل أحد ، وكذلك الأمنة بوزن هُمَزة .

ثم ينقل صاحب اللسان : وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن الإيمان معناه التصديق .

وأخيراً في الناحية اللغوية لهذا الاسم ، يقول صاحب اللسان أيضاً : والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدّق بلسانه فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها ، وهو منافق .

وهذا المعنى اللغوي ورد في القرآن في غير قليل من الآيات ، ففي سورة يوسف يقول الله تعالى حكاية عن إخوته إنهم قالوا لأبيهم : " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " إذ لم يختلف أهل التفسير في أن معناه ما أنت بمصدق لنا .

وفي قوله تعالى في سورة التوبة : " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين " يرى العلماء باللغة والتفسير أن المعنى يصدق الله ويصدق المؤمنين ، وإدخال اللام إنما هو للإضافة .

هذا هو المعنى اللغوي ، ولكن جاء الدين الإسلامي فصار لاسم الإيمان مسمى جديد يقوم على التصديق أيضاً ، غير أنه ليس مجرد تصديق أي إنسان فيما يقوله أو يحكيه ، إنه صار التصديق

---

(١) ج ٤ : ٤٣ ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٧ م

بالقلب لا اللسان وحده ، بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته التي جاء بها . وفي هذا جاء في لسان العرب من الزجاج ، وهو ما لا يختلف عما يقول علماء الإسلام من رجال التفسير وعلم الكلام :

"الإيمان إظهار القبول والخضوع للشريعة ولما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتقاده وتصديقه بالقلب ، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك" .

٣ — مصدر المعنى الشرعي للاسمين :

وإذا كان هذا هو المعنى الشرعي لاسمي الإيمان والإسلام ، وكلاهما معنى جديد لم يكن العرب قبل الإسلام يعرفونه ، فما المصدر الذي عرفنا منه هذين المعنيين ؟ هو الشارع بلا ريب ؛ وبذلك يكونان مصطلحين جديدين ، مصدرهما القرآن والسنة ، وتكون هذه الأسماء وأمثالها حقائق شرعية وضعها الشارع نفسه ، والأدلة على ذلك متوافرة .

فقد روى البخاري وغيره هذا الحديث في كتاب الإيمان : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس ، فأتاه رجل فقال : "ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان» ، ثم سأله عن مسائل أخرى ، ثم أدبر ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "ردوه". فلم يروا شيئا ، فقال : « هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم » .

من هذا نرى أن الغاية من هذا الحديث كان تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين ما لم يكونوا يعرفونه قبل الإسلام .

وقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك أيضا . رواه البخاري بعد ذلك الحديث ، وذلك حين أتاه وفد عبد القيس وسألوه أن يخبرهم بأمر فصل يخبرون به من وراءهم ويدخلون به الجنة ، فكان مما قاله لهم : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس »[1] .

(١) الإيمان الذي جاء في هذين الحديثين هو الإسلام أيضا ، وليس المقام مقام التفرقة بينهما .

بل إن القرآن نفسه عرض فى غير قليل من آياته لبيان المعنى الشرعى لكل من الإسلام والإيمان ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الحجرات : " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم " ، وقوله فى الآية التى بعدها : " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون " .

ففى الآية الأولى إشارة واضحة إلى التفرقة بين الإسلام الذى يكون باللسان وحده وبين الإيمان الذى لا بد فيه من تصديق القلب . وفى الثانية بيان واضح لهذا الإيمان شرعا ، أى أن المؤمن هو الذى فيه هذه الصفات وإلا لايكون مؤمنا .

نتيجة البحث :

هذا وبعد بيان المعانى اللغوية والشرعية لهذه الألفاظ التى وردت فى هذا البحث ، هذه الألفاظ التى نستطيع أن نضم إليها كثيرا غيرها فى ناحية العبادات والمعاملات وغيرهما ، وذلك مثل : النكاح والبيع والزندقة والفسق والكفر ، لنا أن نقرر بحق أن هنالك مصطلحات إسلامية بلا ريب ، وأن كلا منها يدل على المعنى الجديد المراد به بلا قرينة تدل عليه .

كما لنا أن نقرر بحق أيضا أن هذه المصطلحات من وضع الشارع نفسه ؛ فإن المسلمين الذين حددوا هذه المعانى الشرعية الجديدة تحديدا دقيقا لم يكن لهم أن يأتوا بذلك من عند أنفسهم ، بل إنهم رجعوا فى ذلك بلا ريب إلى ماجاء عنها فى القرآن والسنة المصدرين الأساسيين للإسلام ، ومن الله التوفيق والسداد .

القسم الثالث

استقبال الأعضاء الجدد

الزميل الجديد : الأمير مصطفى الشهابى

للدكتور منصور فهمى

سادتى :

يساير مجمعنا المجامع العتيدة الكبرى فى أصول نظامه، فإذا خلا فى المجمع كرسى ممن كان يشغله تقدم عضوان لتزكية من يحل فى المكان الذى خلا، ويحرران التزكية بيان عن مؤهلات من زكى. ثم تعقد جلسة لإجراء انتخاب سرى. وينبغى لمن يفوز فيه أن ينال أصوات الثلثين من أعضاء المجمع .

وكان الأمير مصطفى الشهابى من أعضاء المجمع المراسلين منذ زمن بعيد. وكثيرا ما اتصل بالمجمع فبعث إليه باقتراحات، وأمده بملاحظات كان من شأنها أن تؤكد الروابط العلمية الوثيقة بين المجمع وبين الأمير. وقد رشح للعضوية العاملة للمرة الأولى فى أوائل الصيف الفائت، ونال عند فرز الأصوات عشرين صوتا وكان ينبغى له أن ينال صوتا واحدا زيادة على ما ناله وظفر به من الأصوات. ورفعت الجلسة عندما أوفت إلى نهايتها المألوفة على أن يعاد الانتخاب فى جلسة أخرى لجميع من أقر مجلس المجمع أن يدور بشأنهم الانتخاب. ومنذ شهرين تقريبا كان موعد تلك الجلسة الأخرى، وإذا بالسيد الشهابى يحصل على إجماع أصوات الحاضرين إلا صوتا واحدا، وأعلن فوز الأمير مصطفى، وذاع نبأ نجاحه القاطع الذى تجاوز ما يطلب من العدد لأصوات الناخبين .

ولو أنى قصدت إلى التعمق فى تفسير هذه الظاهرة التى تتصل بإلحاق الشهابى بالمجمع والتى تصور نوعا من أنواع الامتحان أو ضربا من ضروب الحكم فى تقدير الزمالة العلمية؛ لقلت : إن الزميل الكريم جاز الامتحان فى الدور الأول وجازه فى الدور الثانى معا .

أما فى الدور الأول فإن الصوت الواحد الذى أعوز زميلنا للفوز الرسمى كان صوت مزكيه ومقدره العلامة المرحوم الدكتور أحمد أمين الذى شاءت الأقدار أن يصاب بمرض ألزمه الفراش فيتخلف عن جلسة الانتخاب .

وأما فى الدور الثانى فقد نال الأمير الفوز البات القاطع بما يشبه الإجماع؛ إذ نقص زميلنا صوت واحد من أصوات من حضروا الجلسة ليتم له الإجماع كاملا. والصوت الذى تخلف إنما هو صوت من أصوات أهل العلم والفضل والحجا؛ لأن كل من فى المجمع هو من أهل العلم والفضل، ولكن لهؤلاء أن يترددوا وأن يحتاروا. ولعلهم يشبهون فى ترددهم وفى حيرتهم تردد خراش وحيرته حين تكاثرت عليه الظباء التى هم بصيدها وأخذ يقول :

تكاثرت الظباء على خراش

فما يدرى خراش ما يصيد !

وفى الحق أيها السادة : أن مجمعنا كثيرا ما يتكاثر عليه الفضلاء والأدباء والعلماء ممن

ألقيت فى الجلسة العلمية التى عقدت بدار المجمع فى ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٥٤

يرجون لخدمة المجمع . وكلهم ممن يقدمهم أعضاء من المجمع ، وكلهم جدير بأن يكون بين الزملاء . لكن للظروف حكمها وللأقدار نصيبها وللأحوال اعتبارها ، ولله توجيه وحكمته فى تقديم أو تأخير من يتسابقون ومن تدعو حاجة المجمع إليهم وإيثارهم بالتقدير على غيرهم . وإن شأن السباق فى مضمار هـذا المجمع كشأنه فى غيره من المجامع . فقد يتسابق المتسابقون مرارا وتكرارا وتبلغ أشواطهم إلى العشر بل إلى أكثر ، إلى أن يقر العضو المرشح فى مكانه ، وإلى أن يبلغ المدى محله .

أيها السادة :

لا تقدم كل من زميل المرحوم الدكتور أحمد أمين والواقف أمامكم لترشيح الأمير مصطفى الشهابى لعضوية المجمع العاملة أرفقنا بهذا التقديم بيانا قصيرا عن مؤهلاته ، وتنتهى خلاصة هذا البيان إلى بعض كلمات تكتب فى سطرين أو سطر فقلنا : إن الشهابى وضع معجما علميا فى الألفاظ الزراعية والنباتية ، وإن له بحوثا تاريخية وأدبية وعلمية شتى ، وإن له ولعا بلغة العرب ، وإنه تولى عدة من كبرى المناصب الإدارية والسياسية فى الدولة . وربما يكون يومنا هذا هو أنسب الأيام لقليل من الإفاضة فى شرح تلك الكلمات الموجزة فى مبناها والغنية فى معناها لأن هذا اليوم هو يوم استقبال الزميل ، ويوم الاحتفاء به ، ويوم عرسه المجمعى .

أيها السادة :

من فضل القول أن أشير إلى أن أعضاء المجمع جميعا يجندون ويسلحون لخدمة أغراضه ، وأنهم وإن جمعت بينهم وحدة الشكة ووحدة التسلح ووحدة الهدف فإن لكل فرد نوعا من أنواع السلاح ، كما أن له مزاياه الخاصة فى استخدامه ، وله أساليبه الشخصية فى الانتفاع بما تسلح به . والمجمع كالجيش الواحد قد تتنوع أسلحته وتتعدد وحداته ، ولكن أفراده جميعا يتشابهون فى الفتوة وفى بادى الظهور وفى الإيمان بالعزة وبالواجب حين تدعو العزة إلى النشاط ، وحين يدعو الواجب إلى صالح العمل ، فمن أهل المجمع من تستفيد اللغة بذوقهم المرهف وبيانهم الجزل ، ومنهم من يفيدها بأدبه المصفى الفياض ، ومنهم من يعينها بتحصيله الواسع وعلمه الزاخر ، ومنهم من يخدمها بذكائه وألمعيته وفطنته الخاطفة ، ومنهم من يخدمها بسعة عقله أو دقة تفكيره أو حسن تدبيره ، ومنهم من يناصرها بحبه الحار وغيرته المتوقدة أو بغير ذلك من النوازع والحسنات والصفات التى تشتت بين أفراد المجمع وتتوزع فيهم ، والتى قد تجمع أجزاؤها فى بعضها أو فى أكثرها عند الكثيرين منهم .

والأمير مصطفى الذى نحتفل اليوم باستقباله يجمع بين الكثير من هذه المزايا والنوازع والصفات . وإنى سأظلمه إذ أتعمد الإشارة المجملة فى ذكر مزايا . ولا بد من ظلمه لأن وقت القول فيه محدود ، ولأن ما يربط بينى وبينه من الصداقة يؤخرنى عن أن أسهب فيما أعلم له من المزايا ، ولأن تواضعه الجم يرغب به

عن أن يستمع إلى ذكر محاسنه من صديق فى مواجهته . فحسبى إذن أن أجمل ما هو معروف له ، وبما يقال عنه من غيرى من الناس .

يقولون عنه إنه أمير من الأمراء الشهابيين ، وإنه من مواليد حاصبيا من قرى جبل الثلج (جبل الشيخ) فى عام ١٨٩٣ . فهو إذن سيكون فى زمرة الزملاء الشباب وهو ابن الأمير محمد سعيد ابن الأمير جهجاه الشهابى . درس دروسه التجهيزية فى دمشق واستامبول وفرنسا ، وحصل على شهادة مهندس زراعى من معهد الزراعة العالية من غرنيون فى فرنسا ، وتقلب فى مناصب الدولة العالية وتسلم منصب وزير فى أربع وزارات فكان وزيرا للمعارف والزراعة والمال والعدل . وكان محافظا لحلب واللاذقية . وكان الأمين العام لرئاسة مجلس الوزراء . وكان سفيرا لسوريا فى مصر . وتخلى عن منصب السفارة فى ربيع سنة ١٩٥٤ وله فى المناصب التى تولاها آثار عمرانية وإصلاحية وثقافية كثيرة ، منها توزيع أملاك الدولة على الفلاحين لإيجاد الملكيات الصغيرة ، وذلك عند ما كان مديرا للأملاك . ومنها تشييد دار الكتب فى حلب ودار الكتب فى اللاذقية . وهو من هؤلاء القدماء العاملين لقضايا العروبة ومطالبها وإنعاش روحها . وكان من أصرح أعضاء الوفود فى المواقف السياسية وفى مجالس المعاهدات التى كانت بين بلده وبين غيرها من البلاد . وحصل على عدة أوسمة علمية وغير علمية ، واشترك فى عدة مؤتمرات وألقى كثيرا من المحاضرات فى دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة ، وله عدة مؤلفات . من أشهرها : معجم الألفاظ الزراعية فى الفرنسية والعربية ، وكتاب الزراعة العملية الحديثة وكتاب الأشجار والأنجم المثمرة وكتاب البقول وكتاب الدواجن . وله بحوث لغوية وعلمية فى معظم مجلدات مجلة المجمع العلمى العربى . ومن مؤلفاته المخطوطة كتاب الاستعمار ، فى مجلدين ، وكتاب الشذرات ، وهو قسم من محاضراته ومقالاته العلمية والأدبية التى كان ينشرها فى المقتطف والهلال وغيره .

هذه أيها السادة خلاصة مجملة لتاريخ الزميل .

أيها السادة :

إنى عند ذكر قرية "حاصبيا" تتداعى إلى ذاكرتى صورة لزميلنا المرحوم فارس نمر فى أخريات أيامه ، لأن "حاصبيا" هى مسقط رأس هذا الزميل المعمر عليه رحمة الله وإنى تمشيا مع نزعة التفاؤل أسأل الله لزميلنا الشهابى ابن "حاصبيا" أن يمد له فى عمر طويل ، كما مد لزميلنا وزميله ابن قريته .

وبمناسبة ذكر هذه القرية يحضرنى حديث تصويرى أتت به مناسبة فى جلسة من تلك الجلسات التى جمعتنى بزميلنا الدكتور نمر فى أخريات أيامه ، وكان هذا الحديث الزاهية صورته وألوانه فى مخيلة الشيخ الزميل المرحوم يدور فى لهجة مؤثرة وجذابة حول معركة فى الجبل شهدها الزميل الشيخ فى صباه ، وظلت تفاصيلها رابضة فى ذاكرته من نحو مائة عام . وتمثل هذه الصورة السيوف البواتر والخناجر المذهبة والخيول المطهمة والغدارات تصطف فى طوايا الملابس والأحزمة والسراويل والأقبية والأعبية تزخرفها وتحليها خيوط من حرير أو

سلوك من ذهب أو رسوم من قصب، ويبدو فيها قتال بين كر وفر وعثير في ناحية من الجبل، وكان كل ذلك يصور عراكا رهيبا وباسلا بين جدود لمصطفى الشهابي وبين خصوم لهم من أهل معروف يتنازعون الجاه والسلطان، ويتشادون الحكم والسيطرة في ماضي الزمان .

وعندما تراودني هذه الصورة المخيفة من صور الماضي وذكرياته مع صورة زميلنا المرحوم فارس نمر في شيخوخته الوادعة الواهنة ، وفي حياته الحافلة بمختلف الذكريات والأحداث أعود لألقي نظرة عن يميني، فتقع عيني على حفيد هؤلاء الفرسان المغاوير فأراه في صورته الوديعة الباسمة، وفي سمته الوقور وفي ثوبه الغربي الخالي من الزركشة والكشكشة ، والبريء من خنجر يتدلى ومن قدارة مدسوسة، أعود فأذكر وأتخيل لهذا الشهابي العالم الحفيد صولات وجولات في سبيل العلم والمصطلحات . وربما لا تكون أقل شأنا من صولات جدوده وذويه ولكنها صولات لا تفزع ولا تخيف ، بل تدعو إلى الرضا وإلى التسليم ، وتأخذ بنا إلى الاطمئنان والإذعان .

وإني لا أحب أن أنتهي من بعض ما يذكره الناس عن الزميل الكريم وعن أسلافه دون أن أشير إلى ما دونه المرحوم العلامة الدكتور أمين المعلوف إذ قال عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية :

(ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الإسلام). فقد لبث الأمير الشهابي نحو عشرين سنة يحص الألفاظ العلمية الفرنسية المتعلقة بالعلوم الزراعية ويراجع المعاجم العربية وكتب الزراعة والحيوان والنبات القديمة لوضع أصلح الكلمات العربية المقابلة لهذه الكلمات الأجنبية . وهذا المعجم هو نتيجة الدراسة الطويلة والجهد العظيم فهو يشتمل على أكثر من تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي وضع المؤلف أمامها أصلح الكلمات العربية ، ومن هذه الكلمات ثلاثة آلاف على الأقل من وضع المؤلف أو تحقيقه، وعرف معظمها تعريفا علميا موجزا ، واشتق هذه الأسماء بعد الرجوع إلى أصول أسمائها العلمية باليونانية أو اللاتينية) إلى أن قال :

(ولا شك أن الأمير مصطفى الشهابي ملأ بمعجمه هذا فراغا عظيما في حياتنا العلمية . وأن هذا المعجم صدر في أنسب الأوقات إذ تتجه الهيئات العلمية والجامعية في مصر والبلاد العربية كلها إلى تعريب المصطلحات العلمية وإلى تدريس العلوم الحديثة باللغة العربية . ولو وجد في كل فرع من فروع العلوم والفنون ما يقوم بما قام به المؤلف الجليل لصار في مقدور مدارسنا ومعاهدنا أن تثبت قوميتنا العلمية، وأن تدرس لطلابها باللغة العربية التي كانت في يوم من الأيام لغة العلم في العالم المتمدين كله).

ورغبة في الإيجاز لا أزيد على ما قاله المعلوف وعلى ما أثبته في مقتطف شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥ لكني أضيف إلى كلمة العالم المعلوف كلمة أديب كبير . فلقد قدر الأدباء زميلنا وعرفوه كما قدره العلماء وعرفوه . والأديب الذي أعنيه هو من أمراء البيان، ومن عيون بني معروف، ذلكم هو المرحوم العلامة الأمير شكيب أرسلان . قال في كتاب له بعث به إلى رئيس المجمع العلمي

العربى " وما أريد الآن أن أتواضع لأزداد تمدحا ولا أن أقابل ثناء بثناء ولكنى أقول مقالة معترف بالحقائق رائد للوقائع : أين المثنى عليه من المثنى فى تحقيقاته العلمية وتدقيقاته التاريخية ومطالعاته اللغوية وملاحظاته الأدبية وتقريراته الزراعية وبحاره الزاخرة . إنه لأمير العلماء حقا وعالم الأمراء فعلا . وإنى مع شيخوختى هذه لراض أن أنضوى تحت لوائه كما انضوى شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة ... الخ" .

أيها السادة :

عند هذا القول من الأمير الأرسلانى : أيصح لى أن أقول إذا كان الحكم يفرق أحيانا بين الأجداد فقد يوفق العلم بين الأحفاد ، والعلم الحق عند العالم الجدير طالما يذهب بالضغائن ويسفى بالأحقاد . ويدعونى ترابط الخواطر لأن أتذكر صديق المرحوم الأمير عادل أرسلان أخا شكيب إذ كان له شأنه فى الكفاح للعروبة ، وكلاهما كان من أبرز أهل الأدب الضالعين فى أدب العروبة وشئون العرب .

طيب الله ذكراهما ، ورحمهما رحمة واسعة .

أيها السادة :

وربما يتساءل بعضنا عن الأسباب التى مالت بالعالم الزراعى الدقيق ليتحول إلى حب اللغة وعلومها ؛ بل ليصير فى بعض الأحيان ذلك الأديب الشاعر الرقيق . إنى أيها السادة ممن يعتقدون بعمل الوراثة فى الماديات والمعنويات ، وهذا الزميل الذى نحتفى به اليوم لم يدرس فى معاهد العلوم العربية ، ولم يجد سعة من الوقت فى مشاغله العلمية والتاريخية والسياسية ليوجه جهوده نحو اللغة والأدب ، ومع ذلك فهو بسليقته لغوى وأديب . فإذا كان أخوه الشهيد الأديب الشاعر " عارف الشهابى " قد أفاد بعلمه الواسع فى اللغة والأدب أخاه الزميل مصطفى فإن وراثة لغوية ربما تحدرت إلى لسان الأمير ونفسيته وقلبه من جدوده المخزوميين ، بل ربما تحدرت إليه منهم شاعرية الحارث بن هشام . وكثير من العلماء يتميزون بذوقهم الأدبى واللغوى المرهف فضلا عن علمهم الدقيق ، فأذكر منهم "بوفون" الفرنسى الذى يعتبر فى الطليعة ممن لهم تفوق فى الكتابة والأدب حين تحركت أقلامهم فى العلم الواقعى الخالص ، وأذكر من علمائنا فى الصيدلة والمواليد الذين عاشوا من نحو قرن مضى وحسنت لغتهم وسما ذوقهم الأدبى أحمد ندا . وفى زملائنا الآن مثل زكى وعمار وتطيف وكامل مايذكرنا بهؤلاء العلماء الأدباء العالمين : فالشهابى عالم وأديب ومتذوق للغة بسليقته ووراثته . ولعل فى وراثته القرشية المخزومية أكبر معين للغويته .

حسبى ، يا أمير مصطفى ، أن أذكرك بالقليل مما قيل عنك ، أما أنا فلا أريد أن أقول فيك كثيرا ولا قليلا ، وكنت أتمنى أن لو كان اليوم بيننا زميلى المرحوم الدكتور أحمد أمين ولو كان حيا فى هذه الساعة لكنت ألقيت عليه تبعة تقديمك لزملائك لأنه أجدر منى أن يوفى للزملاء أقدارهم ، وأقدر منى على استيعاب جهودهم العلمية الواسعة ووزنها . وحسبى الآن أن أذكرك بشىء عرفته فيك لا يعد مدحا ولا يحرص على إذاعته المادحون . أعرف عنك حب العزلة وقد لا تكون

المنزلة من الفضائل، إنما تحبها لتلازم مكتبتك فى البحث والتنقيب، حتى إنك كتبت إلىّ يوماً كتاباً خاصاً كما يكتب الصديق إلى صديقه تفضى إلىّ بحرصك على لزوم مكتبتك فى دمشق، وبحرصك على أن تقنع من المجمع بعضوية المراسلة لتتمكن من لزوم المكتبة وتمده بما تمدك به من آثار التنقيب والتنقير، وأنك ألححت علىّ فى الرجاء أن أعجل تحقيق ذلك مع الرئيس ومع الزملاء، ولكن لأمر تريده الأقدار يجيئنى كتابك متأخراً ولم أعلم به رئيس المجمع ولا زميلاى حين اختطفك المجمع لعضويته العاملة ، وانتزعك من مكتبتك وعزلتك انتزاعاً . وأخطرت بذلك فقدست بدافع من لباقتك، وتلبية وتقديراً لرغبة زملائك برغم شوق مكتبتك إليك وشوقك إلى مكتبتك ، وبرغم الحنين إلى دارك وبرغم حنين دارك إليك .

وبرحت دمشق قبل انعقاد المؤتمر بأيام ثلاثة . وإذا بك تحل بسلامة الله فى القاهرة . وإذا بك تأخذ بالهاتف من الخان الذى نزلت به . وإذا بك تقول لى بلغة الشام الحبيبة : أنى حضرت الساعة ، وإنى أهتف لك من الكونتيننتال . وهكذا يرغمك العلم ويريدك الله على أن تقدم — على رغم ما أوعزت به — إلى التنفع بجهودك وتحملك المجهود الكبير لأنك من شباب المجمعيين وإن كنت من شيوخهم فى العلم .

وإذا بى الساعة أقول باسم الزملاء : مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، يازميلنا العزيز الأمير م ٦

كلمة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

يقولون إن لكل نفس في هذه الحياة هوى تستلذه وتميل إليه ؛ فسبحان الذي جعل هوى نفوسنا حب لغتنا المضرية ، حبا بلغ فينا مبلغ العشق لها ، بل مبلغ الشغف بها . وسبحان الذي ما أحل في قلوبنا هذا الضرب من الهوى إلا بعد أن أحللنا بالتعب فيه راحة ، و بالألم لذة ، و بالسأم غبطة ورضى .

لقد آمنا بلغة القرآن إيماننا بالقرآن ، فما عسى أن تكون أمنية كل مؤمن بعظمتها موقن بحيويتها ، كلف ببيانها وروعتها ؟ أهي غير الجلوس مع المؤمنين الصابرين المداوين لأدوائها والحافظين لسلامتها والمجددين لشبابها والعاملين على جعلها أصلح ما تكون للتعليم العالي في الجامعات وللتعبير الصادق عما لنا من حاجات كثيرة في خضم هذه المدنية الحاضرة ؟

لقد شئتم من قبل أن أشاركم في عملكم مراسلا لكم من دمشق . وشئتم اليوم أن أشاركم فيه عاملا معكم في حصن اللغة والأدب الحصين . فشكرا لكم ، أيها الرفاق الأعزاء شكرا .

وهل في سويداء القلب غير الشكران عندما يكون بيت المتنبي على عذبة اللسان ؟

أما العلامة الرئيس مربي رجال هذا الجيل ، ورأس علماء هذا الرعيل ، فأرجو منه أن يتقبل شكر العارف بغزارة علمه ، و بجزيل فضله وجليل قدره .

وأما أنت أيها الأخ العلامة المنصور فلقد تفضلت فأطريتني بكلمات كريمة وددت لو أني أستحقها ، وما تلك منك إلا عين الرضا تخفي ما فيّ من عيوب ، أو هو إناء الكرم والمروءة والأريحية لا ينضح إلا بما فيه .

و يشجيني بعد هذا أن أتكلم على سلفي الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله . فلقد صادقته المودة خمسا وثلاثين سنة . ورافقته في المجمع العلمي العربي بدمشق سبعا وعشرين سنة ، فكان لي فيها كلها نعم الصديق ونعم الرفيق !

وماذا عسى أن أقول فيه في دقائق معدودة ، والذكريات تتزاحم في خاطري ، فلو أتيح لي أن أنهض لها لألفت فيها كتابا برأسه ؟

كان الفقيد أنشط أديب أطلعته دمشق في النصف الأول من القرن العشرين . وناهيكم من رجل قضى أكثر من خمسين سنة من عمره ، والكتب والأوراق مبثوثة على مكتبه ، والقلم مثبت بين أنامله ، فما كف قط عن البحث وعن الكتابة حتى آخر يوم من حياته .

ولنا أن نتصور مبلغ الفائدة فيما يجيء الأديب المطبوع في هذه البرهة من الزمن ، عندما يكون مجدا في عمله ، مخلصا للغته ، محبا لقومه ، ساعيا إلى نشر العلم والأدب في بيئته .

فلا عجب إذن أن يكون للأستاذ ذلك التأثير الكبير في نهضة الشام الأدبية ، وأن يعده الشاميون

عامة ، والدمشقيون خاصة فى طليعة رجال تلك النهضة ، وأن يجمعوا على أنه كان أكبر مشجع لشباب الشام على مدارسة كنوز الأجداد الأدبية وعلى التزود بزاد العلوم العصرية .

ولم تكن محاربة الجهل فى الشام من الأمور السهلة فى أوائل هذا القرن . فقد كانت حجب الجهل على العقول مسدولة ، وكانت المدارس التى تعلم العلوم العصرية جد قليلة . فحارب الأستاذ الجهل والعجائب والبدع والخرافات ، وحمل بقلمه على مغتصبى الأوقاف الإسلامية وعلى الشعوبيين أعداء العرب وعلى بعض المستشرقين ممن تعصبوا على العرب والمسلمين وضمنوا كتبهم آراء طائشة ظلموا بها المدنية الإسلامية وتاريخها المجيد .

ومما يسر له معالجة أدوائنا الاجتماعية والتعليمية رئاسته للمجمع العلمى العربى سنين عديدة ، وتقلده منصب وزير المعارف فى سورية بضع مرات .

وهو من الأدباء السوريين الأول الذين رحلوا إلى مصر فى أوائل هذا القرن واتصلوا بأدبائها وحضروا مجالس الإمام الشيخ محمد عبده ، وكتبوا فى بعض الجرائد المصرية كالرائد المصرى والمؤيد والظاهر وغيرها .

وقد أصدر فى القاهرة مجلة « المقتبس » الشهرية فعاشت فيها ثلاث سنين . ثم نقلها إلى دمشق سنة ١٩٠٨ بعد الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد ، فظلت تصدر فيها خمس سنين . وكانت هذه المجلة فى الشام فريدة فيما تضمنت من بحوث فى الأدب والاجتماع والمخطوطات العربية وتاريخ العرب والمسلمين

ولا شك أن الفقيد كان — بعد أستاذه الشيخ طاهر الجزائرى — رأس الباحثين فى هذه العلوم فى نهضة الشام الحديثة .

وكان له جلد عجيب على التنقير عن تراثنا الأدبى القديم . وتيسر له أن يرحل غير مرة للتفتيش عن نفائس دور الكتب المشهورة فى القاهرة والقدس وباريس وبرلين وليدن ومدريد والأسكوريال وغيرها ، كما تيسر له أن يتصل بعدد كبير من المستشرقين وأن يذاكرهم ويراسلهم ويجادلهم فى أمور تتعلق بالحضارة الإسلامية وبالقدامى من رجالات العرب والمسلمين .

وفى دمشق كانت داره ندوة الأدباء والمتأدبين ، وكذلك غرفته فى المجمع العلمى العربى ، فلكم اجتمعنا فيها نحن أعضاء ذلك المجمع نتذاكر فى المحاضرات التى سنلقيها فى ردهته أو نتناقش فى موضوعات لغتنا العربية وموضوعات أدبها فى القديم والحديث !

ولكم استقبلنا فى تلك الحجرة من علماء وأدباء وأساتذة ومستشرقين ممن يزورون دمشق ولا يغادرونها ما لم يعرجوا على مجمعها العلمى العربى !

وكانت بحوث الأستاذ فى مجلة ذلك المجمع متلاحقة ، حتى كاد يكون له فى كل عدد من أعدادها بحث فى الأدب أو التاريخ أو الاجتماع .

وإذا ذكر الشيوخ الذين لم تحل الشيخوخة دون مثابرتهم على النشاط العلمى ، جاء الفقيد فى طلائع هؤلاء الشيوخ المجدين .

ففي بضع السنوات الأخيرة من حياته صنف كتاب غوطة دمشق وكتاب كنوز الأجداد . وحقق ونشر سيرة أحمد بن طولون للبلوى والمستجاد من فعلات الأجواد لأبي على المحسن التنوخي وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، وكتاب الأشربة لابن قتيبة . وكتاب البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي وهو آخر كتاب نشره .

ولا شك في أن كتاب خطط الشام المطبوع سنة ١٩٢٥ م بدمشق في ستة أجزاء هو أجل كتب الأستاذ شأنا وأغزرها فائدة . وقد ذكر لي مرة أنه لم يبق له في الحياة إلا أمنية واحدة وهي أن يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة . ولكن هيهات أمل الأستاذ فقد حالت الأقدار دون تحقيقه .

ومؤلفات الفقيد كثيرة على ما هو معروف . ويكفى أن أذكر منها ثلاثة كتب طبعتها له لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة : فالأول كتاب " الإسلام والحضارة العربية " وهو في جزء ين ، تكلم فيهما على العلوم والإدارة والسياسة في الدول الإسلامية ، ودافع فيهما عن مدنية العرب والمسلمين أصدق دفاع .

والثاني كتاب " أمراء البيان " وهو أيضا في جزء ين ، ترجم فيهما لعشرة من أئمة البيان العربي ، وهم : عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة والصولي وأحمد بن يوسف الكاتب والزيات والجاحظ وأبوحيان التوحيدي وابن العميد .

قال الأستاذ المصنف : " هؤلاء هم العشرة المبشرة بعصر العرب الزاهر يوم أضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم ، وكان في القرن الأول لغة دين وأدب . "

والكتاب الثالث هو كتاب " رسائل البلغاء " نشر فيه رسائل لعبد الحميد الكاتب ، والأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ، وكتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة ، وملق السبيل لأبي العلاء ، والرسالة العذراء لابن المدبر ، وغيرها من الرسائل ، دبجتها يراع عدد من رجال الأدب الرفيع في العصور الماضية .

وكان الأستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر ، فقد امتاز بأسلوب سهل رشيق وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الأستاذ — كما قلت — نصف قرن من الزمن حاثاً شباب الشام على العلم ، باحثا عن تراث الأجداد الأدبي ، مدافعا عن المدنية العربية والإسلامية ، داعيا إلى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية .

وإن شئتم أن أحل اليوم محله فليس من السهل على أن أملأ فراغا حصل بوفاة مثل هذا الأديب الكبير .

فأنا لست سوى نقار بسيط ينقر في دمشق منذ نحو ثلاثين سنة عن مصطلحات علمية في علوم الزراعة والمواليد ، فيكبو ويقوم ، ويخطئ ويصيب ، ولا مرجع له إلا كتب

الأجداد وما فيها من ألفاظ عامية قديمة، ولا هادي له إلا ما أقره مجمعكم الموقر من قرارات حكيما في قياسية بعض الأوزان العربية .

ولعل المتأدبين الذين لم يعنوا بوضع الألفاظ العلمية أو تحقيقها لا يقدرون هذه القرارات حق قدرها . أما الذين يضعون المصطلحات العربية من دون أن يكون لهم اختصاص بفقه اللغة فقد وجدوها — أي القرارات — منارة هدتهم إلى السبيل القويم، وجنبتهم التيه في بيداء كتب اللغة القديمة .

واسمحوا لي — بعد هذا — بأن أذكر لكم في جمل قليلة مبلغ الفائدة التي أفدتها من تلك القرارات عندما كنت أصنف معجمي المطبوع سنة ١٩٤٣ م بدمشق . والهدف الوحيد الذي أرمي إليه إنما هو الإفصاح عن فضل المجمع على واضعي المصطلحات العربية وعلى تلك العلوم العصرية .

فما أقره المجمع : " اشتق العرب كثيرا من أسماء الأعيان . والمجمع يجيز هذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم " .

واستنادا على هذا القرار اقتضت الضرورة تلقى بوضع أسماء لبحوث زراعية أصبح اليوم كل بحث منها علما قائما برأسه مثل زهارة (Floriculture) من زهر وهي زراعة نباتات الزهر ، ونحالة (Apiculture) من نحل وهي تربية النحل، وحراجة (Sylviculture) من حرجة وهي زراعة الأحراج ، إلى غير ذلك من المشتقات المماثلة كالبستنة من بستان والبرمجة من برمج إلخ .

ومما أقره : " تصاغ مَفْعَلَة قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد " .

وعملا بهذا القرار صغت على وزن مفعلة عددا كبيرا من الألفاظ مثل ملبنة (Laiterie) ومزبدة (Beurrerie) ومقشدة (Crèmerie) ومقطنة (Cotonnerie) وموردة (Roseraie) ومرزة (Rizière) ومقصبة (Roselière) ومفرسة (Haras) ومطيرة (Volière) ومتاتة (Mûraie) وهلم جرا .

ومن قراراته : "يصاغ (فَعّال) قياسا للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء . فإذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعال للصانع وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال زجاج لصانع الزجاج وزجاجي لبائعه " .

وهذا القرار أيضا سهل عملي فقلت مثلا : زهار لبستاني الزهر ، وزهري لبائعه . وكلاهما بالفرنسية (Fleuriste) وقلت كرام لغارس الكروم (Viticulteur) وورّاد لزارع الورد (Rosiériste) إلى غير ذلك من الكلم .

وهناك القرار الذي يجيز الصياغة قياسا من الفعل الثلاثي على وزن مِفعل ومِفعلة ومِفعال للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء ، فلقد وضعت بناء على هذا القرار أسماء عديدة لآلات وأدوات زراعية حديثة كالمبذر (Semoir) والمحصد (Moissonneuse)

والمدرس (Batteuse) والمرنحة أو المحصدة (Couseuse) والمحشة (Faucheuse) عدا الأسماء التي هي على وزن اسم الفاعل ومبالغته كالناصبة (Releveur) وكالجرارة (Tracteur) الخ .

وكذلك القرار الذي يجيز لنا صياغة مصادر على وزن فعالة من أبواب الثلاثي للدلالة على الحرفة أو شبهها . فقد رجعت إليه في مثل قولي غراسة من غرس بجعلتها أمام كلمة (Arboriculture) وإن لم ترد الغراسة في المعجمات في مادة غرس ، بل وردت عرضا في مادة خرج من التاج واللسان ومثل رسامة وضعتها فيري لحرفة الرسم (Dessin) .

ثم قياسية صنع المصادر الصناعية بأن يزاد على الكلمة ياء النسب والتاء . ألم ييسر لنا هذا القرار مثل قولنا في العلوم قلوية وحمضية وعطرية وسمية وخشبية مثلما قال القدماء مائية وكيفية وكمية وعروبية وفروسية وغير ذلك .

وكذلك قياسية صيغة فُعال للمرض مصدرا من فعل اللازم المفتوح العين لقد استفاد أساتيذ الطب من هذا القرار . ووجدتهم لم يكتفوا به بل اشتقوا من أسماء الأعيان أيضا كلمات على هذا الوزن مثل وراك (Coxalgie) من الورك ، وعصاب (Névralgie) من العصب

وأجاز المجمع التعريب عند الضرورة فيسر لي تعريب عدد غير قليل من أسماء النبات والحيوان والمعادن . وهي أعيان لم تعرفها العرب . وكلها لابد من تعريب أسمائها لأنها إما منسوبة إلى أعلام أي إلى علماء أو ملوك أو حكام أو أقاليم أو مدن أو أحد آلهة القدماء ، وإما مقتبسة من إحدى اللغات كلغات هنود أمريكة أو غيرهم من الأقوام . مثال ذلك دهلية (Dahlia) فهي زهرة نسبوها إلى نباتي سويدي اسمه دهل . ودروينية (DarWinia) فهي جنبة للتزيين سميت باسم دروين العالم المواليدي المشهور . وكاكاو أو كاكاوو ، فهي من لغة شعب الأزتيك القديم في مكسكة . وكذلك الشوكولاطة الخ .

ونحن لانجيز لأنفسنا التعريب إلا عند الضرورة أي إذا لم نجد في كتبنا القديمة كلمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية ، ثم إذا لم نستطع إيجاد كلمة عربية جديدة سائغة بوسائل الاشتقاق والمجاز ، ولكنه لامفر لنا من تعريب مثل ماذكرت من أسماء .

وقد أجاز المجمع النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية ، ولكنه سارقيه بتؤدة يحمد عليها . ولم أجد في أجزاء مجلته السبعة إلا بضع كلمات منحوتة . وأنا لم أنحت في معجمي سوى كلمات تعد على الأصابع ، منها كلمة لبأرز مثلا فهي من كلمتي لبنان وأرز . وهي تطلق على شجر للتزيين غير أرز لبنان واسمه العلمي (Libocedrus) وهذا الاسم العلمي منحوت من (Liban) و (Cedrus) أي لبنان وأرز ، فاضطررت مرغما أن أسميه لبأرزا .

والذوق له شأن كبير في موضوع النحت ، وكذلك سهولة الفهم . وكثيرا مايكون استعمال كلمتين عربيتين أصلح وأدعى إلى الفهم من استعمال كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق

فيها المعنى . فالطالب الأوربى يحفظ الأصول والصدور والكواسع اليونانية فى الكلمات العلمية الأعجمية . ولذلك إذا قلنا له مثلا : هذه الحشرة هى من رتبة الـ (Orthoptères) أو الـ (Névroptères) فهو يدرك معنى هاتين الكلمتين بلا مشقة . وكذلك إذا قلنا للطالب العربى إن الحشرة المذكورة هى من رتبة مستقيمات الأجنحة ، أو من رتبة عصبيات الأجنحة ، فهو أيضا يدرك المعنى من دون أن يكد ذهنه .

ولكننا إذا فاجأنا طالبنا العربى بمثل قولنا مَسْجِيّات أو مَضْجِيّات ، فهو سينظر إلينا مشدوها فاقد الفهم .

وإذا رفقنا به وتركنا كلمة جناح على حالها قائلين مسجناحيات ومضجناحيات ، فهو أيضا لن يفهم معناهما مالم نقل له إنهما منحوتتان من كذا وكذا . ومتى احتاج الأمر إلى بيان أصول المنحوتات العلمية ضاعت فوائد النحت .

ولكل لغة قوالبها وأساليبها . والعربية لغة اختزال ، ولا يضيرها التعبير عن معنى من المعانى العلمية بأكثر من كلمة ، بل الذى يشوهها إنما هو أن يضاف إليها ألوف من المنحوتات الثقيلة الغامضة التى لا لزوم لها البتة .

والقائلون بالنحت لهم اعتراض معروف وهو أنه من السهل النسب إلى الكلمة الواحدة المنحوتة خلافا للنسب إلى المركب الإضافى . ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة . فالترجمة لا تكون دائما ترجمة كلمة بكلمة ، ولا صيغة بصيغة ؛ بل تقوم على حسن فهم المعنى وإفراغه فى قالب عربى مقبول .

وقد أجاز المجمع استعمال المولد من المصطلحات العلمية والصناعية وغيرها التى جروا فيها على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما .

وفى هذا القرار مجال لاستعمال عدد كبير من الألفاظ العلمية التى لم تتضمنها معجماتنا الأصلية ولكنها وردت فى كتب علمية قديمة مشهورة . وفوائد هذا القرار واضحة .

ويطول بى نفس الكلام إذا ما رحت أبحث فى سائر قرارات المجمع العلمية كترجمة بعض الزوائد اليونانية من صدور أو كواسع ، وكضبط الأعلام الجغرافية وكتابة بعض الحروف الأجنبية بالحروف العربية ونطقها ، وكتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية .

وهيهات أن يتسع المجال للكلام على تلك البحوث اللغوية الجليلة المبثوثة فى مجلدات المجلة ، والتى بلغت الذروة فى دقة التحقيق العلمى ، ولا يمكننى أيضا الكلام على المصطلحات العلمية التى وضعها المجمع أو أقرها فسدّها العارفون أصلح مصطلحات عربية لما يقابلها من الألفاظ العلمية الأعجمية .

ولا تظنوا أيها السادة أن مصطلحات المجمع هذه لبثت مدفونة فى صفحات المجلة . فالحقيقة أنه ما من أستاذ نبيه يؤلف كتابا مدرسيا إلا ويرجع إلى مجلة المجمع فى التفتيش عن ألفاظ عربية فى عمله .

ولكم سألنى الأساتيذ والمدرسون وغيرهم فى الشام عن المجلة وعن السبيل إلى تداركها ،

لأنهم لا يكتفون بمراجعتها فى خزانة المجمع العلمى العربى، أو خزانة الجامعة السورية، بل يتوق كل منهم إلى جعلها فى خزانته الخاصة .

ويهم كل عربى حريص على سلامة لغته أن يكون مجمع اللغة العربية فى مصر مرجعا تؤول إليه جهود الأفراد وجهود الجماعات التى تعنى بوضع المصطلحات العلمية فى جميع البلاد العربية، فلقد أصبح اختلاف هذه المصطلحات داء من أدواء لغتنا المصرية . وهذا الداء ينمو ويستشرى كلما اتسعت الثقافة فى أقطارنا وازداد فيها عدد نقلة العلوم الحديثة إلى لساننا، أو عدد المؤلفين فى تلك العلوم . ففى كل قطر توضع مصطلحات جديدة لايدرى علماء الأقطار الأخرى عنها شيئا، وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتيذ الجامعات وكلياتها فى مصر والعراق والشام . وإذا تهادوا مؤلفاتهم تعصب كل أستاذ للمصطلحات التى وضعها أو التى ألف استعمالها . وربما راح يزرى بمصطلحات زملائه، وربما تطاعن الأساتيذ فى الصحف بهوادة أو بلا هوادة، حتى فى البلد الواحد .

ونروح نفتش عن حكم يكون فى حكمه فصل الخطاب فلا نجد عندنا إلا هذا المجمع الذى له مكانته المرموقة فى الأقطار العربية كافة، فهو الأداة الوحيدة التى تستطيع أن تصنف معجما أعجميا عربيا لمصطلحات العلوم والآداب والفلسفة والمخترعات الحديثة، وأن تفرضه على حكومات الأقطار العربية وعلى أدبائها وعلمائها .

والسبيل إلى ذلك فى نظرى إشراك الدول العربية فى نفقات هذا العمل الكبير، بقرار يتخذ فى مجلس جامعة هذه الدول، وإشراك الأثبات من الاختصاصيين بالمصطلحات فى مصر وفى غير مصر فى وضع قوائم أو معاجم صغيرة بمصطلحات علومهم .

وعندما يجتمع كل ذلك فى هذا المجمع تمحص فيه المصطلحات ويصنف المعجم ويطبع ويذاع بثمن بخس .

وأعتقد أن هذا العمل لا يستغرق أكثر من بضع سنوات، ولا سيما إذا عوض كل عامل فى المعجم من أتعابه تعويضا عادلا .

وأكاد أجزم أنه ما من دولة عربية تحجم عن دفع ما يصيبها من نفقات، كبيرة كانت أو صغيرة . وتكون حكومات تلك الدول ميالة إلى فرض المعجم ومصطلحاته على وزاراتها ومدارسها ومؤسساتها العامة لأنها تعد نفسها مشتركة ماليا وأدبيا فى تصنيفه .

وبذلك تتوحد المصطلحات فى أقطارنا العربية، ويكون الفضل الأكبر لمجمعكم الموقر فى إنجاز هذا العمل الحيوى الكبير فى مدة وجيزة .

وإنا ومعتى رحابة صدور الرفاق الكرام فى المجمع أفصحت لهم فى جلسة خاصة ، وبشىء من الإسهاب ، عن رأيى فى موضوع توحيد المصطلحات العلمية فى بلادنا العربية .

وبعد : ماهى ، ياسادتى ، منية تطويقكم لعنق بهذا الطوق الذهبى الجميل من المنة والإحسان ؟ لقد كنت فى دمشق ألتمس طريق فاضع الصحيح والمغلوط ، والراجح والمرجوح من المصطلحات .

أما بعد اليوم فقد يسرتم لى عرض ما أضع أو أحقق منها على علماء أثبات بحاثين فى كتب العلوم وكتب اللغة ، يرون بالعين المجردة مالا يراه غيرهم بالجهر .

وقصاراى كلما التبست علىّ الأمور أن أميل على جوانبكم ميلان الشاعر على جوانب أبيه . قدرنى الله على أن أكون عند ظنكم بى . ولا زالت مصر العـــزيزة رأسا للعالم العربى ومعقلا منيعا للغة القرآن .

القسم الرابع

كلمات فى التأبين

المرحوم الأستاذ أحمد العوامرى
للأستاذ زكى المهندس

١ — وصف الحفلة

دعا المجمع إلى حفلة علنية يقيمها فى الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هـ (الموافق ١٧ من فبراير سنة ١٩٥٥ م) بداره بشارع قصر العينى رقم ١١٠، تأبينا لفقيد المجمع المرحوم الأستاذ أحمد العوامرى أحد أعضائه العاملين ؛ إذ توفاه الله فى يوم الاثنين ١٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٤ هـ (الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٤).

وقد لبى الدعوة عدد من أعضاء المجمع ومن أساتذة الجامعات ورجال وزارة التربية والتعليم والمشتغلين بالعلم والأدب . كما لبى الدعوة بعض آل الفقيد وذوى قرباه .

وفى الموعد المحدد وقف الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع فترحم على الفقيد، وعرض لما كان له من مكانة فى نفوس زملائه، وما كان له من جليل الأثر فى خدمة اللغة والتعليم .

ثم ذكر سيادته أنه تلق اعتذارات عن التخلف من السيد الأستاذ رئيس المجمع وبعض الأعضاء وبعض من وجهت لهم الدعوة لملابسات خاصة بهم حالت بينهم وبين المشاركة فى هذه الذكرى .

ثم أشار سيادته إلى أنه تلق من الأستاذ زكى المهندس عضو المجمع وخطيب الحفلة رسالة يبدى فيها أن أطباءه منعوه من إلقاء كلمته لانحراف حالته الصحية، وأنه يأسف لذلك أشد الأسف، وأنه قد أعد الكلمة لتلقى فى الحفلة .

ثم قال سيادته إنه كلف الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر بالمجمع أن يلقى كلمة الأستاذ زكى المهندس فى تأبين الفقيد، وإنه يدعوه الآن إلى إلقائها .

وهنا وقف الأستاذ محمد شوقى أمين فألقى الكلمة . ولما فرغ منها وقف سيادة الدكتور منصور فهمى فشكر للحاضرين جميل سعيهم .

وسأل الله للفقيد أن يحل مقامه فى دار البقاء .

وانفض الاجتماع والساعة قد جاوزت السابعة مساء .

وفيما يلى نص رسالة الأستاذ زكى المهندس ونص الكلمة التى أعدها لتلقى فى الحفلة .

٢ — رسالة الأستاذ زكى المهندس فى الاعتذار عن إلقاء كلمته

سيدى الدكتور :

يعز على أن يضطرنى المرض إلى التخلف عن إلقاء كلمتى فى تأبين أستاذى العوامرى وأنا بعض غرسه وثمرة من ثمره . فكم كنت أتمنى أن أكون اليوم حاضرا بين إخوانى وزملائى أشاطرهم الأسى والحزن لفقد هذا المربى الكبير

والعالم اللغوى الضليع الذى كان له أكبر الأثر فى توجيه حياتى وحياة كثير غيرى من أبناء دار العلوم. ولكن شاءت الأقدار أن يعاودنى ضغط الدم الذى أعانيه منذ زمن، وأن يضطرنى الأطباء إلى الاعتكاف ويحرموا علىّ بذل أقل جهد فى أى عمل ؛ حتى الحديث القصير الذى كان علىّ أن ألقيه فى محطة الإذاعة قد أكرهنى الأطباء على إلغائه .

لهذا أرجو أن تتكرم سيادتكم بتكليف من تختارونه من موظفى المجمع إلقاء تلك الكلمة التى أعددتها لتأبين الفقيد، طيب الله ثراه . وإنى لعظيم الثقة بأن الحاضرين من أصدقائى وزملائى سيتقبلون عذرى بما أعهده فيهم من سماحة وكرم.

شكر الله مسعاهم، وجنبهم كل مكروه .

زكى المهندس

٣ — كلمة الأستاذ زكى المهندس

ألقاها الأستاذ محمد شوقى أمين فى حفلة التأبين

سادتى :

فى أوائل سنة ١٩٠٦ وفى إحدى فترات الراحة المدرسية فى دار العلوم ونحن — الطلبة — مجتمعون فى فناء الدار نلهو ونمرح، استرعى انتباهنا شيخ معمم وسيم الوجه مشرق الطلعة أنيق الملبس يلج باب الدار فى نشاط وجرأة، ويجتاز فناءها فى خفة ورشاقة . وتفسح له الطريق فيحيينا تحية كريمة تنم على ألفة وعطف ونجل، ثم يدلف إلى حجرة المدرسين تتبعه أبصارنا ؛ فإذا الجميع يقومون له ويحتفلون به، وإذا بعضهم يحتضنه ويقبله . ويشوقنا هذا المنظر، ويتملكنا حب الاستطلاع فنتساءل : ترى من يكون هذا القادم الغريب الذى لا عهد لدار العلوم بمثل أناقته وجمال مظهره ؟ فنعرف أنه الشيخ أحمد العوامرى الذى عاد من إنجلترا منذ قريب، والذى عين مدرسا للتربية فى دار العلوم .

ولم يكن لنا — نحن الطلبة — سابق عهد بهؤلاء الشيوخ الذين أتموا دراستهم بأوربا ورجعوا إلى ثقافتهم العربية الأصيلة ثقافة غربية فتحت أمامهم آفاقا واسعة من النشاط والمرونة . لقد كانت فكرة البعثة بالنسبة لأبناء دار العلوم فكرة حديثة ناشئة لم تتقرر إلا فى أخريات القرن الماضى، فكان العوامرى ثالث ثلاثة أوفدتهم وزارة المعارف إلى إنجلترا لدراسة التربية والآداب والحصول على دبلوم وزارة المعارف الإنجليزية . كان المرحوم محمد عاطف بركات أول مبعوث أرسل إلى إنجلترا سنة ١٨٩٤ وتلاه فى ١٨٩٧ المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش الذى أتم دراسته فى كلية (بوروود) ثم عاد إلى إنجلترا مرة أخرى سنة ١٩٠٤ ليكون مساعدا للأستاذ (مرجوليوث) المستشرق المعروف وأستاذ الدراسات الشرقية بجامعة (أكسفورد). وكان العوامرى ثالث الثلاثة أوفدته الوزارة فى سنة ١٩٠٣ وعاد إلى مصر سنة ١٩٠٦ بعد أن أتم دراسته فى جامعة (ردنج) بإنجلترا .

ولكن إلى جانب عاطف وجاويش والعوامرى كان هناك عدد من أبناء دار العلوم أرسلوا فى عهود مختلفة إلى أوربا إما لمساعدة المستشرقين فى تدريس اللغة العربية فى جامعات ألمانيا وفرنسا وإنجلترا ، وإما للإشراف على طلبة

الإرسالية المصرية بفرنسا أو لتدريس اللغة العربية والدين لأبناء بعض الأمراء الذين كانوا يرسلون صغارا إلى فرنسا أو سويسرا . ومن هؤلاء: المرحومون : حسن توفيق العدل ومحمد نصار ومحمد شريف سليم وعبد الرحيم أحمد وعبد الرحمن زغلول وعبدالرحيم سليم ومحمد عسل والدكتور حامد والى وغيرهم ممن اغتنموا فرصة وجودهم فى بعض الجامعات فدرسوا اللغات الأجنبية وتخصصوا فى التربية والآداب والقانون والطب والزراعة ،وكانوا نجوما زاهرة تفاخر بهم دارالعلوم وأعلاما بارزة فى تاريخها. لقد قضى هؤلاء شطرا من حياتهم فى أوربا، ولكنهم لم يكونوا أعضاء بعثة بالمعنى المعروف من البعثات بالرغم من أنهم درسوا ونجحوا وأتموا فيما تخصصوا فيه .

(٢)

وقضى العوامرى بين طلبة دار العلوم سنوات كان فيها ملء أبصارهم وقلوبهم ،فلقد رأينا فيه أستاذا قديرا ومربيا نابها واسع الأفق سديد الرأى . ولكن أشدما كان يجذبنا إليه نبل أخلاقه وكريم صفاته . حقا لقد اجتمع الفقيد من الصفات الإنسانية ما قل أن يجتمع لأستاذ فيمن عرفناهم واتصلنا بهم . كان — طيب الله ثراه — نقى الضمير سليم السريرة عف اللسان مخلصا فى كل مايقول أو يفعل كل الإخلاص صريحا كل الصراحة . كانت كل كلمة ينطق بها تنبىء عن مكنون نفسه وتعبر أصدق تعبير عن عواطفه . كان كل ما فى قلبه مسطورا على جبينه . تستطيع أن تقرأه فى صفحة وجهه وعلى أطراف لسانه . فما عرف فى حياته المراوغة أو اللف والدوران فى قول أو عمل .

ولقد كنا - نحن الطلبة - نعجب أحيانا بما يبديه أساتذتنا فى دروسهم من ذكاء وعلم وكفاية ، ولكن كنا نحنى رءوسنا دائما إجلالا للعوامرى وإكبارا لصفاته وأخلاقه، فقد كان (إنسانا) بكل ما تدل عليه كلمة الإنسانية من معنى سام نبيل . فما - والله - سمعناه مرة ينطق بكلمة نابية، وما رأيناه يوما يضيق بسؤال طالب أو يضن على أحد بنصح أو توجيه، وإنما كان يأخذ بيد الضعيف منا فى رفق وأناة، حتى يهديه إلى الحق ويرشده إلى الصواب .

حقا — أيها السادة — كانت طبيعة العوامرى من تلك الطبائع النقية الوادعة المهذبة التى ترتاح إليها النفوس وتهفو إليها القلوب .

ولن أنسى — ما حييت — تلك الأحاديث الشائقة الأخاذة التى كان يخصنا بها ويقتطع لها من وقت فراغه وراحته . كان يحدثنا عن إنجلترا ونشاط أهلها ومبلغ عنايتهم بتربية أبنائهم وتكوين شخصيتهم ،ثم يحدثنا عن المرأة الإنجليزية ومبلغ عنايتها بتنظيم بيتها ونظافة أولادها . ويحدثنا مرة أخرى عن الريف الإنجليزى ونظامه ونظافته ونشاط ساكنيه ، ويتناول أحيانا الحديث عن الطالب المصرى فى إنجلترا وأخلاقه وسلوكه ، إلى غير هذا من تلك الأحاديث التى كانت تخرج بنا عن ذلك المحيط الضيق المحدود الذى كنا نضطرب فيه .

ولا أحسبنى مبالغا إذا ذكرت أنه كان للعوامرى فى نفوسنا — نحن الطلبة — أثر معنوى عظيم الخطر فقد أمدنا وجوده بيننا

بأمل جديد وعزم جديد . ولأول مرة بدأت فكرة البعثة تراود أحلامنا بل تشغل كل قلوبنا وعقولنا . لقد أخذ كل منا يعمل — ماوسعه العمل — على أن يكون كالعوامرى ، وعلى أن ينال مثل ذلك الحظ الذى أدركه العوامرى . لقد أخذت أخيلتنا تسبح و أجواء أوربا، وبدأنا نحس الفرق الكبير بين رجل واتته فرصة البعثة وبين غيره من خريجى دار العلوم . بدأنا ندرك أن اللغات الأجنبية ضرورة لازمة لذوى الثقافة العربية، وأنها نوافذنستطيع أن نطل منها على هذا العالم الواسع النشيط الصاخب . بدأنا ندرك كل هذا، وبدأنا ندرك فوق هذا أن الأسبقية فى ترتيب النجاح هى الوسيلة الفذة لإدراك ما نعقده من آمال . ولقد كان من أثر هذا الشعور الذى تغلغل فى نفوسنا أن اشتد التنافس بين الطلبة وارتفع مستوى الجد والتحصيل والمواظبة على صورة لم يسبق لها مثيل فى دار العلوم. ثم ازداد الإقبال على دروس اللغة الإنجليزية التى كانت — يومئذ — اختيارية . ولم يستطع كثير من أساتذة الدار أن يجدوا تعليلا لهذه الظاهرة الجديدة، ولكنا — نحن الطلبة — كنا ندرك أسبابها وبواعثها ، فما كانت العلة الأولى والأخيرة لهذا النشاط العجيب إلا العوامرى، ولا شىء سوى العوامرى . حقا — أيها السادة — كان العوامرى بين طلبة دار العلوم قوة حافزة موجهة سمت بآمالهم وشدت من عزائمهم، فكان أشبه بشجرة الزيتون، مازرعت فى أرض إلا وأكسبتها قوة الخصب والنماء ؛ حتى لترى كل نبات حولها أزهر مونعا . كذلك كان العوامرى فى دار العلوم، وكذلك كان أثره فى طلبة دار العلوم .

(٣)

وشاءت الأقدار أن أذهب إلى إنجلترا فى بعثة وأن يكون من نصيبى جامعة (ردنج) حيث أتم الفقيد دراسته، بل شاءت المصادفات العجيبة إلا أن تسوقنى إلى تلك الأسرة التى كان يساكنها العوامرى أيام دراسته . وبالرغم من مضى بضع سنوات على عودة العوامرى إلى مصر . وبالرغم من أن عددا من الطلبة الشرقيين قد اختلف إلى هذه الأسرة وأقام فيها بعد رحيل العوامرى . وبالرغم كذلك من أن الإنجليز قوم تشغلهم أعمالهم وشئون حياتهم المتجددة عن تذكر الماضى البعيد أو القريب بكل أحداثه وأشخاصه — بالرغم من هذا كله فقد كان أول سؤال يوجه إلىّ فى تلك الأسرة هو : هل تعرف مستر عوامرى ؟ وأخبرتهم بأنه كان أستاذى المفضل أربع سنوات متوالية فى مصر . فطابت بذلك نفوسهم وبدءوا يشرون لتلك المصادفة السعيدة ، وتزداد رعايتهم لى وإقبالهم علىّ واطمئنانهم إلىّ، ثم يتحدثون وأتحدث إليهم فى كل مناسبة عن العوامرى وتلهج ألسنتهم بالثناء عليه وإخلاصه ووفائه واستقامته ورجولته . وهكذا كان اسم العوامرى موضع التقدير فى إنجلترا، كما كان شخصه موضع الحب والإعجاب فى مصر .

حقا — كان العوامرى بين الإنجليز مثالا رائعا للطالب المصرى الرشيد الذى يعرف كيف يحتفظ بكرامته ويعتز بكرامة وطنه . ولهذا ترك فى نفوس كل من اتصل بهم من الإنجليز أثرا لايمحوه الزمن . وكذلك الأخلاق الطيبة تنم على صاحبها فى كل مكان وفى كل زمن كما ينم على الزهر عبيره .

(٤)

ثم شاءت الأقدار مرة أخرى أن أكون زميلا للفقيد فى تفتيش اللغة العربية بوزارة المعارف وأن تجمعنا مع المرحومين : الخضرى والجارم والعمراوى وخير الدين حجرة واحدة ، فكان العوامرى المرجع الوثيق والحجة الحاسمة فى جميع ما نختلف فيه من المشاكل اللغوية أو التربوية. ولعل كثيرا من أبناء دار العلوم الذين أتموا دراستهم بأوربا قد هجروا اللغة العربية إيثارا لهذه الدراسة التربية الجديدة فانصرفوا إليها وانقطعوا لها. ولعل الكثير منهم فى هذه الدراسة الجديدة مؤلفات وبحوثا تذكر لهم بالحمد والتقدير. لكن العوامرى كان من هؤلاء القلائل الذين استطاعوا أن يلائموا بين ثقافتهم العربية الأصيلة وثقافتهم التربية الجديدة، فلا هجر الأولى ولا انقطع عن الأخرى وإنما امتزجت فيه الثقافتان فى وحدة متصلة الأجزاء متماسكة الأطراف يسنى بعضها بعضا ويؤثر بعضها فى بعض، فيصدر عنها ذلك النظر الثاقب والأفق الواسع والرأى السديد. كنت تسأله عن اللفظ أو التركيب وحظه من اللغة العربية الفصحى فيحدثك فيه حديث العالم الواثق الضليع، ويسوق إليك ما ورد فيه من نصوص المعاجم وأقيسة النحو والصرف يسوق إليك هذا كله فى تفصيل دقيق يدعو إلى الإعجاب بذلك الاطلاع الواسع وتلك الذاكرة النشيطة الواعية. وكنت تتحدث إليه فى شئون التربية وأساليب التعليم فيحدثك حديثا قيما فى نظريات التربية وفلسفتها وتاريخها وتطورها، وينتقل بك من (بستالوتزى) إلى (هربارت) إلى (روسو) إلى (دوى) إلى غير هؤلاء من جهابذة التربية وأعلام المفكرين.

حقا — أيها السادة — كان العوامرى مزيجا بديعا وخلاصة فذة من الثقافة العربية والتربية، فلم تستطع إحداهما أن تفتنه عن الأخرى. وبهذا استحق أن يوصف (بالمربى القدير، والعالم اللغوى الكبير).

ولقد ساهم الفقيد مساهمة محمودة الأثر فى وضع كثير من الألفاظ العربية لتحل بين تلاميذ المدارس محل نظائرها من اللغة العامية. فالمعطف والدراجة والقفاز والخوان وما إليها من عشرات المئات ؛ من مثل هذه الألفاظ كانت مدينة بوجودها لجهود العوامرى وزملائه. لقد انطلقت هذه الألفاظ فى المدارس وتداولتها الكتب والصحف، وأساغت الألسنة كثيرا منها، فكان عمل العوامرى وإخوانه فى هذا الباب إرهاصا أو تمهيدا لذلك العمل الضخم الذى يقوم به المجمع الآن فى تعريب ألفاظ الحضارة.

ولعل ذاكرتى لا تخذلنى إذا ذكرت أن الفقيد — طيب الله ثراه — حين وضع كلمة (لجاجات) لتحل محل كلمة (سيفونات) المتداولة قال لى: "لو أعطيت ألفا من الجنيهات لما فرحت بها فرحى بأنى وفقت فى وضع هذه الكلمة".

وربما قيل إن العوامرى — على علمه وكفايته وفضله — لم يترك وراءه مؤلفا علميا لغويا يفيد منه أبناؤه وزملاؤه ويبقى له على الزمن. ولعل لهذا نصيبا من الحق، ولكن يجب ألا يغيب عنا أن العوامرى قد قضى أنضر وأنشط شطر من حياته مفتشا بوزارة المعارف، فقد تولى التفتيش حول سنة ١٩١١ وظل يعمل فى التفتيش

حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٣٦ ، وكل من عاصر الفقيد فى التفتيش على ذلك العهد يذكر — من غير شك — أن الأوضاع التى كانت قائمة فى الوزارة — يومئذ — كانت بحيث تستنفد جهود المفتشين ونشاطهم ولا تترك لهم حظا من ذلك الفراغ الهادئ الذى هو شرط جوهرى للتفكير والتأليف . حقا — كلنا يذكر تلك التبعات الجسام والأعباء الثقال التى كان على المفتشين أن ينهضوا بها . كان على المفتش أن يقوم — فى ذلك العهد — بأعمال مرهقة تقوم بها الآن فى الوزارة إدارات واسعة منظمة . كان عليه أن يفتش المدارس الحرة المنبثة فى أرجاء البلاد تفتيشا إداريا ليقدر لها نصيبها من الإعانة . كان عليه أن يدرس الميزانيات وأن يوازن بين الإيرادات والمصروفات، وأن يتأكد من صحة النفقات وأن يدرس جميع الملفات . وكان على المفتش — إلى جانب عمله الفنى الخالص — أن يقوم بما يكلفه من تحقيقات مع المدرسين والنظار فى كل ما يمس سلوكهم وأعمالهم . ولم تكن قد أنشئت بعد تلك المناطق التعليمية التى جنبت المفتشين كثيرا من الأسفار الشاقة البعيدة ، ووفرت عليهم كثيرا من الجهد والوقت . فكان على المفتش أن يذرع القطر المصرى طولا وعرضا (كأنه موكل بفضاء الأرض يذرعه)؛ كما يقول شاعرنا العربى . هذا إلى الاشتراك فى أعمال متنوعة و لجان مختلفة ؛ من لجان لوضع المناهج ، إلى لجان لتأليف الكتب المدرسية ، إلى لجان لوضع أسئلة الامتحانات والإشراف على تقدير الدرجات ، إلى غير هذا من أعمال كثيرة متنوعة متشعبة ألقتها حركة التعليم على كواهل المفتشين . حتى فى أشهر الصيف التى ينعم فيها المدرسون والتلاميذ بقسط موفور من الراحة يرد إليهم نشاطهم ، كان على المفتشين أن يقضوا نهارهم وشطرا كبيرا من ليلهم فى مكاتبهم يعملون فى التنقلات والتعيينات ، و يضعون النشرات والتوجيهات ، و يعدون الخطط والمشروعات لمواجهة السنة الدراسية الجديدة .

ثم يجب ألا ننسى كذلك أن ذلك التطور الشامل السريع الذى تناول التعليم المدرسى فى جميع مراحله وأنواعه قد فرض على رجال التعليم عامة ، وعلى المفتشين بوجه أخص ، كثيرا من التبعات الجسام والأعباء الثقال . لقد كان من شأن هذا الوعى الجديد الذى انبعث فى الأمة عقب ثورة سنة ١٩١٩ أن ساد الاعتقاد بأن التعليم المدرسى يجب أن يتطور فى مناهجه ونظمه وأساليبه وأهدافه بحيث يصبح تعليما وطنيا قوميا خليقا بأمة ناهضة ذات ماض مجيد ومستقبل مأمول . ومنذ ذلك الوقت والمفتشون لم يهدأ لهم بال ولم تستقر بهم حال . فكم من مناهج وضعت ثم غيرت ، ونظم نفذت ثم ألغيت ، وكم من قرارات أبرمت ثم نقضت ، و لجان اجتمعت ثم تفرقت ، وكم من كتب دراسية ألفت ثم نسخت واختفت .

وقد كان العوامرى — طيب الله ثراه — من هذه الحركة التجديدية فى ذروتها وصحبها إلى أن أحيل إلى المعاش . وهنا أعود فأتساءل : كيف يتهيأ لمفتش ؛ هذه أعماله أو بعض أعماله أن يظفر بوقت هادئ هانئ ، يفرغ فيه للبحث المجدى والتأليف العلمى المثمر ؟

هذا عذر العوامرى أيها السادة ، وهو عذر كل من عاصر العوامرى من المفتشين وعمل معه فى تلك الظروف الشاقة المتعبة .

ومع هذا فقد استطاع الفقيد أن ينتزع من حياته بعض الوقت وأن يكون له نصيبه من التأليف والإنتاج فقد أخرج وحده أو بالاشتراك مع زميله المرحوم على الجارم عددا من الكتب القديمة إخراجا حديثا من شأنه أن يحبب الأدب القديم إلى نفوس الطلاب وأن يدنيه إلى عقولهم وأن يعينهم على فهمه وتذوقه. وإن له فى كتابى البخلاء ورحلة ابن بطوطة من التحقيقات والتعليقات ما يشهد له بدقة البحث وسلامة الفهم والذوق. ولقد وضع بالاشتراك مع زميليه الأستاذين الجليلين أحمد على عياس وعباس حسن كتب المطالعة المختارة فكانت من خير الكتب التى أخرجت للتلاميذ والطلبة فى العهد الحديث

أما أسلوب التفتيش فقد كان مدينا للعوامرى بالشىء الكثير . لقد كان التفتيش على ذلك العهد يرمى أول مايرمى إلى (تصيد أخطاء المدرسين وتتبع زلاتهم، ثم محاسبتهم - على ذلك - الحساب العسير) وكان من شأن هذا أن يذهب بما يجب أن يكون بين المدرس والمفتش من روح الثقة والتعاون . كان كل منهما يقف من صاحبه موقف المترقب الحذر. فالمدرس لا يرى فى المفتش أكثر من رجل يعمل على كشف عيوبه ونشر مساوئه كى يعلنها لوزارة المعارف. والمفتش من ناحية أخرى كان يبتهج أشد الابتهاج ويغتبط أعظم اغتباط كلما رأى فى المدرس نقصا يستطيع أن يلومه فيه، ويأخذه عليه ، ويسجله فى تقريره .

ثم كان اهتمام المفتشين يكاد يتركز فى المدرس - والمدرس وحده - فكانوا يتخذون من نشاطه ونظامه فى الفصل وعنايته بتقسيم السبورة واستعمال الطباشير الملون: كانوا يتخذون من هذا كله مقياسا لتقدير كفاية المدرس . أما أثره فى تلاميذه ومبلغ عنايته بالعمل التحريرى وقدرته على إيصال الحقائق إلى أذهان التلاميذ فى أسلوب شائق أخاذ ، أما كل هذا فقد كان يأتى فى المحل الثانى من عناية المفتش عند التقدير.

لكن العوامرى قد نهج فى التفتيش نهجا جديدا لعله متبع حتى اليوم . كان يعنى أول ما يعنى بأثر الدرس فى التلاميذ ومبلغ فهمهم لما يلقى عليهم . وكثيرا ما كان يجلس فى الفصل صامتا حتى إذا أتم المدرس درسه أو شطرا كبيرا منه بدأ يسائل التلاميذ فيما فهموه ووعوه من المدرس . ولقد كان من رأيه أن العمل التحريرى هو الدعامة الأساسية لعمل المدرس؛ فكان يختصه بالشطر الأكبر من عنايته ، فهو عنده السجل الذى تحل فيه جهود المدرس والتلميذ كليهما فى فترة من زمن الدراسة طالت أو قصرت . وشىء آخر استحدثه العوامرى فى التفتيش، ولم يكن المفتشين به عهد: ذلك هو البحث فى معلومات المدرس وفى المصادر التى يعتمد عليها فى إعداد درسه فى الأدب أو اللغة أو النحو والصرف . حقا كان أكره ما يكره العوامرى فى المدرسين أن تقتصر معلوماتهم على تلك الكتب المختصرة التى يتداولها التلاميذ، فكان يسائل المدرس فى الكتب التى يستقى منها مادته ، وفى المعاجم التى يستعين بها فى تصحيح كراسات التلاميذ . وحجته فى هذا أن المدرس لا يستطيع أن يحسن فهم كثير من المسائل التى اشتملت عليها تلك المختصرات

المقررة مالم يراجع أصولها فى أمهات الكتب. بهذا استطاع العوامرى أن يلزم المدرسين أو يشجعهم على مداومة النظر والاطلاع والبحث فى المطولات من الكتب والمعاجم .

حقا — أيها السادة — كان العوامرى فى التفتيش قوة دافعة مجددة منتجة يرهبها الضعفاء ويرحب بها الأقوياء من المدرسين ، ولكن الجميع كانوا يقدرونها ويحسبون حسابها .

وقد عبر عن هذا أحد المدرسين النابهين قال :

(مازارنا العوامرى مرة إلا وخرجنا من زيارته بشيء جديد مفيد ، وما أعددت درسا أو صححت كراسة إلا وتمثلت العوامرى أمامى يناقشنى الحساب) .

ولقد كانت التعليمات فى وزارة المعارف تقضى — يومئذ — بأن تكون زيارات المفتشين للمدارس زيارات مفاجئة ، وكان المفتشون يلاقون من هذا بعض العنت والمشقة والحرج . كانوا مضطرين أن يعملوا الحيلة ، وأن يصطنعوا الوسائل لتتم هذه الزيارات المفاجئة على ماتبغيه الوزارة ، وبخاصة فى الريف حيث لا يستطيع المفتش — مهما حاول — أن يستخفى من الناس . والمرحوم الشيخ شريف فى باب المفاجآت نوادر وحيل . كان رحمه الله ، إذا انتوى زيارة الإسكندرية للتفتيش استقل ذلك القطار البطيء الأعرج الذى يغادر القاهرة قبيل منتصف الليل فيصل إلى الإسكندرية بعد الفجر بقليل . وكان الشيخ يقضى هذا الوقت المبكر فى مكان قصى بعيدا عن أعين الرقباء من النظار والمدرسين ، فإذا ماحان وقت الدراسة قصد إلى المدرسة مستخفيا عن الأنظار يشق إليها الطرق الملتوية والدروب المتعرجة والمسالك الضيقة ، كى لا يراه أحد فيفضح سره ويفسد عليه أمره ، ثم إذا وصل إلى المدرسة وقف بحيث يستطيع أن يسجل على المدرسين مواعيد حضورهم .

وكذلك كان أمر التفتيش فى وزارة المعارف ، ولكن العوامرى — غفر الله له — لم يكن يؤمن بهذه المفاجآت المسرحية ، بل كان يراها عنفا وتحرية ، فإن أثرها — إن كان لها أثر — لا يلبث أن ينقضى بانتهاء الحصة الأولى من زمن الدراسة . وكثيرا ما كنت أسمعه يقول بمسمع من المراقبين والرؤساء : « إن التفتيش توجيه وإرشاد ، لا تلصص واحتيال . وإنى لا أتردد فى أن أحيط المدرس علما بموعد زيارتى التالية إن رأيت أن هذا قد يساعد على إصلاح أمره وتحسين عمله) .

حقا — كانت الصراحة من أبرز الصفات التى يمتاز بها العوامرى . لقد كان صريحا فى الحق إلى أبعد حدود الصراحة ؛ يعارض إذا عارض ويوافق إذا وافق عن إيمان واقتناع وإخلاص . حتى فى تلك العهود الماضية يوم كانت تعتبر الصراحة وقاحة والرأى المستقل تمردا وعصيانا ، وحين كانت الصراحة تتطلب قسطا كبيرا من الشجاعة ، وقسطا أكبر من الاستعداد للتضحية ، حتى فى تلك العهود كان العوامرى يجهر بما يعتقد أنه حق ، لا يبالى أمادت به الأرض أم اضطربت من حوله الدنيا .

لقد دعا المرحوم زكى أبو السعود وزير المعارف إلى اجتماع عام فى مكتبه ، وأخذ يحدث

عن التنقلات والتعيينات ، وأن الضرورة تدعو إلى وضع قواعد ثابتة للنقل والتعيين على مثال ما هو متبع فى القضاء ، فأبدى المجتمعون من المراقبين والمفتشين والرؤساء ارتياحهم للفكرة إلا العوامرى ، فقد انبرى وحده من بين هذا الجمع الحاشد وسأل الوزير عما إذا كان قد وصل إليه اعتراض أو احتجاج فيما يقوم به المفتشون حتى الآن من تنقلات أو تعيينات . وما كاد الوزير يرتقى هذا حتى استرسل العوامرى بذكر فى تفصيل دقيق تلك الاعتبارات الكثيرة المعقدة التى يراعيها المفتشون فى النقل والتعيين، ثم ينتهى فى بيانه إلى أن وضع قواعد ثابتة جامدة من شأنه أن يسلب المفتشين حريتهم فى العمل مما يحاق مصلحة التعليم . ويطول الجدل والنقاش بين الوزير والعوامرى فى هذه النقطة، فيضجر وكيل الوزارة وبعض المراقبين ويشيرون إلى العوامرى بالصمت ، فيلتفت الوزير إليهم غاضبا ويقول : « دعوه يعارض، ودعونى أناقشه . فوالله لاخير فيكم إذا لم تعارضوا ، ولا خير فينا إذا لم نرحب بمعارضتكم ما دامت معارضة نزيهة مخلصة » .

وخرجنا من هذا الاجتماع وإعجابنا بشجاعة العوامرى وصراحته لا يقل عن إعجابنا بديمقراطية الوزير ورحابة صدره .

(٥)

وفى سنة ١٩٣٢ صدر المرسوم بإنشاء مجمع باللغة العربية ، فكان الفقيد من بين تلك الصفوة المختارة التى وضعت دعائمه وشيدت أركانه ومن غير العوامرى وزملائه العلماء الأفاضل من أمثال الإسكندرى وحسين والى وحمروش والجارم والخضر حسين وفارس نمر ومنصور فهمى وغيرهم ؛ من ذوى الكفايات اللغوية والعلمية - من غير هؤلاء كان يمكن أن تتطلع إليهم الأنظار وأن تنعقد عليهم الآمال حين يراد إنشاء مجمع يحفظ على اللغة العربية سلامتها ؟ ويرد إليها قوتها وروعتها ، ويواجه بها أطوار الزمن ومستحدثات الحضارة ؟

لقد كان البحث فى اللغة وأصولها مما أغرم به العوامرى منذ زمن طويل . كان يتحرى نصوص المعاجم ويحقق فى المفردات والتراكيب وحظها من اللغة الفصحى ، ويخطىء أو يسوغ كثيرا من العبارات التى تتداولها الصحف وأقلام الكتاب . وإليه يرجع الفضل فى رد كثير من الألفاظ التى كنا نحسبها عامية إلى أصولها العربية . وكان يقوم بهذا عن شغف وشوق عجيبين . لهذا كان من الطبيعى . وقد أصبح عضوا عاملا فى هذا المجمع الجديد — أن يجد فى ساحته ما يرضى ميوله ويروى غلته . وهل هناك ساحة لمثل هذه الكفاية اللغوية أوسع من ساحة المجمع؟

حقا لقد انتقل العوامرى بنشاطه الجم وعلمه الواسع وكفايته اللغوية الممتازة إلى ذلك الميدان الفسيح فكان له فيه جولات موفقة ما زالت تذكر له بالحمد والتقدير . وكل من تابع من حضراتكم مجلة المجمع ولا سيما الأعداد الأولى منها يذكر — من غير شك — تلك المسائل

الكثيرة المتنوعة التي تناولها الفقيد بالبحث والتحقيق حتى ردها إلى وضعها الصحيح من اللغة العربيـــة السليمة . وفي مجالس المجمع وفي مؤتمراته وفي لجانه كان العوامري المرجع الوثيق والحجة الحاسمة الفاصلة في جميع ما تختلف أو نرتاب فيه من لفظ أو تركيب .

ولقد كان من حظى أن أزامل الفقيد في بعض اللجان ، وأشهد أنه كان المستشار الأول في اختيار المصطلحات وفي مطابقتها لنصوص المعاجم وأقيسة النحو والصرف . وكم — إذا اضطرته ظـــروف قاهرة إلى التخلف — نشعر بفراغ كان من المتعذر أن يشغله سواه .

وفي السنوات الأخيرة عاودته الأمراض فهدّت من كيانه ونالت من جسمه وأضعفت من حيويته ونشاطه ، ولكنه برغم هذا ظل مواظبا على حضور مجالس المجمع ومؤتمراته ولجانه ، فلم يتخلف إلا قبيل وفاته بأيام معدودات .

سادتي :

لقد عرفت الفقيد منذ أربعين سنة ، وزاملته في الوزارة وفي المجمع عشرين سنة أو تزيد ، وجمعني به خلال ذلك الزمن الطويل لجان وامتحانات ومحاضرات وندوات ومجالس ومؤتمرات . فما — والله — فارقني الشعور لحظة بأنه أستاذي ، وأني بعض غرسه وثمرة من ثمره !

فما كنت أكلمه أو أجلس إليه إلا كما يكلم الطالب أستاذه أو يجلس إليه .

نعم — أيها السادة — كان العوامري شخصية ممتازة جذابة تؤثر فيمن حولها كما تؤثر قطعة الماس في كل معدن آخر . قوة في تواضع ، وهدوء في يقظة ، وصراحة في إخلاص ، وعلم واسع في غير مباهاة ، وتفكير سديد في رفق وأناة . وستظل ذكرى العوامري عطرة ندية في قلوبنا جميعا ما بقي في العمر بقية .

رحم الله العوامري رحمة واسعة ، وجزاه عن جهوده وجهاده في خدمة اللغـــة والتعليم بخير ما يجزى به عباده العاملين المخلصين .

المرحوم الدكتور أحمد أمين

لفضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف
والأستاذ محمد فريد أبو حديد

فى اليوم الثلاثين من مايو عام ١٩٥٤ م روّع المجمع بفقد عضوه العامل المرحوم الدكتور أحمد أمين الذى كان لفقده أعمق الأثر فى الأوساط الأدبية والعلمية. وقد أقام له المجمع حفل تأبين بدار الجمعية الجغرافية المصرية فى اليوم الرابع من نوفمبر سنة ١٩٥٤ م شهدها أعضاء المجمع ولفيف من كبار رجال الدولة وأساتذة الجامعات ورجال التربية والتعليم والصحفيين وممثل الإذاعة المصرية .

وبعد أن افتتح الحفل ألقى الأستاذ منصور فهمى كاتب سر المجمع كلمة قصيرة، عبر فيها عن أسف المجمع لفقد الدكتور أحمد أمين ومدى الخسارة البالغة التى منى بها المجمع بوفاة العضو المحترم. وبعد أن تليت اعتذارات بعض كبار رجال الدولة من شهود هذا الحفل، ومنهم السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم والسيد حسن إبراهيم والدكتور عبد المنعم القيسونى ، قدم الدكتور منصور فهمى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فألقى كلمة فى تأبين الفقيد ثم تلاه الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع فألقى كلمة أخرى .

وفيما يلى نص الكلمتين :

كلمة الأستاذ عبد الوهاب خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم : "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها . وسنجزى الشاكرين" .

صدق الله العظيم .

إخوانى :

كل من امتحنه الله بفقد عزيز عليه أو صديق وفى له يكون أحوج ما يحتاج إليه أن ينسى ذكره أو يتناساه، لأن فى هذا النسيان رفقا بأعصابه ورحمة لقلبه . والنسيان الذى يعتبر آفة من آفات الإنسان قد يكون فى بعض الأحيان من أجل نعم الله على الإنسان ومن وسائل الرحمة به ... فقدنا صديقنا الوفى وزميلنا العزيز أحمد أمين. ومن عرف أحمد أمين وعقله الناضج وشخصيته القوية وآثاره القيمة وخلقه الكريم يحزن أشد الحزن لفقده ويشعر بأن البيئة العلمية خسرت بفقده خسارة فادحة. وزيدنا ألما وحزنا لفقده وشعورا بالخسارة الفادحة إذ فقدناه أننا نفقد رجالنا ونابغينا لا إلى عوض، لأننا أصبحت حياتنا حياة مادية والعبرة فيها بالكم لا بالكيف . المشتغلون بالعلم يشتغلون للعيش لا للنبوغ ، وفى كل عام نستقبل كثيرين من حملة الشهادات، ولكن لا نستقبل نابغا واحدا. فكلما ودعنا رجلا من رجالاتنا النابغين ازداد حزننا عليه لأننا نودعه ولا نستقبل خلفا له. عرفت الفقيد العزيز فى كل أطوار حياته ، عرفته طالبا فى مدرسة القضاء الشرعى ومدرسا بها وقاضيا بالمحاكم الشرعية وأستاذا فى كلية الآداب وزميلا فى المجمع . وفى كل طور من هذه الأطوار عرفت فيه ما يوجب الإعجاب به والتقدير له . وكلما ذكرته فى أى حال عرفته فيها طالبا أو أستاذا أو

قاضيا او محميا او عشيرا ذ كره بالخير وحزنت عليه أشد الحزن ... لن أتكلم الآن فيما عرفته من مزايا الفقيد، ولكنى أقصر كلمتى على نظرته للفقه الإسلامى وفى بحثه فى التشريع الإسلامى. عين الفقيد عليه رحمة الله قاضيا بالمحاكم الشرعية، وتعلمون أن القاضى بهذه المحاكم ملزم بأن يحكم بأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة، ومذهب أبى حنيفة مجموعة أحكام اجتهادية استنبطها أبوحنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن، وكونوا من مجموعة اجتهادهم مجموعة واحدة أطلقوا عليها اسم كبيرهم أبى حنيفة . نصت المادة ٢٨٠ من قانون ترتيب المحاكم الشرعية على أن المحاكم تحكم بأرجح الأقوال من مذهب أبى حنيفة أى بأرجح الأقوال من هذه المجموعة. ولا يتبادر إلى الذهن أن أرجح الأقوال متروك للقاضى ، لأنهم كما اجتهدوا فى نفس الأحكام وجد من أتباعهم من اجتهدوا فى تخريج علل الأحكام ، ويسمون علماء التخريج، ووجد من أتباعهم من اجتهدوا فى الموازنة بين أقوال أبى حنيفة وصاحبيه ، وترجيح بعضها على الآخر ويسمون علماء الترجيح. وكما أننا مقيدون بأقوال أبى حنيفة مطالبون بترجيحات علماء الترجيح فليس للقاضى أن يقول قول فلان أرجح لأن هذا الترجيح انتهى وقته، كما أن الاجتهاد انقضى وقته وانقرض علماؤه . عين الفقيد رحمه الله قاضيا شرعيا ، وكان عليه أن يلتزم فى قضائه هذا الالتزام وأن يسير فى هذه الطريق. والفقيد رحمه الله كانت أظهر صفة فى شخصيته . وكان حريصا على أن يكون عقله ورأيه ظاهرا أثره فى كل ما يقول وما يكتب وما يعمل . الرجل ذو الشخصية القوية فى هذه البيئة التى تلزمه هذا الالتزام وتضيق عليه دائرة التصرف بهذا التضييق يجد أشد الحرج وأكبر العناء ؛ لذلك كان الفقيد عليه رحمة الله فى حياته القضائية يعانى أكبر مشقة فى مسائل الأحوال الشخصية ، وهى من اختصاص المحاكم الشرعية كثيرة الارتباط بالأحوال الاجتماعية والأحوال الاجتماعية تتطور وتختلف فيها أحوال الناس. فالحكم فى القضية الواحدة بحكم واحد مهما تعدد خصومها واختلفت أحوالهم الاجتماعية أمر صعب على كل قاض يتوخى العدل والحق فى قضائه. ولهذا كتب المرحوم عدة مقالات فى مجلة القضاء الشرعى يطالب فيها برفع الحرج عن القضاة الشرعيين وبضرورة وضع نظام يجعل للقاضى دائرة متسعة مرنة تمكنه سعتها من أن يراعى الأحوال الاجتماعية للناس والظروف التى تحيط بهم . عرضت عليه ، رحمة الله عليه قضيتان موضوعهما واحد ووقائعهما واحدة ، ولكنه قضى فيهما بحكمين متناقضين لأن الأحوال الاجتماعية لخصوم فى إحدى القضيتين تخالفها فى القضية الأخرى . كان موضوع القضيتين أن الزوج يطلب الحكم بسقوط نفقة زوجته لنشوزها . الزوجة دفعت الدعوى بأن الزوج يضربها ، والزوج الذى يضرب زوجته لا تجب طاعته ، لأن شروط الطاعة أن يكون أمينا عليها لا يؤذيها بضرب أو أى نوع من الإيذاء . كان هذا موضوع القضية فى الواقعتين ، فحكم الفقيد برفض الدعوى فى إحدى القضيتين وحكم بطلبات المدعى فى الأخرى ، وبنى حكمه على أن الظروف الاجتماعية للخصوم مختلفة . ففى إحدى القضيتين لا يعد الضرب إهانة لأن هذا من شأنهم ومن عاداتهم . فهذا الدفع لا يسقط وجوب الطاعة وفيها الخصوم فى القضية الأخرى من بيئة أخرى ، وضرب

الزوجة بل شتمها يؤذيها ولا تستطيع الزوجة العشرة فى هذا الجو . حكم بحكمين متناقضين فى هاتين القضيتين وقال : « إنى مع تناقض الحكمين مرتاح الضمير ، لأنى حققت العدالة ولم أرفض نصوص الفقهاء » .

هذه الحياة القضائية الحرجة الضيقة ، ما كانت تتفق مع شخصية الفقيد ولا كانت بيئة تصلح لظهور مواهبه وإنتاجه . فقضى فى هذه البيئة فترة ليست طويلة وكان معنيا فيها أشد العناية بالتوفيق بين تحقيق العدالة وما يقضى به القانون بالحكم بأرجح أقوال أبى حنيفة . ولذلك كان تفريجا لكربه أن فوض فى أن ينقل أستاذا فى الآداب ووفقه الله إلى قبول هذا الاختيار . انتقل أستاذا فى الآداب ، وكانت البيئة الجامعية إذ ذاك تساعد أحرار الفكر على أن ينتجوا وعلى أن يحرروا ، وكان فى دروسه منتجا وفى مؤلفاته منتجا ، وبدأت آثار مواهبه تظهر ، وكل ميسر لما خلق له . تبين أن الفقيد رحمه الله ميسر لأن يكون أستاذا للجامعة فدرس وأنتج ، وكان من أظهر ما أنتجه فجر الإسلام . فهذا الكتاب كان نورا سطع . وجد فيه طلاب الجامعة والباحثون فى العلوم الشرعية والثقافة الإسلامية ما يشبع نهمهم ورغبتهم فى البحث الحر . وفى هذا الكتاب ظهرت شخصية الفقيد وظهر تحرره وتخلصه من القيود فى البحث وفى الاستنتاج . وكثيرون من العلماء إنما يعوقهم مراعاتهم القيود والتقاليد العلمية . أما الأشخاص الذين يحررون عقولهم ويخلصون من هذه القيود فهم ينتجون أعظم الإنتاج . حقيقة يكونون عرضة للشطط والزلل ، ولكنهم ينتجون ويحررون . لما وصل الفقيد فى كتابه إلى بحث الفقه الإسلامى كانت كتابته تفريجا للكربة التى لقيها أيام أن كان قاضيا . وكان هذا متنفسا من الضيق الذى أشعر به . ولهذا قرر وكرر أن الفقه الإسلامى لا يساير تطورات الزمان ولا يصلح للتطبيق على مسائل الناس ومشاكلهم إلا إذا كان له من يجدده ويطوره تبعا لتطورات الزمان . وساق على هذه النظرية عدة براهين كان من أظهرها البرهان العملى من الصحابة ، وأفاض الفقيد فى بحوث تدل على أنه كان يميل إلى نزعة اجتهادية تشريعية ، وعلى أن يفتح باب الاجتهاد فى الدين ، على أن يكون المجتهدون من ذوى المؤهلات ، وبوضع نظام للاجتهاد وأحكامه .

وأقول فى آخر كلمتى ما قلته فى أولها إنى كلما بحثت فى آثار فقيدنا العزيز فى الفقه وفى التشريع ، وفى كل ناحية جال فيها بالبحث حزنت أشد الحزن ، واعتقدت أننا خسرنا بفقده خسارة فادحة ، ولقد سمرت معه قبل الردى بليلة . وتحدثنا فى موضوعات شتى . وللأسف كانت كلها عن الأمراض وأعراضها . وتعلمون أن الدنيا سلسلة متاعب ، والناس فيها عليل يتسلى بعليل ، وهى مجموعة هموم تلتقى بهموم . ولما عزيته عن هذا بأنه إن كان متعبا جسميا فإن عقله سليم ، قال : إن هذا من أسباب متاعبى ، قوة عقلية تريد أن تعمل وتنتج ، ولكنى لا أجد جسما ماديا يعيننى على هذا الإنتاج .

فالفقيد كان شعلة إنتاج . كان منتجا خصيبا ، وكان حريصا على أن يخدم الأمة بكل ما أوتى من قوة . ولكن الله جعل لكل أجل كتابا . وكل نفس ذائقة الموت . والحقائق فى هذه الدنيا قد اختلف الناس فيها إلا حقيقة واحدة هى الموت . فهى حقيقة مسلم بها ، نرجو الله أن يرحم الفقيد وأن يجزيه عن الإسلام والعلم خير الجزاء .

كلمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد

حضرات الإخوان :

لا تعلك إذا تحدثنا عن الأعزاء إلا أن نتحدث عنهم من خلال أنفسنا ، لأننا بشر ، وما زال كل منا يربط العالم كله إلى نفسه ويراه من خلال شخصه . الأعزاء بالنسبة إلينا هم العالم الذى نعيش فيه ، هم الذين يكونون معنا عالمنا بما يجتمع لنا منهم من أنماط الأفكار ، وهم الذين يكونون الحياة معنا بما يجتمع لنا منهم من مختلف العواطف . يعرف كل منا حاجته إلى الآخرين و يكمل كل منا وجوده بوجود الآخرين ، الأعزاء : هم الذين يجعلون لحياتنا معناها وشخصيتها ، وما أصدق قاسم أمين حين قال : «كتبت امرأة مصرية قديمة على قبر ولدها : من انتهك حرمة هذا القبر فليكن آخر من يموت ممن يحبهم» .

وعزاؤنا أن العالم لم يخل من الأعزاء .

بهذا أعتذر عن تحدثنا — أولا — فى هذه الكلمة عن الصديق أحمد أمين قبل أن أتحدث عن عضو المجمع أحمد أمين .

أذكر يوم لقيته أول مرة : كان ذلك فى يوم من أيام الشتاء عام ١٩١٤ م . كنا جماعة من الأصدقاء لا يكاد يفترق بعضنا عن بعض ، وسألت صديق الدكتور أحمد زكى عن هذا الشيخ الشاب الوقور الذى زارنا لأول مرة ، وعرفت اسمه عند ذلك ، وكانت الحرب الأولى تعصف بالعالم ، فكنا نجتمع فى ترحاتنا ومنازلنا فى شىء يشبه التخفى خشية من إثارة شكوك الحكام . وكانت أحاديثنا تدور حول البلاد وما أصابها وما يمكن أن نقوم به للنهوض بها . وكان أحمد أمين يخطر بيننا بقامته الفارعة ويتحدث بصوته الهادئ . وكان يقع فى قلوبنا جميعا موقع الإعزاز والاحترام . وما تزال صورته الأولى ماثلة أمامى فى عمامته وجبته ونظارته التى كان فيها شىء يسترعى النظر . وأذكر ما وقع فى نفسى من سماته العقلية : إخلاص وصدق وصراحة ورقة قلب وعدل فى الأحكام واعتدال فى وجهة النظر ، ما عرفته يكابر فى أمر ظهر له وجه الحجة فيه .

كنا عزمنا على تكوين جماعة وطنية وقسمناها إلى لجان ، منها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فلم تساعدنا الظروف إلا على تحقيق هذه اللجنة ، وقد وجدنا فى أحمد أمين رجلا نثق فى قيادته ، فاخترناه رئيسا لهذه اللجنة . وبدأت اللجنة تتشكل فى صورتها الحية بعد أن كانت فكرة ، وأرختنا بالانضمام إليها فى سنة ١٩١٤ م . ونمت لجنة التأليف نموها الطبيعى برئاسة أحمد أمين الذى كان انتخابه يتجدد فى كل عام ، مدى أربعين عاما ، لأنه استطاع أن يكون من أعضائها شخصا واحدا ، متسجم التفكير ، صريح المسلك ، وكان هو السر فى هذا الانسجام . ولعل هذه اللجنة هى نقطة البداية التى بدأ فيها رسالته الثقافية ، وأمل التوفيق الأكبر يرجع إلى أن أحمد أمين وجد فى اللجنة ما يتلاءم و إحساسه نحو الرسالة المقدورة له .

ونحن إذا تأملنا اليوم حياته — بعد أن أراد الله أن تصبح — لمحنا أن بدايته الأولى تتصل بخواتيمها، وأنه عندما لحق بالرفيق الأعلى سنة ١٩٥٤م كان يواصل رسالته التي بدأها سنة ١٩١٤ م. وهذه الرسالة كانت اتصالا برسالات سابقة: رسالة محمد عبده وقاسم أمين وعلي مبارك وعبد الرحمن الكواكبي الذين كانوا يؤمنون بأن الرسالة الوحيدة الكفيلة بنهضة مصر والعرب هي تثقيف العقول والنفوس، تمهيدا لخلق جيل جديد يحيا حياة جديدة. فقد بدأ الكواكبي منذ سبعين عاما يدعو إلى نشر الثقافة، لأن هذا هو الطريق الطبيعي، للنهضة ونادى بتعليم أبناء الأمة عن طريق المدارس والصحف والتأليف .

وكان علي مبارك يعمل على نشر الثقافة العقلية والنفسية، مؤمنا بأن هذا هو الطريق إلى النهوض .

وكان قاسم أمين ينادي في كتابيه بأن الأساس الصحيح للنهضة هو التربية التي تشمل الجنسين، وأنها هي السبيل المؤدي إلى الحرية والاستقلال، وكذلك كان محمد عبده ينادي بتحرير العقول والنفوس .

وكان أحمد أمين حلقة في هذه السلسلة، واستمر على أداء رسالته أربعين عاما، إلى أن وافاه الأجل وهو ما يزال قائما بأدائها .

والصفة المميزة لأحمد أمين أنه انتقل في أداء الرسالة من مرحلة النداء والدعوة إلى مرحلة التحقيق، فبدأ معلما بالمعنى الأوسع: معلما للأمة، وبقي طوال حياته معلما. وسوف تذكره الأجيال على أنه معلم، يفكر ليعلم، ويتحدث ليعلم، ويقرأ ليعلم، ويؤلف ليعلم. اختاره المغفور له أستاذه عاطف بركات معلما في مدرسة القضاء الشرعي فقضى معه سنوات كان لا يزال يذكرها مترنم بذكرها. ثم انتقل إلى القضاء، فما زال يحن إلى التعليم حتى عاد إليه في الجامعة. وفي كتاب "حياتي" أنه بدأ حياته معلما. وهو يشبه أولئك المعلمين الكبار الذين يرجع إليهم الفضل في حركة إحياء أوربا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. هؤلاء جاهدوا في نشر الثقافة من أجل رغبتهم في إيقاظ الوعي وتحرير العقول والنفوس من جمود العصور الوسطى وإنشاء حياة جديدة بعيدة عن سيطرة الأوهام وطغيان الملوك. كان هؤلاء المعلمون لا يهتمون بالتخصص الضيق في ناحية محدودة لأن قصدهم الأول تفتيح الأذهان وإحياء النفوس، فكانت جولتهم هي التي مهدت لمن بعدهم ممن أدوا رسالتهم. فأحمد أمين يشبه هؤلاء الذين كان لهم الفضل في إيقاظ شعوبهم أمثال: إرزم. متين. بيلون. وجونسون ودورو مؤلفي دائرة المعارف، كان إيمانه بنشر الثقافة مثل إيمانه بهؤلاء. وكانت حياته مثل حياتهم وقفا على أداء تلك الرسالة .

سأل هنري الثاني ملك فرنسا الكاتب الفرنسي: هل تحب كتبك؟ فأجاب: إنما أنا كتابي .

وكان يكتب في كل فن وفي كل معنى، لأنه كان يريد أن يعلم الناس في كل فن وفي كل معنى، وتعرض لآلام كثيرة حتى إن فولتير بعث إليه برسالة تهكمية، ولكنه بقي خالدا؛ لأنه أدى رسالته في نشر المعارف، وحرك شعب فرنسا إلى التحرر، وهو من الرواد الأوائل والآباء الروحيين للثورة الفرنسية .

وهكذا كان أحمد أمين فى حماسته وإيقاظه فى نشر الوعى عن طريق الثقافة. كان فى اتساع جولاته الثقافية وقلة احتفائه بالتخصص يشبه منن ودورو وارنم، على اختلاف ما بينه وبينهم فى الظروف.

ولست أريد هنا أن أعرض لمعنى التخصص أو التعميم، بل أحب أن أقول إنه بذكائه كان يضرب فى ميادين شتى، لم يتخصص فى الفلسفة ولكنه ترجم قصة الفلسفة. لم يتخصص فى الأخلاق ولكنه ألف فى الأخلاق. ولم يكن يتخصص فى فن من فنون الأدب أو اللغة ولا فى دراسة ضيقة، ولكنه ألف موسوعة عظيمة فى دراسة شاملة للحياة الفكرية والعقلية للإسلام: فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام. وكان يود لو أتم هذه السلسلة بما بقى من العصور الأخرى. فلما لم يستطع أخرج كتابا فى حاضر الإسلام.

وكان يضرب فى دروب شتى: شارك فى تأليف قصة الأدب فى العالم وعكف على نشر كثير من الكتب القديمة التى رأى أنها تحقق غايته فى إحياء التراث العربى القديم وتصل ثقافتنا الحاضرة بأصول ثقافتنا الماضية. وإلى جانب هذا النشاط الخاص كان فى لجنة التأليف روحا وإلهاما.

وإذا كانت اللجنة قد أضافت إلى المكتبة العربية مجموعة تعد بالمئات، فإن أحمد أمين كان ماثلا فى ثنايا كل كتاب ووراء كل مشروع.

أخرجت اللجنة سلسلة الأعلام الأول وسلسلة المعارف العامة وسلسلة الأدب وسلسلة الفكر الحديث، وكان المرحوم قبل وفاته يتحمس لإخراج سلسلة للثقافة الشعبية. كان لا يعرف الضعف ولا يستسلم للصدمات، يحب الإقدام ولا يركن إلى الدعة والخمول. ولا أنسى أن أشير إلى فضله فى إنشاء المجلتين الأدبيتين الرسالة والثقافة. وكان وفصولا كثيرة، بجهوده فيهما واضحا، ونشر فيهما مقالات كان منها كتاباه: فيض الخاطر. وزعماء الإصلاح.

ولا أستطيع أن أغفل ذكر فضل أحمد أمين فى ناحية أخرى، فقد كان يتدبشخصيته الخصبة إلى وزارة المعارف حيث كان له فضل تأسيس إدارة الثقافة العامة التى جعل منها أداة للإشعاع والتحريك فى نواح عدة، وكان له الفضل فى إنشاء الجامعة الشعبية، ثم كان له فضل فى وضع الأسس الأولى لإدارة الثقافة العامة بالجامعة العربية. والثقافة العربية مدينة له أكبر الدين بمشروع إنشاء مكتبة من الأفلام الصغيرة التى تسجل فيها نفائس المخطوطات ونوادر المؤلفات العربية القديمة.

ولم يكن بعيدا عن الحركة السياسية وإن كان يفضل ألا يقتحم غمارها، ولم يكن بعيدا عن الإصلاح. وكان اتصاله بالسياسة بمقدار ما يساعده على تحرير العقول والنفوس. كان يؤمن بالحرية، ولكنه كان يرى أن الأفراد ينالونها إذا سموا إلى إدراك معناها.

عاش أحمد أمين حياة مليئة خصبة لأنه أراد أن تكون حياته مليئة خصبة، وقد كان

من أحب كلماته إليه عند ذكر أفذاذ العظماء الذين وهبوا حياتهم لخير الإنسانية أن يقول عنهم : إنهم عاشوا حياة عريضة . وكثيرا ما سمعته يتمنى تلك الأمنية لنفسه في صوت خافت ، كأنه يحدث بها الأقدار في ضراعة وخشوع .

وكان أكثر ما يخشاه في آخر أيامه أن تمتد به الحياة طولا بغير أن تحتفظ بعرضها وخصبها . فلم يرض أن يستمع إلى نصح المشفقين عليه من الجهد ، وكان يجيبهم قائلا : إنه لا يريد الحياة إلا من أجل ذلك الجهد .

وقد رأيته مرارا كما رآه كثير من الأصدقاء في أيام مرضه ، عندما كان تغشى عليه فقد البصر وهو طريح الفراش ، وكان من أشد آلام المرض عليه أنه قضى أيامه ولياليه ساكنا لا يمتع نفسه بمواصلة العمل وبذل الجهد .

وأغلب ظني أنه كان في ساعاته الأخيرة يشعر بسعادة كبرى ، إذ تبين له آخر الأمر أن أمنيته قد تحققت ، وأن خواتيم حياته مثل أوائلها : عريضة عظيمة الخصب ، كما كان يريد .

رحم الله أحمد أمين رحمة واسعة ، وعوضنا في فقده خير العوض .

القسم الخامس

مصطلحات علمية أقرها المجمع

مصطلحات الكيمياء[1]

حديد زهر — حديد صلب : Cast iron

هو الحديد الذى يحتوى على الكربون بنسبة أعلى من ١٫٧ ./. ولا يمكن طرقه ويشكل فقط بالإسالة أو الصب .

متميع — متسيل : Deliquescent

صفة المادة الصلبة التى تمتص الماء من الهواء فتتميع فتسيل مثال ذلك كلوريد الكلسيوم .

حامض دهنى : Fatty acid

هو حامض عضوى أحادى القاعدية يتألف جزيئه من مجموعة الكربوكسيل متحدة مع سلسلة إيدروكربونية .

خميرة : Ferment

هى العامل الذى يسبب عملية التخمر .

تخمر (وفى الشام يقولون اختمار) . Fermentation

هو تحلل المواد العضوية بواسطة انزيمات الكائنات الحية مثل تحلل السكر بواسطة الخميرة لتكوين الكحول وثانى أكسيد الكربون .

مرشح : Filter

الجهاز المستخدم فى عملية الترشيح .

رشح — ترشح : Filter, to

فصل الأجسام الصلبة العالقة فى سائل باستخدام مادة مسامية تسمح للسائل بالنفاذ خلالها محتجزة الأجسام العالقة ، والجسم الصلب ترشح .

ورقة الترشيح : Filter-paper

ورقة مسامية غير مصقولة تستخدم للترشيح .

مكبس الترشيح : Filter-press

جهاز يستخدم للترشيح فى المصانع عادة بدفع السائل المراد ترشيحه خلالها بواسطة مضخة

---

(١) هذه المصطلحات أقرتها لجنة الكيمياء بالمجمع ووافق عليها مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والعشرين .

راشح : Filtrate

السائل الرائق الناتج من عملية الترشيح .

ترشيح — ترشّح : Filtration

هى عملية الترشيح .

زيت ثابت : Fixed oil

هو الزيت الذى لا يتبخر .

قُشارة — بِشارة : Flake

المادة المبشورة التى تكون على شكل قطع صغيرة رقيقة .

قشر — بشر : Flake, to

قطعها رقائق صغيرة .

قُشارى — بِشارى : Flaky

صفة المادة المبشورة .

اللهب : Flame

هى النار التى تنتج من توهج غاز أو بخار مشتعل وغالبا يكون ذلك نتيجة تأكسد .

درجة الومض : Flash point

هى أقل درجة حرارة يمكن عندها إشعال بخار مادة اذا اتصلت بشعلة إذا هو اتصل بالهواء .

الإسالة : Fluidification

هى العملية التى تحيل الجسم الصلب إلى سائل أو غاز .

السيولة : Fluidity

صفة الجسم السائب ، قد تطلق على الرقم الدال على عكس اللزوجة .

فلورين — فلور : Fluorine

عنصر غازى لونه أخضر باهت وزنه الذرى ١٩ . وعدده الذرى ٩ ودرجة انصهاره (— ٢٢٣ م) ودرجة غليانه (—١٨٨,٣ م .) فى معدل الضغط ودرجة الحرارة .

حامض النمل — حامض نمليك — حامض الفورميك : Formic acid

حامض عضوى صيغته الكيمائية يد ك ا ا يد . وهو سائل كاو عديم اللون رائحته نفاذة . يوجد عادة فى النمل و بعض الحشرات والنباتات ينصهر فى درجة ٨,٦°م و يغلى فى درجة ١٠٠,٨°م

صيغة : Formula

هى رمز لجزئ يدل على نوع وعدد الذرات الداخلة فى تركيبه . فالنـــوع يرمز له بحروف والعدد بأرقام . مثال ذلك حامض الكبريتيك صيغته الكيميائية يد٢ كب ا٤ .

نمليل — فورميل : Formyl

هى مجموعة يد ك ا المشتقة من حامض الفورميك .

السباكة : Founding

هى عملية تسييل المعادن والأشابات بصهرها وصبها .

مسبك : Foundry

المكان الذى تتم فيه عملية السبك .

سكر الفاكهة — فركتوز : Fructose = Levulose

نوع من السكر أبيض متبلور حلو الطعم ينصهر فى درجة ٩٥°م يوجد فى الفاكهة الناضجة وفى رحيق الأزهار وعسل النحل وصيغته الكيميائية ك٦ يد١٢ ا٦

قمع : Funnel

مخروط أجوف من الزجاج أو غيره تمتد قمته على شكل أنبوبة ، ويستخدم عادة فى الترشيح أو فى ملء زجاجة بسائل .

جيم — جاما — غما : Gamma

الحرف الثالث من حروف هجاء اللغة اليونانية .

الحديد الجيمى : Gamma iron

صورة من صور الحديد تكون ثابتة بين درجتى ٩٠٦ — ١٤٠٤°م .

غاز : Gas

حالة من حالات المادة الثلاث تكون عادة شفافة تميز بأنها تشغل أى حيز توضع فيه وتتشكل بشكله كالهواء والأكسجين وثانى أكسيد الكربون فى درجات الحرارة والضغط العاديين .

غاز الفحم : Gas, coal

مخلوط من الغازات يستعمل فى المواقد والإنارة ينتج من تقطير الفحم الحجرى بمعزل عن الهواء وهو يحتوى على الغازات الآتية :

الإيدروجين والميثان . أول أكسيد الكربون . أولفين . أستيلين . نتروجين . ثانى أكسيد الكربون . اكسيجين .

غاز الاستصباح : Gas—Lighting

كل غاز يستخدم فى الإضاءة بإشعاله .

التغويز : Gasification

هى العملية التى يتم بها تحويل مادة إلى الحالة الغازية .

أذهب — ذهّب : Gild, to

غطى أو طلى جسما بالذهب أو بمادة تشبهه فى شكلها الظاهرى .

حامض الخل الجليدى : Glacial acetic acid

هو حامض الخل الصرف ، وسمى كذلك لأنه يتجمد إذا انخفضت درجة حرارة الجو عن درجة ١٦٫٨° م .

جلسريد : Glyceride

هو الإستر الذى شقه الكحولى هو الجلسرين بشقه الآخر من الحوامض العضوية ومنها تتألف الزيوت النباتية والحيوانية .

جلسرين : Glycerol, Glycerin

مركب عضوى رمزه الكيميائى (ك يد٢ أ يد)٢ ك يد أ يد . وهو سائل لزج عديم اللون حلو الطعم كثافته ١٫٢٦٥ عند درجة ١٥°م ودرجة انصهاره ١٧م° . وهو يتحد بالأحماض العضوية وينشأ عن اتحادها استرات .

ذهب : Gold

عنصر ذو أصفر اللون وزنه الذرى ١٩٧,٢ وعدده الذرى ٧٩ كثافته ١٩,٤

حَبَّب : Granulate, to

جعل المـادة على شكل حبيبات .

حبيبة (ج . حبيبات) : Granule

هى الحب الصغير .

زاج أخضر : Green vitreol

بلورات كبريتات الحديد وز الخضراء رمزها الكيميائى كب أ٤ ح — ٧ (يد٢ أ)

مجموعة : Group

تطلق فى الكيمياء على عدد من الذرات تتحرك فى التفاعلات الكيميائية دون انفصام بينها فكأنما هى ذرة واحدة ، مثال ذلك المجموعة الايدروكسيدية .

جبس : Gypsum

هو كبريتات الكلسيوم المتبلور ورمزه الكيميائى كب أ٤ كا — ٢ (يد٢ أ) ويكلس وعندئذ يستخدم فى البناء .

صلد : Harden, to

جعله صلبا أو زاد صلابته ، ويصلد الحديد بتسخينه إلى درجة عالية ثم تبريده فجأة بغمسه فى المـاء أو الزيت أو الرصاص المنصهر .

صلادة : Hardness

صفة الجسم الصلد .

هليوم : Helium

عنصر غازى نادر عديم اللون خامل فى تفاعله وزنه الذرى ٤,٠٠٣ وعدده الذرى ٢

ممسك — ممساك : Holder

"مايمسك به" .

سلسلة متشاكلة : Homologous series

مجموعة من المركبات الكيميائية تتشابه في خواصها الكيميائية بشكل عام وتتغير خواصها الكيميائية بشكل منتظم . ويمكن أن تمثل صيغتها الجزيئية بقانون عام بحيث يكون الفرق بين الصيغة الكيميائية لجزئ أى مركب والجزئ الذى يليه ثابتا مثل سلسلة البرافينات الدهنية وتمثل فى القانون العام لكن يد ٢ن + ٢

متشاكل : Homologue

كل فرد من أفراد السلسلة السابقة

إماهة : Hydration

هى عملية اتحاد الماء بمادة ما

أدروجين : Hydrogen

عنصر غازى عديم اللون والطعم والرائحة وهو أخف العناصر — وزنه الذرى ١,٠٠٨ وعدده الذرى ١

كبريتور الإدروجين — كبريتيد الادروجين : Hydrogen sulphide

مركب كيماوى من الإدروجين والكبريت رمزه (يد٢ كب) وهو غاز ذو رائحة كريهة يتكون من تعفن المواد العضوية المحتوية كبريتا متحدا به كيميائيا . ويحضر فى العمل بإضافة الأحماض المعدنية إلى كبريتيدات الفلزات .

درجن : Hydrogenate, to

درجنة : Hydrogenation

عملية اتحاد الإدروجين بمادة ما كإضافة الإدروجين إلى الزيوت (باستخدام النيكل كعامل مساعد) لتجمد .

يحلمئ (يحلل بالماء) : Hydrolyse, to

الفعل الدال على المصدر التالى .

حلمأة (التحليل بالماء) : Hydrolysis

هى أن يتحلل ملح باتحاده بالماء إلى الحامض والقاعدة المكونين له . وبذلك يصير محلول هذا الملح فى الماء قلويا أو حامضيا ويتوقف ذلك على درجة تأين كل منهما .

حمض هيك : Hyenic acid

حمض عضوى دهنى متبلور رمزه الكيمائى ($ك_{٢٥}$ $يد_{٥٠}$ $أ_{٢}$) . ويوجد فى دهن الضبع وفى دهن الصوف وغيرها .

مسترطب : Hygroscopic

صفة المادة التى لها شراهية لامتصاص الماء ككلوريد الكالسيوم وخامس كلوريد الفسفور وحامض الكبريتيك المركز .

أكثر أسموزيا : Hypertonic

أقل أسموزيا : Hypotonic

أورى — أوقد : Ignite, to

الفعل الدال على العملية التالية .

الإيراء — الإيقاد : Ignition

هو إشعال مادة برفع درجة حرارتها .

نقطة الاتقاد : Ignition-point

هى أقل درجة الحرارة التى تشتعل عندها المادة .

إنديوم : Indium

عنصر فلز أبيض نادر . وزنه الذرى ١١٤,٧٦ وعدده الذرى ٤٩ وكثافته ٧,٣٦٢ ومركباته نادرة ويستخدم أحيانا فى الطلاء بالكهربية .

يوديد — يودور : Iodide

مركب كيماوى شقه الحامضى اليود .

يوّد : Iodinate, to

الفعل الدال على إدخال اليود فى مركب ما .

اليود : Iodine

عنصر لافلز صلب لونه بنفسجى داكن وله بريق ، يتسامى إذا سخن ، وزنه الذرى ١٢٦,٩٢ وعدده الذرى ٥٣ وكثافته ٤,٩٤٨

القيمة اليودية : Iodine Value

قياس لدرجة عدم التشبع فى الزيت أو الدهن وتعرف بأنها وزن اليود الذى يتحد بمائة جرام من الزيت أو الدهن تحت ظروف محددة .

أوريديوم : Iridium

عنصر فلز أبيض يشبه البلاتين وزنه الذرى ١٩٣٫١ وعدده الذرى ٧٧ وكثافته ٢٢٫٤٢

حديد : Iron

عنصر فلز وزنه الذرى ٥٥٫٨٥ وعدده الذرى ٢٦ وكثافته ٧٫٨٥ ودرجة انصهاره ١٥٣٠° م ويغلى عند ٣٢٠٠° م

خبث الحديد : Iron, slag

الشوائب المنصهرة التى تطفو على سطح الحديد المنصهر أثناء تحضيره من خاماته وبذلك يمكن فصلها .

متساوى الأسموزية : Isotonic, isosmotic

المحلول الذى يساوى آخر فى الأسموزية . وتطلق فى الطب عندما يكون الضغط الأسموزى لمحلول مساويا للضغط الأسموزى لمصل الدم .

كريبتون : Krypton

عنصر غازى خامل نادر يوجد بنسبة ضئيلة فى الجو . وزنه الذرى ٨٣٫٧ وعدده الذرى ٣٦

حمض الغار — حمض الريحان — حمض اللوريك : Lauric acid

حمض عضوى دهنى صيغته الكيميائية $C_{11}H_{23}COOH$ ويوجد متحدا فى زيت بعض النباتات كالغار أو الريحان وزيت جوز الهند .

غاريل — لوريل : Lauryl

المجموعة العضوية المشتقة من الحامض السابق .

رصاص : Lead

عنصر فلز لين وزنه الذرى ٢٠٧٫٢١ وعدده الذرى ٨٢ وكثافته ١١٫٣٤ وينصهر عند ٣٢٧° م

السيلقون — الاسرنج (أ.س ص ٢٥٨) : Lead red

هو أكسيد الرصاص الأحمر صيغته الكياوية رص$_{٣}$أ$_{٤}$ ويستخدم فى الطلاء وكعامل مؤكسد .

اسفيداج [أ.س. (١/ص٢٥٨)] : Lead white

هو كربونات الرصاص القاعدية وهى مادة بيضاء تستخدم فى أعمال الطلاء وصيغتها الكياوية عادة (٢رصك أ$_{٣}$ — رص(أيد)$_{٢}$) .

جير — أكسيد الكلسيوم : Lime

مادة بيضاء تحضر بتسخين الحجر الجيرى فى قمائن خاصة لدرجة حرارة مرتفعة وإذا أضيف إليه الماء تحول إلى ايدروكسيد الكلسيوم وهو الجير المطفأ ويستعمل ملاطا .

الإسالة : Liquefaction

عملية التحويل إلى الحالة السائلة وتطلق عادة عند تحويل الغازات إلى سوائل .

سائل : Liquid

حالة من حالات المادة الثلاثة وسط بين الصلابة والغازية ، وللسوائل حجم ثابت وليس لها شكل ثابت أى تتشكل حسب الإناء الحاوى لها .

مرتك (القاموس) : Litharge

هو أول أكسيد الرصاص صيغته الكيميائية (رص أ) وهومسحوق أصفر ينصهر عند درجة ٨٨٨°م ويستخدم فى صناعة الزجاج والفخار وكمادة ملونة .

لِثْيوم : Lithium

عنصر فلز خفيف نشط وزنه الذرى ٦٫٩٤ وعدده الذرى ٣ ينصهر عند درجة ١٨٦°م ، كثافته ٠٫٥٣٤ .

الرجّاجة : Machine-shaking

هى مكنة تستخدم فى عمليات الرج .

مغنيسيا [أ.س (١/٣٦٧)] : Magnesia

أكسيد المغنيسيوم وهو مسحوق أبيض يحضر بتسخين كربونات المغنيسيوم صيغته الكيميائية (مغ أ) .

مغنيسيا ألبا : Magnesia Alba

محلول كربونات المغنيسيوم القاعدية رمزها الكياوى ٤ مغ ك أ$_{٣}$ مغ (أيد)$_{٢}$ — ٥يد$_{٢}$أ .

مغنيسيا مائية : Magnesia fluid

محلول بيكربونات المغنيسيوم .

مغنيسيوم : Magnesium

عنصر فلز أبيض فضي خفيف كثافته ١,٧٤ وينصهر في ٦٥١°م وزنه الذرى ٢٤,٣٢ وعدده الذرى ١٢ يشتعل بوهج شديد .

طروقية : Malleability

الحالة الدالة على الصفة التالية :

طروق : Malleable

صفة للفلز أو الأشابة التي يمكن تشكيلها بالطرق إلى صفائح رقيقة .

ملتاز — أنزيم سكر الشعير : Maltase

أنزيم يوجد في الخميرة وبعض الكائنات الحية الأخرى وهو يميء سكر الملتوز ويحوله إلى سكر الجلوكوز .

سكر الشعير — ملتوز : Maltose

نوع من السكر صيغته الكيماوية [$ك_{١٢} يد_{٢٢} أ_{١١} - يد_{٢} أ$] يمكن الحصول عليه من النشا والمولت وهو أقل حلاوة من سكر القصب .

منجنيز : Manganese

عنصر فلز وزنه الذرى ٥٤,٩٣ وعدده الذرى ٢٥ وكثافته ٧,٢ ينصهر عند ١٢٠٧°م ، كثيرا ما يستخدم في تحضير بعض أنواع الحديد الصلب .

رخام : Marble

هو كربونات الكلسيوم المتبلور الموجودة في الطبيعة والتي يمكن صقل سطحها بسهولة وهو يوجد على أشكال .

حامض المرجريك : Margaric acid

حامض دهني صيغته الكيماوية $ك_{١٧} يد_{٣٤} أ_{٢}$ ينصهر عند درجة ٦٠°م ويغلي عند ٢٢٧°م ، لا يذوب في الماء ويذوب في الكحول والإيثير .

مرجريل : Margaryl

المجموعة الحمضية المشتقة من الحمض السابق .

حمض الميليسيك : Melissic acid

حمض دهنى أحادى القاعدية صيغته الكيماوية ك$_{٣٠}$ يد$_{٦٠}$ أ$_{٢}$ يوجد فى شمع العسل وينصهر عند درجة ٩٠° م ، لايذوب فى المـاء ويذوب فى الكحول والأيثير .

انصهار — الصهر : Melting

هو تحول المـادة من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة .

زئبق : Mercury

عنصر فلز سائل فى درجات الحرارة العادية يتجمد عند درجة —٣٨,٨٧° م ، ويغلى عند درجة ٣٥٦,٩° م ، وزنه الذرى ٢٠٠,٦١ وعدده الذرى ٨٠

ميتا : Meta

سابقة مشتقة من اليونانية تدل غالبا على :

١ — مشتقات البنزين المحضرة بالإحلال فى الوضع الأول والثالث .

٢ — بعض المركبات المتبلمرة مثل " متا ألدهيد " .

٣ — الأحماض المحتوية فى تركيبها على أقل نسبة من المـاء عن نظائرها مثل حمض الميتافوسفوريك .

٤ — بعض مشتقات المركبات المعقدة مثل الميتابروتين .

حمض البنزويك المثيل الميتوى : Meta methyl benzoic acid

المركب المشتق من حمض البنزويك بإحلال مجموعة المثيل فى الموضع الميتوى .

فلز (معدن) : Metal

هو عنصر يتميز بريقه المعدنى وقابليته للطرق والسحب وأنه موصل جيد للحرارة والكهربا كالنحاس والفضة .

فلزى (معدنى) : Metallic

صفة منسوبة للفلز .

المثيل : Methyl

هى المجموعة الأحادية التكافؤ صيغتها الكيماوية ك يد$_٣$ وتوجد متحدة مع مجموعة الإيدروكسيد فى الكحول المثيل وفى مجموعة الكربوكسيل فى حمض الخل .

معدن (معدنى ج معدنيات) : Mineral

المركبات غير العضوية التى توجد فى الأرض وقد تطلق على الحفريات المتخلفة من مواد عضوية كالزيت المعدنى والفحم والكهرمان .

نفط معدنى : Mineral or petroleum Naphtha

هو كل زيت معدنى يستعدن من الأرض .

زيت معدنى : Mineral oil

زيت مستخرج من باطن الأرض .

حديد غفْل : Pig iron

هو الحديد المحضر من خاماته قبل تنقيته .

بلمرة : Polymerization

هو تفاعل يتحد فيه جزيئان أو أكثر من نفس المادة بعضهما مع بعض ليكونا مركبا آخر قد يمكن تحويله إلى المادة الأصلية مثل :

٣ ك يد$_٣$ ك ا يد = (ك يد$_٣$)$_٣$ ك$_٣$ أ$_٣$ يد$_٣$

يبلمر : Polymerize, to

فولاذ : Steel iron

هو الحديد الذى يحتوى على كمية من الكربون لاتجاوز ١٫٧ ٪ وتتنوع أنواعه بإضافة عناصر أخرى كالنيكل والكروم والتنجستن ... الخ . ويتميز هذا النوع بصلابته ومتانته .

القسم السادس

أخبار مجمعية

تنسيق العمل بين مجمع اللغة العربية
والمجمع العلمى العربى بدمشق

كان لإعلان الجمهورية العربية المتحدة التى تم بها الاتحاد بين جمهوريتى مصر وسوريا صدى بعيد فى كل من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمى العربى بدمشق ، فاقتضى الأمر النظر فى قانون كل من المجمعين تمهيدا لتنسيق العمل بينهما ، وفى ١١ يونيه سنة ١٩٥٨ أصدر السيد الأستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزى قرارا وزاريا بتأليف لجنة لاقتراح التشريعات اللازمة للتنسيق .

وهذا نص القرار :

قرار وزارى

وزير التربية والتعليم

بعد الاطلاع على المباحثات التى جرت بشأن تنسيق العمل بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمى العربى بدمشق .

وعلى التشريعات والمراسيم التى تحدد نهج كل من المجمعين وعملهما للمحافظة على سلامة اللغة العربية ونشر تراثها وتيسير الانتفاع بها .

قـرر :

المـادة الأولى — يبقى مجمع اللغة العربية بالإقليم المصرى والمجمع العلمى العربى بالإقليم السورى فى مثل وضعهما الحاضر ، ويعملان للغرض المشترك فى الإقليمين ، على أن يلتقيا مرة أو مرتين كل سنة فى الإقليم السورى على هيئة مؤتمر تصدر عنه قرارات المجمع .

المـادة الثانية — يكون لهذا المؤتمر — الذى ينوب عن المجمع الموحد — مكتب دائم يتولى تنسيق العمل بين المجمعين .

المـادة الثالثة — تعتبر هذه المبادئ خطوطا رئيسية لتفصيلات فرعية تتألف لجنة مشتركة من المجمعين لوضعها واقتراح التشريعات اللازمة لهـا .

المادة الرابعة — تتألف اللجنة المشار اليها فى المادة السابقة من السادة :

الأستاذ أحمد لطفى السيد ... ... رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو من ينوب عنه

الدكتور منصور فهمى ... ... كاتب سر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأستاذ محمد شفيق غربال ... ... عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأستاذ زكى المهندس ... ... عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأستاذ خليل مردم بك ... ... رئيس المجمع العلمى العربى أو من ينوب عنه

الأستاذ الأمير جعفر الحسنى ... ... كاتم سر المجمع العلمى العربى بدمشق

الدكتور جميل صليبا ... ... عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى ... ... عضو المجمعين

الأستاذ محمد سعيد العريان ... ... مدير الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم

المادة الخامسة — على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار

وزير التربية والتعليم

كمال الدين حسين

وفى خلال شهر نوفبر سنة ١٩٥٨ عقدت اللجنة جلساتها بدار المجمع وانتهت إلى مشروع قانون المجمع العربى لجمهورية العربية المتحدة وأبلغته الى السيد وزير التربية والتعليم المركزى .

تيسير الكتابة العربية

١ ــ قرارات التيسير

تلقى المجمع من السيد الأستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزى كتابا فى شأن تيسير الكتابة العربية هذا نصه :

السيد الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية

تحية طيبة، وبعد ، فأرجو أن يكون مؤتمر المجمع المحدد موعده فى الشهر المقبل فرصة ملائمة لاتخاذ رأى نهائى فى موضوع تيسير الكتابة العربية نتيجة لما تم من مباحث فى هذا الشأن خلال السنوات الماضية فى مجمع اللغة العربية وغيره من جهات البحث فى الأقطار العربية

وإن وزارة التربية والتعليم اذ تأمل أن يصلها قرار فى هذا الشأن فى وقت قريب ، لتقدر أعظم التقدير الفائدة التى تعود منه على المتعلمين من أبناء الأمة العربية فى معاهد التعليم المختلفة .

وتفضلوا بقبول عظيم الاحترام

١٩٥٨/١١/٢٠

وزير التربية والتعليم

كمال الدين حسين

وبناء على ذلك قرر المجلس إحالة الأمر إلى لجنة تيسير الكتابة لكى توافيه بما تم من مراحل فى هذا الموضوع، فوافته اللجنة بتقرير فى هذا الصدد ، وبتاريخ ٢٥ من ديسمبر سنة١٩٥٨ ؛ عقد المؤتمر جلسته الرابعة وشهدها السيد الأستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزى ، ودارت مناقشة فى شأن تيسير الكتابة انتهت إلى القرارات الآتية :

وافق المؤتمر على اتخاذ القرارات المحالة من المجلس إلى المؤتمر أساسا ، وهذا نصها .

أولا ــ يلتزم الآن الشكل الضرورى فى الطباعة وخاصة فى كتب المراحل الأولى للتعليم .

ثانيا ــ يترك الآن موضوع البحث فى الكتابة اليدوية ، تبقى على ما هى عليه ، فهى موجزة مختزلة و يمكن تشكيلها عند الضرورة .

ثالثا ــ الاقتصار الآن على تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة باختصار صور الحروف والاستغناء عن المتداخل منها والمنتظر .

رابعا — يلتزم الشكل فى الطباعة وتشير اللجنة بالبدء بالتزام ذلك فى كتب التعليم فى مراحل التعليم العام .

خامسا — يوضع النقط فى موضع ثابت نفيا للاشتباه .

سادسا — يوضع الشكل فى موضع ثابت ، وأيضا يراعى فيه الفن الخطى بحيث لا يطول السطر أفقيا ولا بأس بأن يمتد فى الطول قليلا .

سابعا — توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التى لا مقابل لها فى العربية ، ويطلب إلى لجنة اللهجات بالمجمع دراسة هذا الموضوع وتقديم مقترحات فيه .

ثامنا — يدبر ما يلزم من التكاليف لتطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة وإجراء تجاربها الفنية لإدخال التعديلات عليها تمهيدا لوضعها فى الصيغة المقبولة .

وكذلك وافق المؤتمر على ما يأتى :

أولا — تتولى لجنة تيسير الكتابة بالمجمع تطبيق الطريقة المقترحة والقـــرارات السابقة وتجربتها وعرضها على المجلس لأخذ رأيه تمهيدا للعرض على المؤتمر .

ثانيـا — يضم إلى اللجنة من أعضاء المجمع الأستاذ حامد عبد القادر والدكتور عبد الحليم منتصر .

ثالثا — يضم إلى اللجنة من ترى وزارة التربية والتعليم ضمهم إليها للمشاركة فى عملها والاستعانة بالخبراء الفنيين فى الخط والطباعة .

٢ — قواعد الشكل فى الكتب المدرسية

ولما أبلغت هذه القرارات الى السيد الأستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزى ، أجاب أنه أعطى التعليمات اللازمة لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ ، مع ضم الأعضاء المختارين الى لجنة تيسير الكتابة ، وكذلك الخبراء .

وبعد ذلك أبلغت الوزارة المجمع أسماء الأعضاء الممثلين لها .

واجتمعت اللجنة المشتركة ، وضمت اليها بعض خبراء الخط والطباعة .

وشرعت اللجنة فى تطبيق الفقرة الأولى من قرارات المؤتمر ، ونصها ما يأتى :

أولا — يلتزم الآن الشكل الضرورى فى الطباعة ، وخاصة فى كتب المراحل الأولى للتعليم .

وعرض على اللجنة ما أبلغ اليها من وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بهذه الفقرة وهو اقتراح إعداد العدة لطبع الكتب اللازمة للمرحلة الابتدائية فى هذا العام على أساس الشكل الكامل، وفيما يختص بالكتب بعد المرحلة الابتدائية يكتفى بشكل الكلمات الصعبة التى يحتاج فى صحة نطقها إلى الشكل .

فرأت اللجنة أن تؤلف من بين أعضائها لجنة فرعية تتولى وضع قواعد للشكل فى الكتب المدرسية . وأحيل إلى هذه اللجنة الفرعية مذكرة تلقاها المجمع من الوزارة ، أعدها المختصون فى اللغة العربية ، وهى تتعلق بضبط الكتب المدرسية بالشكل .

وتابعت اللجنة الفرعية جلساتها ، وأحاطت علما بما بذل من جهود سابقة ، فى وضع قواعد الشكل ، قام بها العلماء والباحثون ، ومن بينهم بعض أعضاء المجمع فى عهود ماضية .

وانتهت هذه اللجنة الفرعية الى اختيار قواعد للشكل فى مراحل التعليم المختلفة الابتدائية والإعدادية والثانوية .

وأحيلت هذه القواعد الى اللجنة العامة لتيسير الكتابة ، فنظرت فيها ،وأدخلت عليها من التعديل ما رأته ملائما ، وقررت بجلستها المنعقدة فى ١٤ مايو سنة ١٩٥٩ أن تحيل الصيغة النهائية لهذه القواعد إلى مجلس المجمع ، تمهيدا لإبلاغ ما يستقر عليه الرأى إلى وزارة التربية والتعليم ، حتى يوضع موضع التنفيذ .

هذا واللجنة ماضية فى تطبيق بقية القرارات التى وافق عليها المؤتمر . وقد ألفت لجنة فرعية لاختصار صور الحروف وسيوافى المجلس بما يستقر عليه الرأى .

والآن تقدم اللجنة تلك الصيغة النهائية لقواعد الشكل فى الكتب المدرسية ، وهى تتسم بعموم يفسح المجال للمنفذين و يترك التفاصيل لتقديرهم ، وتقوم على تدرج ربما رقى عدم الأخذ به والتزام الضبط بالشكل بنسبة واحدة فى جميع مراحل التعليم العام .

قواعد الشكل

فى الكتب المدرسية

تتبع هذه القواعد فى شكل الكتب المدرسية جميعها على النحو الآتى :

أولا — فى جميع مراحل التعليم :

تضبط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، بالشكل الكامل .

ثانيا — فى المرحلة الابتدائية

لا يترك من الشكل إلا ما لا مجال لخطأ التلميذ فيه ، بحسب مستويات الصفوف .

ثالثا — فى المرحلة الإعدادية .

١ — يلتزم شكل أواخر الكلمات على حسب قواعد اللغة .

٢ — فيما عدا شكل أواخر الكلمات ، يراعى ما يأتى :

(أ) يهمل الشكل بالفتحة ، إلا حين تكون الفتحة حركة للواو أو الياء ، فى مثل صوَر وحيَل .

(ب) فيما عدا الفتحة يلتزم الشكل .

(ج) تعتبر حروف العلة مدا ، ما لم تضبط بالشكل .

(د) يلتزم وضع الشكل والمدة وهمزة القطع .

(هـ) تضبط الأعلام غير الشائعة بالشكل .

رابعا — فى المرحلة الثانوية :

١ — يخفف من شكل أواخر الكلمات ، متى كان واضحا .

٢ — لا يشكل من بقية الحروف إلا ما يتوقع خطأ التلميذ فيه .

٣ — تضبط الأعلام غير الشائعة بالشكل .

عضو اللجنة	رئيس اللجنة
محمد شوقى أمين	ابراهيم بيومى مدكور

فقيد المجمع

الدكتور منصور فهمى

فى الظهيرة من يوم الخميس ٢٦ من مارس سنة ١٩٥٩ روع المجمع بفقد المرحوم الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع، إذ قبضه الله الى رحمته وهو فى سيارته متخذا طريقه الى المجمع. ولما فتح له باب السيارة لينزل كعادته تبين أنه فارق الحياة. وهكذا كانت أخرى خطوات الفقيد فى سبيل المجمع الذى كان رحمة الله عليه يبذل له أطيب وقته وأكرم جهده. وقد تولى فيه منصب كاتب السر منذ إنشائه، وكان يجدد انتخابه كلما انتهت مدته.

وقد شيعت جنازة الفقيد فى يوم الجمعة ١٩٥٩/٣/٢٧ واشترك فيها رجال الدولة وأعضاء المجمع وأساتذة الجامعات وغيرهم من قادة الفكر والرأى وممثل الجمعيات والهيئات ورجالات البلاد العربية.

وفى مساء الاثنين ١١ مايو سنة ١٩٥٩ عقد المجمع جلسة علنية لتأبين الفقيد شهدها جمع كبير من العلماء والأدباء، وتولى التأبين كل من الدكتور ابراهيم بيومى مدكور، والأستاذ محمد توفيق دياب، وذلك بدار الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع والاحصاء.

أسبغ الله على الفقيد رحمته ورضوانه، وأجزل مثوبته فى دار البقاء.

انتخاب

الدكتور ابراهيم بيومى مدكور، ليقوم مقام كاتب سر المجمع

فى الجلسة الثانية والعشرين لمجلس المجمع بتاريخ ١٩٥٩/٥/١٨ قرر المجلس انتخاب الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ليقوم مقام كاتب السر للمجمع وفقا للمادة ٢٥ من اللائحة.

الفهـــرس

موضوعات الجزء

رقم الصفحة

القسم الأول — بحوث مجمعية

القسم الثانى — بحوث غير رسمية

القسم الثالث — استقبال الأعضاء الجدد

القسم الرابع — كلمات فى التأبين

القسم الخامس — مصطلحات علمية أقرها المجمع

أشرف على إعداد هذا الجزء :

السادة :

الأستاذ زكى المهندس	عضو المجمع المشرف على تحرير المجلة
« ابراهيم خليل	مراقب المجمع
« محمد عبد الحليم عبد الله	رئيس التحرير
« ابراهيم أحمد	سكرتير التحرير

صحح تجارب المجلة : السادة المحررون بالمجمع تحت إشراف

الأساتذة : عبد العليم أحمد سليمان الطحاوى ، عبد الكريم ابراهيم العزباوى ، حسن على عطيه ، عبد الستار أحمد فراج ، محمد شوقى أمين ، عبد الله اسماعيل نبيه .

تم طبع هذه المجلة في يوم ١٠ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٩
(الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٩) م

محمد القائم عمر
عضو مجلس الإدارة المنتدب

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

[illegible]

تم إعادة الطبع يناير ٢٠٠٧

طبع بمطابع

